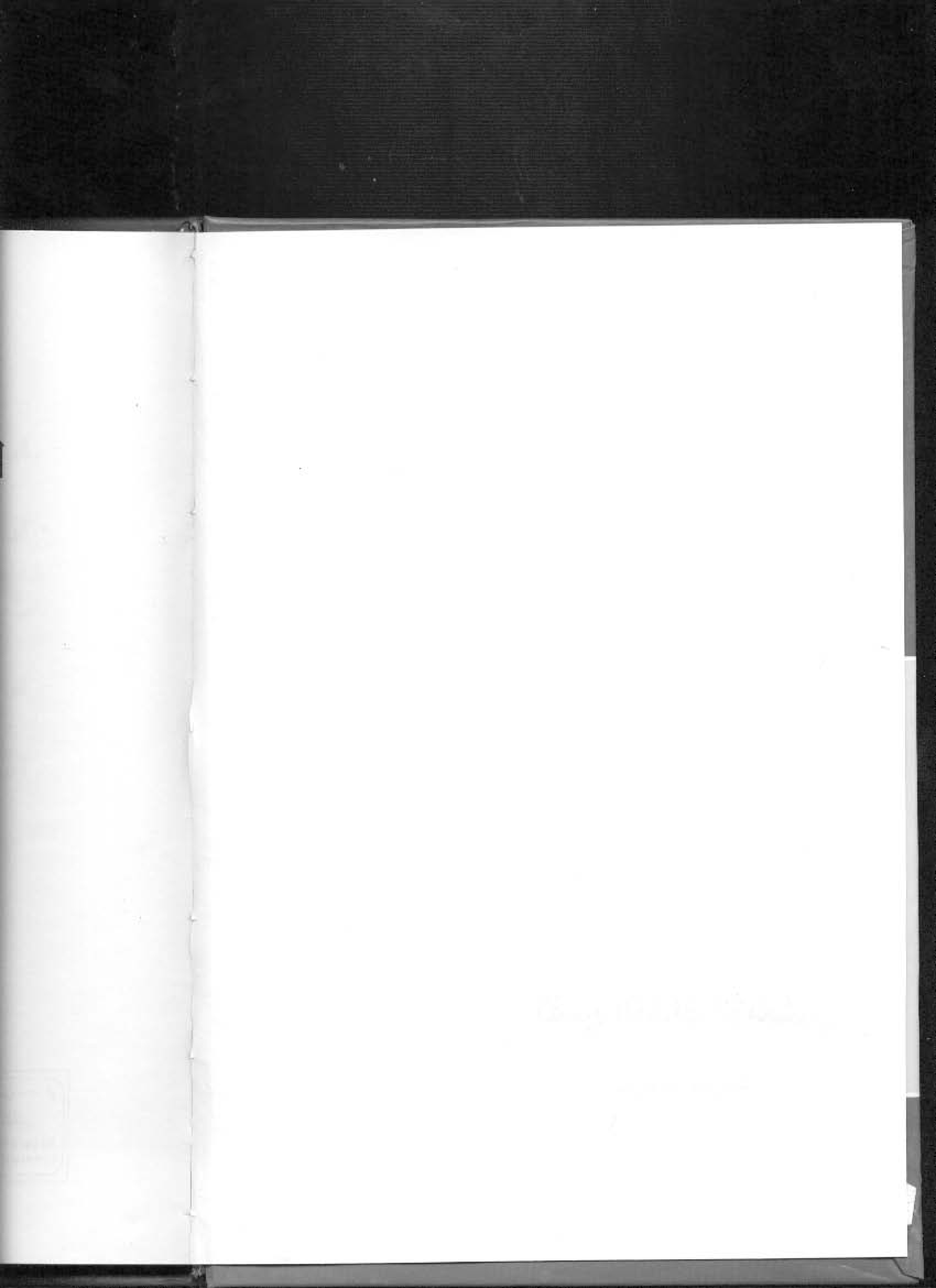
تفسير الكشّاف للزمخشري

دراسة لغوية



تفسير

الكشّاف للزمخشري

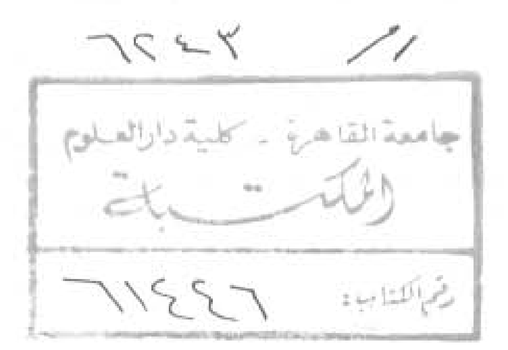
دراســـة لغويــــة

الدكتــور

دلدار غفور حمد أمين

الطبعة الأولى

٢٠٠٧



- **تفسير الكشاف للزمخشري/ دراسة لغوية**
- **د. لدار غفور حمد أمين**

الطبعة الأولى 2007

منشورات:



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171- الأردن

جمهورية العراق

بغداد- شارع السعدون عمارة فاطمة

تلفاكس: 0096418170792

خلوي: 009647504616988 00964662549245

خلوي: 009647901403225 009647702152755

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

❖ رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2006/12/3281)

❖ رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: 2006/11/3820

(ردمك) ISBN 9957 -478 -31 -1

الإهـــداء

- إلى خَيْرِ النّاس...

[مَنْ تَعَلَّمَ الْقرآنَ وَعَلَّمَهُ]

- إلى شُعْلَتَيَّ في الحَياةِ..

(أبي العَزيز ... أُمّي الحَنُون)

داعِياً مَوْلايَ – عَزَّ وَجَلَّ – :

﴿.. رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيْرًا..﴾

- إلى الأحِبّةِ...

(إخْوَتي.. وَأخَوَاتي)

- إلى رُوحِ الأخِ...

(مُحَمَّد شَفِيق سَعِيد) في جَنَّاتِ الخُلْدِ

أهدي ثَمرة جهدي وصَبْري

دلدار

• المقدمة
• التمهيد:
• **الفصل ا**
المبحث الأول
١- مواردهُ
أ - الأ
ب- الكتب
٢- أساليب
أ - نقل
١- النقل
٢- النقل
ب- نقل
المبحث الثاني
أولاً : السّما
أ - القرآ
ب- الحدي
ج- كلام
١- ا
٢-
ثانياً : القياس

المحتويات

الموضوع	الصفحة
• المقدمة	
• التمهيد: نُبذة عن الزمخشري وتفسيره (الكشّاف)	
• **الفصل الأول: المنهَج اللغوي للزمخشري في تفسيره ورأيُهُ في نشأة اللغة**	
المبحث الأول: موارده اللغوية وأساليب النقل منها	
١- مواردُهُ اللغويّة	
أ - الأعلام	
ب- الكتب	
٢- أساليب النقل	
أ - نقل النصوص	
١- النقل الحرفيّ	
٢- النقل بالمعنى	
ب- نقل الآراء	
المبحث الثاني: الأدلة الصناعية	
أولاً: السّماع	
أ - القرآن الكريمُ والقراءاتُ القرآنية	
ب- الحديثُ النبويُّ الشريف	
ج- كلام العربِ المنظومِ والمنثورِ	
١- الشعر	
٢- أمثال العرب وأقوالهم	
ثانياً: القياس	

المبحث الثالث : العلّة اللغوية	
١- علّة المعنى	
٢- علّة التأويل	
٣- علّة المشابهة	
٤- علّة السماع	
٥- علّة مناسبة اللفظ للمعنى (العلاقة بين اللفظ والمعنى)	
٦- علّة التخفيف والاختصار	
٧- علّة التغليب	
٨- علّة الحَمل على النظير	
٩- علّة الحَمل على النقيض	
١٠-علّة الاستقراء	
١١-علّة الحُكم	
١٢-علّة اللغة	
المبحث الرّابع : رأيُهُ في نشأة اللغة	
• **الفصل الثاني : الجانب الدّلالي**	
المبحث الأول : معاني الألفاظ	
أولاً: بيان الاستعمال الأصلي للّفظة ومحاولة إرجاعها إلى المعاني الحسية الحقيقية	
ثانياً : الاعتماد على النقيض أو الضد في بيان معنى اللفظة	
ثالثاً : الاستشهاد على معنى اللّفظة	
رابعاً : نقل آراء العلماء في معنى اللّفظة	

خامساً : تعليل الاستعمال القرآني للَفظة	
سادساً : تعدد وجود التفسير في اللَفظة الواحدة	
سابعاً : ذكر المعنى المعجمّي للَفظة	
ثامناً : التفصيل في معنى اللَفظة	
تاسعاً : الإشارة إلى تغيّر المعنى بتغيير حرف التّعدي	
المبحث الثاني: تطوّر الدلالة والألفاظ الإسلامية	
- تطور الدّلالة	
١- تعميم الدّلالة	
٢- تخصيص الدّلالة	
٣- تغيير الدّلالة	
- الألفاظ الإسلامية	
المبحث الثالث: الترادف والفروق اللغوية	
- التّرادف	
- آراء العلماء في التّرادف	
- أسباب حدوث ظاهرة التّرادف	
- شروط تحقيق التّرادف	
- موقف الزمخشري من التّرادف	
القسم الأول: ألفاظ أقرّ بترادفها	
١- الشُح - البخل - اللؤم - المنْع	
٢- العَارض - السَّحاب - الحَبِيّ - العَنان	
٣- المطر - الرَّجع - الأوْب	
القسم الثاني: ألفاظ ردّها	
- الفروق اللغوية	

القسم الأول: فروق لغوية نتيجة اختلاف الدّلالة	
١- الخوف - الحُزْن	
٢- الضيّاء - النوّر	
القسم الثاني: فروقٌ لغويةٌ نتيجةَ اختلاف الحركات	
المبحث الرابع: الأضدادُ	
آراء العلماء في الأضداد	
موقف الزمخشري من الأضداد	
أسباب نشوء ظاهرة الأضداد	
القسم الأول: الألفاظ التي ذكر لها معنَيين متَعاكسين	
وصرّح بتضادها	
القسم الثاني: الألفاظ التي ذكر لها معنَيين متَعاكسين دون التصريح بتضادّها	
١- الصّريم	
٢- فوق	
٣- القُرْء	
القسم الثالث: الألفاظ التي ذكر لها معنىً واحداً	
دون ذكر المعنى الثاني المضاد له	
١- الأكمه	
٢- القانع	
٣- السّامد	

• **الفصل الثالث : الجانب الصوتي**	
المبحث الأول : مخارج الأصوات وصفاتها	
- مخارج الأصوات	
- صفات الأصوات	
١- المَجْهورة والمَهْمُوسة	
٢- الشّديدَة والرّخْوة	
٣- المُطبَقة والمُنْفَتحَة	
٤- المُسْتَعْلية والمُنْخَفضة	
٥- حُروف القَلْقَلة	
المبحث الثاني : الإبدال اللغوي	
العلاقات التي تسوّغ الإبدال اللغوي بينَ حرفين	
القسم الأول: **ما وقع الإبدال فيها بين لفظين في حَرْف واحد**	
١- الأزّ - الهزّ	
٢- كَشَطَ - قَشَط.	
٣- وَجَفَ - وَجَبَ.	
القسم الثاني: **ما وقع الإبدال فيها بين ألفاظ كثيرة بتغيير حرف واحد**	
١- أله - دَله - عَله	
٢- أنفق - أنفذ	
المبحث الثالث : القَلْبُ اللّغوي	

• **الفصل الرابع : ظواهر لغوية غير دلالية**	
المبحث الأول : الأعجمي والمُعرَب.	
آراء العلماء في تضمّن القرآن الكريم على كلام العجم	
موقف الزمخشري من المعرّب	
القسم الأول: ألفاظ رجّعها على أصولها غير العربيّة	
١- آدم	
٢- التوراة والإنجيل	
٣- إقليد	
القسم الثاني: ألفاظ رجعها إلى أصول عربية	
١- البَرْزخ	
٢- سُرادق	
٣- القنطار	
٤- اليَمّ	
٥- المَسيح	
القسم الثالث: ألفاظ لم يعلّق عليها	
المبحث الثاني : اختلافُ لغات العرَب	
أ - الاختلافُ في الدّلالة	
ب - اختلاف في بُنْيَة المُفرَدات	
« الاختلاف في حرُوف المفرَدات	
« الاختلاف في حَرَكات المفرَدات	

الموضوع	الصفحة
« الاختلاف في إلحاق الضّمائر	
« الاختلاف في باب (فَعَل و أفْعَل)	
« الاختلاف في الهَمْز والتّخفيف	
المبحث الثالث: المذكر والمؤنث	
١- السِّلْمُ والحَرْبُ	
٢- الحيّة والنّملة	
٣- الفِرْدَوس والنّخل	
٤- الصُّواع	
المبحث الرابع: المُثنَّى اللغوي	
١- ما تدخل ضِمنَ المثنى التّقليبي	
٢- ما تدخل ضِمنَ المثنى التّغليبي	
• الخاتمة	
• ملحق خاصّ بالجداول الواردة	
• المصادر والمراجع	
• ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.	

الحمد لله

وَصَحْبِه وَمَنْ تَ

أمّا بعد:

ومن دارِسيّ كت

لقد جاء

الأول لِل

التي يتمتّع بها

الثاني: خُ

اللّغوي او ما ي

ونحويّة وصرف

تطرّقوا إلى الجا

درسوا كُتُب ا

أمثلة من (الك

الدّكتور فاضل

مرتَضى الشيّرا

وقد بدأ

اخْتيار النهاذج

وحديثها مع ا

(*) طُبِعَتْ درا

للماجستير

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على النّبي الأميّ (محمّد) الأمين، وعلى آله وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَسَنَّ بِسُنَّتِهِ وسارَ على هَدْيه إلى يَوْم الدّين.

أمّا بعد: فإنّ من نعم الله – تعالى – التي منّها عليّ سبحانه أنْ جعلني من طلبة العلم ومن دارِسيّ كتابه المجيد، فالحَمْد لله الذي بنِعْمَتِه تتمّ الصّالِحات.

لقد جاء اختياري لهذا الموضوع لسَبَبَيْن:

الأول لِلمنزلة التي يتمتّع بها تفسير (الكشّاف) من بين التفاسير، والمكانة العلميّة التي يتمتّع بها صاحبُ هذا التّفسير .

الثاني: خُلُوّ المكتبة العربيّة – فيما أعْلم – من دراسَةٍ لَغَوِيّةٍ صِرْفَةٍ تتناول الجانب اللّغوي او ما يتعلق بفِقْهِ اللّغة في هذا التفسير. وقد دُرِسَ هذا التفسيرُ دراسات بلاغيّة ونحويّة وصرفيّة خالِصَة، ولم أعثر على دراسة خاصّة بالجانب اللّغوي فيه، أمّا الّذين تطرّقوا إلى الجانب اللّغوي عند الزمخشري، فلم يدرسوا المادّةَ اللغوية في (الكشّاف)، وإنّما درسوا كُتُب الزّمخشري الأخرى كـ (الفائق) و (أساس البلاغة) وغيرهما، وأخذ هؤلاء أمثلة من (الكشّاف) على سبيل الإسْتشهاد فقط، ومن أمثلةِ هذه الدّراسات، دراسَة الدّكتور فاضل السّامرائي المسمّاة (الدراسات النّحويّة واللّغويّة عند الزمخشري)، ودراسَة مرتَضى الشّيرازي المسمّاة (الزّمَخْشريّ اللّغويّ)(*).

وقد بدأتُ دِراسَتي في هذا التّفسير بقراءَةِ أجزائِهِ وجَرْد المسَائل اللّغوية فيه ثم اخْتيار النّماذج التي تَسْتَحِق الدّراسَة والوقوف عليها وعَرْضِها على كُتُبِ اللّغة، قديمها وحديثها مع الاهتمام بإبراز رَأي الزَّمَخْشري فيها، واقتضَتْ مادّة الدّراسة أن يكون البحث

(*) طُبِعَتْ دراسَةُ الدكّتور فاضل السّامرائي للدّكتوراه في كتاب بالعنوان نَفْسه، أمّا دراسَة مُرْتَضى الشيرازي للماجستير فقد طُبِعَتْ في كتاب – أيضاً – ولكن بعنوان آخر هو (الزمخشري لغوياً ومفسراً).

في أربَعَة فصول مسْبُوقَة بتَمْهيد ومتلوّة بخاتِمَةٍ وَمُلْحَق خاصّ بالجداول الواردة في هذه الدراسة.

أمّا التّمهيد فَقَدْ تَحدَّثت فيه عن الزمخشري، اسمه وكنيته ولقبه، وولادته ووفاته، وعقيدته واهتمامهُ بالعِلْم وحبّه للعربيّة، وأشهر مؤلَّفاته، وتحدَّثت فيه أيضاً عن منزلة (الكشّاف) بين التفاسير وما قيل فيه وما يمتاز به، وهذا كلّه بصورةٍ موجزة، لأنّ ثمّة باحثين أفاضل ذكَرْتهم قد أفاضوا الحديث في هذا الأمر.

أما الفُصول الأربعة فقد خصَّصْتها لـ (دراسَة تفسير الكشّاف دراسَة لغويّة)، وهي كالآتي:

في الفَصْل الأوّل، دَرَسْتُ المنهج اللّغوي للزمخشري في تفسيره ورَأيه في نشأة اللّغة، وجاء في أربعة مباحث: تناول المبحث الأول الموارد اللغوية التي اسْتقى الزمخشري منها مادته اللغوية من أعلام وكتب، وتناول أساليب نقله من هذه الموارد اللّغوية.

أما المَبْحَث الثاني: فقد تناول أدلّته الصّناعية التي استند إليها في إثبات أحكامه اللّغوية، من حيث اعتداده بالسّماع وعَرْضاً لشواهده التي تمثّلت في الشّواهد القرآنيّة وقراءاته وشواهده في الحَديث الشريف وكلام العرب شِعْراً ونثراً وأشرت فيها إلى موقفه من القياس اللّغوي وتجويزه إياه؛ أمّا العلّة اللّغوية فقد خُصِّص لها المَبْحثُ الثّالث، وأفرد المبحث الرابع لبيان رأيه في نشأة اللغة.

أمّا الفصول الثّلاثة الباقية فقد كُرِّسَت للظّواهر اللّغوية الواردة في (الكشّاف)، فتناول الفَصْلُ الثّاني الظواهر اللغوية المتعلقة بالجانب الدّلالي، وجاء في أرْبَعَة مَباحِث، وعلى النحو الآتي:

المَبْحَث الأول: في معاني الألفاظ.

والمَبْحث الثّاني: في تطوّر الدّلالة والألفاظ الإسْلاميّة.

والمَبْحَث الثالث: في الترادف والفروق اللغوية.

والمَبْحث الرّابع في الأضداد.

أما الفَصْل الثالث، فقد تناول الظواهر اللغوية المتعلقة بالجانب الصوتي، وجاء في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في مخارج الأصوات وصفاتها.

والمَبْحث الثّاني: في الإبدال اللّغوي، وقد بيّنا فيه الفرْق بين الإبدال اللغوي والإبدال الصّرفي.

والمَبْحث الثّالث: في القلب اللّغوي.

أما الفَصْل الرابع، فقد تناول الظواهر اللغوية غير الدّلالية، وجاء في أرْبَعَة مباحث:

تناول المَبْحث الأوّل الأعجَمي والمعرَّب.

أما المَبْحَث الثّاني فكان في اختلاف لغات العرب،

والمَبَحث الثّالث: في المذكر والمؤنث.

والمَبْحَث الرّابع في المثنّى اللّغويّ – وهو أقْصَر المَباحث –.

أمّا الخاتمة، فقد لخّصْتُ فيها أهمّ النتائج التي ظَهَرَتْ من هذه الدِّراسة.

وتجْدُر الإشارة إلى أنّ (الكَشّاف) كتاب غيْرَ محقّق وقد طُبِعَ ثلاث طَبْعات، طبعةً قديمة تقع في ثلاثة أجزاء، أما الثانية فهي طبعة دار الفكر في أربعة أجزاء، والثالثة هي طبعة دار الكتاب العربي في أربعة أجزاء أيضاً. وقد اعْتَمَدْتُ في هذه الدراسة على طبعة دار الفكر ذات الأجزاء الأربعة مع الرّجوع إلى طبعة دار الكتاب العربي في مواضِع قليلة بدا لي وقوع تصحيف فيها.

أمّا المَصادر الأخرى التي اعتَمَدتُ عَلَيها – عدا الكشّاف – ، فهي تتضمّن معجَمات اللّغة، وكتب مَعاني القرآن وإعرابه، وقراءاته، وكُتب التفسير والحديث، إضافة إلى كتب طبقات الرجال وتراجمهم، وقد اسْتَعَنْتُ بكتبٍ حَدْيثة، وَثيقة الصّلة بموضوع البحث.

من الصّعوبات التي واجَهَتِ الدراسة، دقّة الموضوع وصعوبة التّفريق بين علوم اللّغة من صَرْفٍ وبلاغةٍ ونَحْوٍ وفقهٍ ولُغةٍ، وممّا استصعب الأمر أكثر هو أنني لم أعثر في دراسة من الدراسات التي من هذا النوع من فرق بين هذه الفروع بدقة، فقد خلطوا بين المسائل النحوية والصرفية واللغوية، إلا نادراً.

وختاماً أقول:

هذا البحث ثمرة جهدي وصبري، فإن أصبت فيه وأحسنت فهو بتوفيق من الحق – جلّ جلالُه– وذلك هو المبتغى، وإن كانت الأخرى فمن نفسي، وحسبي أنني إنسانٌ أصيبُ و أخطىء، وقد بذلت المستطاع، ولم يبقَ إلا أن أكرّر ما قال بعضهم:

إني رأيت أن لا يكتُبُ إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من العِبَر وهو يدل على استيلاء النقص في جملة البشر.

اللهم إني أعوذ بك من عِلمٍ لا ينفع، وقلب لا يَخْشَع، وعين لا تَدْمَع ونفس لا تشبع ودعاء لا يُسْمَع، اللهم اجعل عملي هذا خالصاً لِوجهك الكريم، واجعله لي عندك ذخراً ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾(*)، ﴿.. يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ..﴾(**)

وصلى الله على نبينا وقدوتنا (محمد) وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا .....

أن الحمد لله رب العالمين.

دلدار

(*) القمر : ٦

(**) آل عمران : ١٠٦

التمهيـــــد

نُبذةٌ عنِ الزمخشريِ وتفسيرهِ

- الكشاف -

أ- الزمخشري

- اسمه وكنيته

أبو القاسم، ا

- ولادته ووفات

جرجانيه[1] س

- اهتمامه بالعل

الشيوخ، أشه

لقّب بفريد ا

وتتلمذ ل

محمّد بن هار

المشايخ)[1].

عقيدته:

(وَفَيات الأعيا

باعتزاله، حتى

يأخذ له الإذن

(١) وفيات الأع

(٢) (زمخشر) و

(٣) ينظر: الأع

(٤) ينظر: منهج

(٥) ينظر: الزمخ

(٦) ينظر: الزمخ

(٧) ينظر: وفيا

أ- الزمخشري:

- اسمه وكنيته ولقبه: هو محمود بن عمر بن محمّد بن عمر[1] الخوارزميّ الزمخشري، كنيته أبو القاسم، اشتهر بـ(جار الله) لمجاورته مكّة المكرمة.

- ولادته ووفاته: ولد بزَمَخْشَرْ في السابع والعشرين من رَجَب سنة ٤٦٧ هـ وتوفّي في جرجانيه[2] سنة ٥٣٨ هـ[3].

- اهتمامه بالعلم: كان محبّاً للعلم أفرغ شطراً كبيراً من حياته له[4]، أخذ علمه عن كثير من الشيوخ، أشهرهم : (أبو مضر محمود بن جرير الضّبيُّ الأصبهاني ت ٥٠٧ هـ الذي لقّب بفريد العصر ووحيد الدّهر في اللّغة والنحو)[5].

وتتلمذ له -أي الزمخشري- عدد من طلاب العلم، أشهرهم (أبو الحسن عليُّ بن محمّد بن هارون العمرانّي الخوارزمي ت ٥٦٠ هـ الملّقب بحجّةِ الأفاضل وفخر المشايخ)[6].

عقيدته: اعتنق المذهب الاعتزالي وكان متظاهراً به متعصباً له، يذكر صاحب (وَفَيات الأعيان) ذلك عنه، إذْ يقول: « كان الزمخشري معتزليّ الاعتقاد، متظاهِراً باعتزاله، حتى نقل عنه: أنه كان إذا قصد صاحباً له وأستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: قُلْ له: أبو القاسم المعتزليّ بالباب... »[7].

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٤ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٣٥.

(٢) (زمخشر) و (جرجانية) من قرى خوارزم بـ(إيران) [ينظر: معجم البلدان ٢/ ١٢٢، ٣/ ١٤٧].

(٣) ينظر: الأعلام ٧/ ١٧٨.

(٤) ينظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ٤٣.

(٥) ينظر: الزمخشري ٤٨، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ١٥.

(٦) ينظر: الزمخشري ٥٣ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢/ ٢٧٩-٢٨٠.

(٧) ينظر: وفيات الأعيان ٢/ ٥٠٩.

والمذهب الاعتزالي يقوم على أصول خمسة، هي: **التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**[1].

حبُّه للعربية وأشْهَرُ مؤَلفاته: نال الزمخشري مكانة علمية رفيعة حتى صار علماً من أعلام اللّغة، فضلاً عن كونه إمام المفسرين. وما ذلك إلا بسبب حبِّه للعرب والعربية، وهو القائل: « اللهَ أَحْمَدَ أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعرب والعصبية »[2].

ألفَّ الزمخشري مؤلفاتٍ كثيرة[3]، وأشْهَرُها: الكشّاف – موضوع البحث – ، والمفصَّل في علم العربية، وأساس البلاغة، والفائق في غريب الحديث والأثر، والمحاجاة بالمسائل النحوية، وله ديوان شعري[4].

ب – الكشّاف:–

من أشهر كُتُبِ الزمخشري إنْ لَمْ يكن أشهرها جميعاً، كتبه بمكة المكرمة في مدّةٍ قارَبَتْ سنتين ونصف[5] وكان معجباً به حتى قال فيه:

إنَّ التفاسيرَ في الدُّنيا بِلا عَدَدٍ وَلَيْس فيه لَعَمْري مِثْلَ كَشّافِي

إنْ كُنْتَ تَبْغي الهُدى فَالْزِمْ قراءَتَهُ فَالجَهْلُ كَالدّاءِ وَالكشّاف كَالشّافِي[6]

- **سبب تأليفه:** أوضح الزمخشري في مقدّمة كتابه (الكشّاف) سبب تأليفه، إذ يقول: «ولقد رأيت إخواننا في الدّين من أفاضل الفئة الناجية العدليّة، الجامعين بين علم العربية

---

(١) ينظر: مقدّمة في أصول التفسير ٨٣ والتفسير والمفسرون ١/ ٣٦٩-٣٧٠.

(٢) المفصل ١.

(٣) ينظر في ذكر مؤلفاته: الزمخشري ٥٨/ ٦٣ منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ٤٩-٥١ الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٨٥-١٠٠.

(٤) ينظر: الزمخشري ٢٨٨-٢٨٩.

(٥) ينظر مقدمة الكشّاف ١/ ٢١.

(٦) ينظر: الزمخشري ٢٤٢.

والأصول الدّينيّة، كلما رجعوا إليَّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحُجُبِ، أفاضوا في الاستحسان والتّعجب، واستطيروا شوقاً إلى مصنَّفٍ يضمُّ أطرافاً من ذلك، حتّى اجتمعوا إليَّ مقترحين أنْ أملي عليهم الكشف عن (حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) فاستعْفَيْتُ، فأبوا إلاّ المراجعة والاستِشْفاع بعظماء الدّين، وعلماء العدل والتوحيد...»[1].

- قيمته: اشتهر الزمخشري بكشّافه حتى عرُفَ به وقيل عنه (صاحب الكشّاف)، ولعلّ السّبب في ذلك سعود إلى ما حَواه هذا التفسير من علوم شتّى كالبلاغة والأدب والفقه والقراءات واللّغة والنّحو. واهتّم العلماء بالكشّاف اهتماماً كبيراً ووقفوا معه وقّفات متعدّدة، فوصفوا محاسِنَه وجوانب نُبُوغ صاحبه فيه، على الرّغم من الاعتزاليات التي احتواها، وتجاوزات الزمخشري فيه على بعض الفِرَق، وقد ذكر الدّكتور مصطفى الجوينيّ طائفة من أقوال العلماء في هذا التفسير[2]، منها:

قال تاجُ الدين السُّبْكيّ (ت ٧٧١ هـ): «اعلم أنَّ الكشّاف عظيمٌ في بابه ومُصَنِّفه إمام في فنّه، إلاّ أنه رَجُل مبتَدِعٌ متجاهر في بِدْعَتِه..»[3].

ويقول ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) في مدْح (الكشّاف) لاشتماله على فنّ البيان: «... وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه – أي عن فن البيان – حتى ظهر جار الله الزّمخشريّ ووضع كتابه في التفسير وتتبّع أي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه، فانفرد بها الفضل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع...»[4].

---

(١) مقدمة الكشّاف ١/١٧-١٨.

(٢) ينظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ٢٦٥-٢٧٠.

(٣) معيد النِعَم ومبيد النِقم ٨٠.

(٤) مقدمة ابن خلدون ١٢١٦.

ومن المفسرين من نقل عن الكشّاف الكثير من الآراء في التفسير واللغة، ومن هؤلاء: الرازي[1] (ت ٦٠٦ هـ) والبيضاوي[2] (ت ٦٨٥ هـ) وأبو حيان[3] (ت ٧٥٤ هـ)، والألوسي[4] (ت ١٢٧٠ هـ).

أمّا المحدثون فقد تناولوا هذا التفسير بالبحث والدراسة، من ذلك دراسة الجوانب البلاغية[5] والنحوية[6] والصّرفيّة[7] فيه، ومَنْهَجُ صاحِبِهِ في تفسير القرآن وبيانِ إعجازه[8]، فَضْلاً عن بعض الفصول التي حَوَتْ عليها دراساتُ عن الزّمخشري وعنْ غيرِه[9].

وَيُعَدُّ هذا التفسير حتّى الآن «المَبْحث التفسيريّ الوحيد ... الّذي يعرض لبلاغةِ القرآن على نِطاقٍ علميٍّ واسِع»[10].

---

(١) ينظر: البحث اللغوي عند أبي بكر الرازي ٥٤.

(٢) ينظر: دراسة لغوية ونحوية في تفسير البيضاوي ٨٤-٨٥.

(٣) ينظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٧٨.

(٤) ينظر: الدراسات اللغوية والنحوية في تفسير الألوسي ٢٧٣.

(٥) ينظر: دراسة الدكتور عمر الملاّ حويش المسماة (أثر البلاغة في تفسير الكشّاف).

(٦) ينظر: دراسة أحمد جمعة الهيتي المسماة (الدراسات النحوية في الكشّاف للزمخشري).

(٧) ينظر: دراسة مها إبراهيم عبيد المسماة (الكشّاف للزمخشري - دراسة صرفية).

(٨) ينظر: دراسة الدكتور مصطفى الصّاوي الجويني المسمّاة (منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه).

(٩) ينظر: (الزمخشري) الفصل السادس ٩٩-٢٤٤، التفسير والمفسرون ١/٤٢٩-٤٨٢.

(١٠) منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ٢٧٩.

الفصل الأول

المنهج اللغوي للزمخشري في الكشاف ورأيه في نشأة اللغة

المبحث الأول:

موارده اللغوية وأساليب النقل منها

المبحث الثاني:

الأدلة الصناعية

المبحث الثالث:

العلة اللغوية

المبحث الرابع:

رأيه في نشأة اللغة

المبحث الأول:

١ – موارده اللغ

استقى الز

ذلك إشارات متع

أ- الإع

نقل ا

المواضع يش

١ – ابن ع

٢ – مجاه

٣ – عكر

٤ – قتادة

٥ – الكل

(١) ينظر: الكشا

(٢) ينظر: الكشا

وميزان الاعت

(٣) ينظر: الك

والأعلام ٤/

(٤) ينظر: الكشا

(٥) ينظر: الكشا

المبحث الأول:

موارده اللغوية وأساليب النقل منها

١ - موارده اللغوية:

استقى الزمخشري الموارد اللغوية التي أوردها في (الكشّاف) من مصادر عدّة، وكان له في ذلك إشارات متعددة، ويمكن تقسيم هذه المصادر من حيث إشارات الزمخشري إلى قسمَيْن:

أ- الإعلام:

نقل الزمخشري مادته اللغوية عن طائفة كبيرة من الأعلام، فهو في أغلب المواضع يشير على الأعلام الذين نقل عنهم الآراء اللغوية، وهم:

١ - ابن عباس (عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي)، (ت ٦٨هـ)[1].

٢ - مجاهد (أبو الحجاج بن جبر المكيّ) (ت ١٠٤ هـ)[2].

٣ - عكرمة بن عبد الله المدنيّ (١٠٥ هـ)[3].

٤ - قتادة بن دعامة بن قتادة السّدوسّي البصريّ (ت١١٨هـ)[4].

٥ - الكلبي (محمد بن السائب، (ت١٤٦هـ)[5].

---

(١) ينظر: الكشّاف ١/ ٥٢٧ وينظر في ترجمته: الإصابة في تميز الصحابة ١٤١/٤ والأعلام ٤/ ٩٥.

(٢) ينظر: الكشّاف ١/ ١٣٥، ٢/ ٣٣٩ وينظر في ترجمته: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١/ ١٢٥ وميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣/ ٤٣٩، الأعلام ٥/ ٢٧٨.

(٣) ينظر: الكشّاف ٢/ ٣٩٩ ، ٣/ ٥٣٣ ، ٣/ ٢٢٤ ، ٣٠٧ وينظر في ترجمته: ميزان الاعتدال ٣/ ٩٣ والأعلام ٤/ ٢٤٤.

(٤) ينظر : الكشّاف ٣/ ٢٩١ ، ٥١٣ وينظر في ترجمته: شذرات الذهب ١/ ١٥٣، و الأعلام ٥/ ١٨٩.

(٥) ينظر: الكشّاف ٤/ ٢٧٨ وينظر في ترجمته : شذرات الذهب ١/ ٢١٧.

٦ – أبو عمرو بن العلاء (زياد بن العلاء)، (ت ١٥٩هـ)[1].

٧ – الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)[2].

٨ – سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، (ت ١٨٠هـ)[3].

٩ – النضر بن شمّيل بن حرثة بن كلثوم (ت ٢٠٤ هـ)[4].

١٠ – الفرّاء (يحيى بن زياد)، (ت ٢٠٧ هـ)[5].

١١ – أبو عُبَيْدة معمّر بن المثنى (٢١٠هـ)[6].

١٢ – أبو عمرو الشيّباني (إسحق بن مرار)، (ت ٢١٠ هـ أو ٢١٣ هـ)[7].

١٣ – الأخفش (سَعيد بن مَسْعدة)، (ت ٢١٥ هـ)[8].

١٤ – الأصمعيّ (عبد الملك بن قُرَيْب)، (ت ٢١٦هـ)[9].

١٥ – ابن السّكيّت (أبو يوسف يعقوب بن اسحق) (ت ٢٤٤هـ)[10].

---

(١) ينظر: الكشّاف ٢/ ١٢٥ وينظر في ترجمته: طبقات الزبيدي ١٧٦ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢/ ٢٣١ وشذرات الذهب ١/ ٢٣٧.

(٢) ينظر : الكشّاف ٣/ ٤٥٣ وينظر في ترجمته: طبقات الزبيدي ٤٣ والبغية ١/ ٥٥٧ وشذرات الذهب ١/ ٢٧٥.

(٣) ينظر: الكشّاف ٢/ ٣١١ وينظر في ترجمته: طبقات ٦٦ والبغية ٢/ ٢٢٩ وشذرات الذهب ١/ ٢٥٢.

(٤) ينظر : الكشّاف ١/ ١٢٨، وينظر في ترجمته: طبقات الزبيدي ٥٣، والبغية ٢/ ٣١٦، وشذرات الذهب ٢/ ٧.

(٥) ينظر: الكشّاف ٢/ ٥٠٦، وينظر في ترجمته: طبقات الزبيدي ١٤٣ والبغية ٢/ ٣٣٣، شذرات ٢/ ٣٠٨.

(٦) ينظر: الكشّاف ١/ ٥٥١، ٣/ ٢٨٥ وينظر في ترجمته: الطبقات ١٩٢ والبغية ٢/ ٢٩٤.

(٧) ينظر: الكشّاف ٣/ ٢٩٦، وينظر في ترجمته: طبقات ٢١١.

(٨) ينظر الكشّاف ٣/ ٣٤٠ وينظر في ترجمته طبقات ٧٤ البغية ١/ ٥٩٠ وشذرات ٢/ ٣٦.

(٩) ينظر: الكشّاف ٣/ ٢١٣-٢١٤ وينظر في ترجمته: طبقات ١٨٣ البغية ٢/ ١١٢ وشذرات ٢/ ٣٦.

(١٠) ينظر: الكشّاف ١/ ١٣٣، ٢/ ٥١٣، وينظر في ترجمته: طبقات ٢٢١البغية ٢/ ٣٤٩ وشذرات الذهب ٢/ ١٠٦.

١٦ – ثعلب (أحمد بن يحيى)، (ت ٢٩١هـ)[1].

١٧ – الزَّجاج (أبو إسحق إبراهيم بن السّريّ)، (ت ٣١١ هـ)[2].

ب – الكُتُب:

لم يشر الزمخشري في تفسيره إلى أسماء الكتب التي ينقل منها مادته اللّغوية إلا نادراً، وَهذِهِ الكتب هي:

١ – كتاب التبيان – لأبي الفتح الهمداني:[3]

وقد ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي ﴾[4]، قائلاً «وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء إذ أحبا وليس بذلك»[10] ولم أعثر على هذا الكتاب[11].

٢- وذكر في موضع آخر من تفسيره اعتماده على (كتب التواريخ) في معرفة أصل كلمة (آزر) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا... ﴾[12] إذ قال «آزر» اسم أبي إبراهيم "عليه السلام"، وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارَح، والأقرب أن يكون وزن آزر فاعلَ مثل تارَح وشالَخ وفالَع وما أشبهها من أسمائهم»[13].

---

(١) ينظر: الكشّاف ٤/١٩٧، وينظر ترجمة: طبقات الزبيدي ١٥٥، والبغية ١/٣٩٦، وشذرات الذهب ٢/٢٠٧.

(٢) ينظر: الكشّاف ١/٥٢٩، ٣/٤٣، ٢٨٥، ٤٩٥، وينظر في ترجمته: طبقات ١٢١ والبغية ١/٤١١.

(٣) وهو أبو الفتح جراش بن أحمد الهمداني (ت ...)، ينظر: هدية العارفين ٥/٢٥٠، الأعلام ٨/٩٤.

(٤) ص ٣٢.

(١٠) الكشّاف ٣/٣٧٣.

(١١) ينظر: كشف الظنون ١/٣٤٠-٣٤٢.

(١٢) الأنعام ٧٤.

(١٣) الكشّاف ٢/٢٩-٣٠.

أما الكتب التي نقل منها الزمخشري مادّته اللغوية ولم يذكر أسماءها، فهي كثيرة وقد ذكرنا بعضها فيما يأتي في أساليب نقله.

٣- أساليب النقل:

اعتمد الزمخشري على أساليب متعدّدة في نقل مادّته اللّغوية التي تضمنّها (الكشّاف) ويمكن حصر هذه الأساليب فيما يأتي:-

أ- نقل النصوص:

١ - النقل الحرفي:

اعتمد الزمخشري كثيراً على هذا النوع من النقل في تضمنيه المادة اللغوية في تفسيره، فهو يذكر النصوص وينسبها إلى قائليها مبتدئاً بعبارة (قال فلان)، أو (عن فلان)، وعند العودة إلى هذه النصوص نجد أنّه نقل هذه النصوص حرفياً ولا نجد أيَّ اختلاف بينها وبيْنَ ما نقله.

ومن أمثلة ذلك ما نقله عن أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) والزجّاج (ت ٣١١ هـ)، إذ قال مفسراً قوله تعالى: ﴿ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾[1]، الخمط: «شجر الأراك وعن أبي عبيدة: كل شجر ذي شوك: وقال الزّجّاج: كلّ نبت أخذ طعْماً من مرارة حتى لا يمكن أكله»[2]، وهذا النّص موجود حرفياً في كتابَيْ (مجاز القرآن) لأبي عبيدة[3]، و(معاني القرآن وإعرابه) للزّجّاج[4].

---

(١) سورة سبأ، الآية ١٦.

(٢) الكشّاف ٣/ ٢٨٥.

(٣) ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٤٧.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٩.

ومن ذلك أيضاً ما نقله ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، إذ قال في تفسيره قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[1]، «(حتّى حين) إلى زمان كأنّها اقترحت أن يسجن زماناً حتّى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتّى حين وهي لغة هذيل. وعن عمر (رضي الله عنه) أنه سَمِعَ رجلاً يقرأ عتّى حين، فقال: مَنْ أقرأك؟ قال ابن مسعود فكتب إليه: أنّ الله أَنْزَلَ هذا القرآن فجعله عَرَبيّاً وأنزله بلغة قريش، فأقرئ النّاس بلغة قريش ولا تُقْرِئهَمْ بلغة هذيل والسّلام»[2] ورواية عمر (رضي الله عنه) مقتبسة حرفياً من كتاب (المُحْتَسِبِ) لابن جنّي[3].

وفي الكشّاف أمثلة أخرى على هذا الأسلوب[4].

٢ - النقل بالمعنى:

يعمد الزمخشري في مواضع عديدة إلى نقل مادته اللّغوية بالمعنى، فيتصرّف في النّص الذي ينقله، تقديماً وتأخيراً، زيادةً واختصاراً، وقد يذكر صاحب النّصّ أو لا يذكر، فمثال الأوّل ما أورده في تفسير قوله تعالى ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ﴾[5]، إذ قال في بيان معنى كلمة (صَعِيد): «وقال الزّجّاج: الصعيد وجه الأرض تُراباً كان أو غَيْره، وإن كان صخراً لا تراب عليه لو ضَرَبَ المتيمّم يَدَهُ عليه ومسح لكان ذلك طهوره»[6]، وهذا الكلام مذكور بمعناه في كتاب معاني القرآن وإعرابه) للزّجّاج، إذْ يقول: «والطيِّبُ هو النَّظيف الطّاهر، ولا يبالي أكان الموضع تراباً أم لا، لأنّ الصّعيد ليس هو

---

(١) سورة يوسف «٣٥».

(٢) الكشّاف ٢/ ٣١٩.

(٣) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١/ ٣٤٣.

(٤) ينظر: الكشّاف ١/ ٥٢٩، ٣/ ٤٣، ٤٩٥.

(٥) سورة النساء « الآية ٤٣.

(٦) الكشّاف ١/ ٥٢٩.

التراب، إنّما هو وجْهُ الأرْض، تراباً كان أو غيره. ولو أن أرضاً كانت كلّها صَخْراً لا تراب عليه ثم ضَرَبَ المتيمّم يده على ذلك الصّخر لكان ذلك طهوراً إذا مسح به وجهه»[1].

ومن الأمثلة على الثاني: ما ورد في تفسيره قوله تعالى ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾[2]: جاء في الكشّاف:

« والصّافن الذي في قوله:

أَلِفَ الصُّفونَ فَما يَزال كَأَنَّه مِمّا يَقومُ على الثّلاثِ كَسيرا

وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو المتخيّم، وأمّا الصّافن فالذي يجمع بين يَدَيْه»[3]، وهذا الكلام نقله الزّجّاج بمعناه عن أهل اللّغة وأهْل التّفسير في كتابه (معاني القرآن وإعرابه)، إذْ يقول في بيان معنى الصّافن:

« وقال أهل اللُّغة وأهل التفسير، الصّافن القائم الذي يثني يَدَيه أو إحدى رِجْلَيْه حتى يقف بها على سنْبكِهِ، وهو طرف الحافر، فثلاث من قوائمِهِ متصلة بالأرض، وقائمة منها تتصل بالأرْض طرف حافرها فقط:

قال الشاعر:

أَلِفَ الصُّفونَ فَما يَزال كَأَنَّهُ مِمّا يَقومُ عَلى الثّلاثِ كَسيرا»[4]

ومنه أيضاً، ما ذكره في تفسيره قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[5]، إذ قال في بيان معنى لفظة (مِشْكاة): «وهي الكوّة في الجدار غير النّافِذَة»[6]،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٥٦.

(٢) سورة ص « الآية ٣١.

(٣) الكشّاف ٣/ ٣٧٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٠.

(٥) سورة النور « الآية ٣٥.

(٦) الكشّاف ٣/ ٦٧.

وهذا الكلام مذكور بمعناه في كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، إذْ يقول في بيان معنى اللفظة نفسها: «وهي الكوة في الحائط التي ليست بنافذة»[1].

ب – نقل الآراء:

استعمل الزمخشريّ هذا الأسلوب بكثرة أيضاً- في نقل المادّة اللّغوية التي تضمّنها (الكشّاف)، فكثيراً ما يورد الرأي بألفاظ قائله، كاملاً أو مجتزأ، وقلما نجده يذكر رأياً لأحد الأعلام بغير أيراد عبارة مؤلفه.

وقد يشير إلى صاحب الرأي أو لا يشير إليه، وإنما يكتفي بالقول: (قيل، يقال، قالوا... الخ).

فمن الأمثلة على الأول ما أورده في قراءة (نَسْيا) بالفتح في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[2]، إذ قال: «وقرأ ابن وثّاب والعمش وحمزة وحفص نَسيا بالفتح، قال الفرّاء: هما لغتان كالوَتْرِ والوِتْر والجَسْرِ والجِسْرِ»[3].

ومن ذلك أيضاً، ما ذكره في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾[4]، إذ قال: «الكنود: الكفور، وكند النعمة كنوداً ومنه سمي كنده لأنه كند أباه ففارقه وعن الكلبّي: الكنود بلسان كنده العاصي، وبلسان بني مالك البخيل، وبلسان مضر وربيعة الكفور»[5]، وينظر ذلك في مواضع أخرى[6].

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٦٦.

(٢) سورة مريم : الآية ٢٣.

(٣) الكشّاف ٢/ ٥٠٦ وينظر: (معاني القرآن) للفراء ٢/ ١٦٤.

(٤) سورة العاديات : الآية ٦.

(٥) الكشّاف ٤/ ٢٧٨ وينظر: (معاني القرآن) للفراء ٣/ ٢٨٥.

(٦) ينظر: الكشّاف: ١/ ١٣٣ و ٥٥١، ٢/ ٣٩٩، ٥٣٣، ٣/ ٢٢٤، ٣٤٠، ٤/ ١٩٧.

ومن الأمثلة على الثاني: ما أورده في تفسير قولِهِ تعالى ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾[1]، إذ قال: «وقيل الصريم: الليل: أي احترقت فاسودت، وقيل النهار: أي يبستْ وذهبَتْ خضرتها أو لم يبق شيء منها من قولهم بيض الإناء إذا فرغه، وقيل الصريم الرَّمال»[2].

ومنه أيضاً ما ذكر في أصل كلمة (سِجِّيل) في قوله تعالى ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾[3]، وإذ قال «قيل هي كلمة معرَّبة من سنككل... وقيل هي من أسْجَلَه إذا أرْسَله»[4] وينظر في ذلك مواضع أخرى في (الكشّاف)[5].

(١) سورة القلم « الآية ٢٠.

(٢) الكشّاف ٤/ ١٤٤.

(٣) سورة هود « الآية ٨٢.

(٤) الكشّاف ٢/ ٢٨٤.

(٥) ينظر: الكشّاف ١/ ٤٣١، ٤٦٥، ٢/ ٤٦٢، ٥٢٥، ٣/ ٣١٦، ٣٥٢، ٤/ ٢٢٤.

المبحث الثاني:

الأَدلّةُ الصِّناعِيَّة

المقصود بالأدلّة الصّناعِيّة: هي الأدلة التي يعتمد عليها الباحث لإثبات حُكْمٍ ما في مسألة لغويّة، ويستند إليها اللّغويون لاستنباط قواعدهم وأحكامِهم اللّغويّة[1].

ومن أدلّة الصّناعة: ١ - السماع.

٢ - القياس.

وقد ذكر لهذين الدليلين أثرهما الواضح في توجيه صاحب (الكشّاف) لكثير من المسائل اللّغوية فيه، وهي كالآتي:

أولاً: السماع:

في اللغة: هو «ما سمعت به فشاع وتكلّم به»[2].

واصْطلاحاً: «ما يثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن وكلام نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده، إلى أنْ فَسدتْ الألْسِنَة بكثرة المولّدين نظْماً ونثراً»[3].

وقد أشار الزّمخشري في موضع من تفسيره إلى أنّ الكلام الموثوق به هو الكلام الفصيح: «والمراد بالفصاحة أنّه على السنة الفصحاء من العَرَب الموثوقِ بعربيّتهم أدور وهم له أكثر استعمالاً»[4].

---

(١) ينظر: لُمَعَ الأدلّة في اصول النحو.

(٢) لسان العرب – سمع- ٢/٢٠٣.

(٣) الاقتراح في علم أصول النحو ٣٦.

(٤) الكشّاف ٢/٢٨٨.

وَتَنْحَصِرَ المادّة المَسْموعة (الفصيحة) في:

أ- القرآن الكريم والقِراءات القرآنية.

ب-الحديث النّبوي الشّريف.

ج - كلام العرب المنظوم والمنثور.

أ - القرآن الكريم والقراءات القرآنية:

- القرآن الكريم:

مما لا شك فيه أنّ القرآن الكريم هو من أوثق النصوص التّي استشهد بها اللّغويون في إثبات أحكامهم اللّغوية، فهو كلام رَبّ العالمين، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[1] وقد أكثر صاحب (الكشّاف) الاستشهاد بالقرآن الكريم على المسائل اللغويّة، فقد بَلَغَتْ شواهده القرآنية أكثر من أربعين شاهِداً قرآنياً، ويُمْكن ملاحظة عدّةِ أمور على استشهاده بكلام الله تعالى:

١- يستشهد في مواضِع عديدة بالنّصّ القرآني بغرض دلاليّ، فيذكر المعنى الدّلالي للفظة، ثم يدعم ذلك بمواضع مشابهة من القرآن الكريم، ومثال ذلك: ما أورده في بيان معنى (بُسّت) في قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝﴾[2] إذ قال: «وَفُتَّت حتّى تعود كالسُّويق أو سيقت من بسّ الغنم إذ ساقها كقوله - ﴿وسيرت الجبال﴾[3]»[4].

---

(١) فصّلت :٤٢.

(٢) الواقعة : ٥.

(٣) في قوله تعالى: وسُيرت الجبال فكانت سراباً- النبأ :٢٠.

(٤) الكشّاف ٤/ ٥٢.

ومن أمثلته أيضاً، ما ذكر في بيان معنى (السُّبات) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا﴾[1]، فقال: «السُّبات: الموت، والمسبوت: الميت لأنه مقطوع من الحياة، وهذا كقوله: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾[2]»[3].

ومن ذلك أيضاً، ما ورده في بيان معنى السُّحت في قوله تعالى ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾[4] إذ قال: «السُّحت: كل ما لا يحلّ كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى ﴿يمحق الله الربا﴾[5] والربا باب منه»[6]. وهناك أمثلة أخرى في (الكشّاف)[7].

٢- الصفة الغالبة على استشهاده بالقرآن الكريم أنه يورد الآية ناقصة من غير إتمام كما في الأمثلة السابقة.

٣- قد يورد الآية القرآنية كاملة، ومثال ذلك ما استشهد به في تفسير قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[8]، حيث استشهد بآية كريمة –وقد أوردها كاملة– لبيان معنى (الخُلد) فقال: «الخلد: الثبات الدائم

---

(١) الفرقان ٤٧.

(٢) في قوله تعالى: وهو الذي توفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون- الأنعام :٦٠.

(٣) الكشّاف ٣/ ٩٢.

(٤) المائدة : ٤٢.

(٥) في قوله تعالى : ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ البقرة :٢٧٦.

(٦) الكشّاف ١/ ٦١٤.

(٧) ينظر: الكشّاف ١/ ٤٦٠، ٢/ ٢٤٧، ٥٢٨/ -٥٢٩، ٣/ ٤٩٥، ٤/ ٢٢٧، ٤٧٨.

(٨) البقرة : ٢٥.

والبقاء اللازم الذي لا ينقطع، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾[1]»[2].

٤- قد يورد أكثر من شاهد قرآني على مسألة لغوية، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3] فهو يتساءل قائلاً «فإن قلت: كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جماداً وإنّما يقال ميّت فيما يصحّ فيه الحياة من البُنى؟ قلت: بل يقال ذلك لعادمِ الحياة كقوله: ﴿بلدة ميتاً﴾[4] ﴿وآية لهم الأرض الميتة﴾[5] - ﴿أموات غير أحياء﴾[6]-»[7] وفي الكشاف مواضِعُ أُخَرُ في ذلك[8].

القراءات القرآنية:

القراءات القرآنية هي «اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيض وتثقيل وغيرهما»[10]، وقد وضع العلماء شروطاً للقراءة الصحيحة فـ «كلّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانيّة ولو احتمالاً وصحّ سندها فهي القراءة الصَّحيحة التي لا يجوز رَدُّها ولا يحِلُّ إنكارها بل هي من الحروف السَّبْعة التي نزل بها القرآن ووجب على النَّاس قبولها، سواء كانت عَنِ الأئمة السَّبْعة أم

---

(١) الأنبياء: ٣٤.

(٢) الكشّاف ١/ ٢٦١ وهناك أمثلة أخرى ينظر الكشّاف ٣/ ٣٢، ٣٨، ٨٠.

(٣) البقرة : ٢٨.

(٤) في قوله تعالى: لنُحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً الفرقان ٤٩.

(٥) في قوله تعالى: وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلونَ يس ٣٣.

(٦) في قوله تعالى: أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثونَ النحل ٢١.

(٧) الكشّاف ١/ ٢٦٩.

(٨) ينظر: الكشّاف ١/ ١١٦، ١/ ١٧٩، ١/ ٤٨٧، ٣/ ٣٨.

(١٠) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣١٨.

عَنِ العَشَرَة أم غيرهم من الأئمّة المقبولين؛ ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السّبعة أم عمّن هو أكبر منهم»[1].

وقد استدل الزمخشريّ في مواضِع عديدة في تفسيره بالقراءات القرآنية، على المسائل اللغوية الواردة فيها، وفيها يأتي بيان طريقته في الاستشهاد بهذه القراءات القرآنية:

١- يستدلّ بالقراءات القرآنية للوصول إلى المعنى المقصود، ومن أمثلة ذلك، ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[2] إذ قال: (الفوم والحنطة، ومنه فوموا لنا أيْ أخبزوا لنا وقيل الثوم ويدلّ عليه قراءة ابن مسعود وثُومِها[3]، وهو للعَدَس والبصل أوفق»[4].

ومنه أيضاً ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾[5]، إذ قال «الذرّة: النملة الصّغيرة، وفي قراءَةِ عبدِ الله مثقالَ نملة[6] »[7] وفي (الكشّاف) أمثلة أخرى على ذلك[8].

٢- قد يستشهد بقراءة قرآنية على إثبات أصْل كلمة ما، من ذلك ما أورده في بيان أعجميّة (إنجيل) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾[9]، إذْ قال: «وقرأ الحَسَن الأَنجيل بفتح الهمزة[10]، وأمره أهون من

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٩.

(٢) البقرة :٦١.

(٣) ينظر: معجم القراءات القرآنية ١/ ٦٣.

(٤) الكشّاف ١/ ٢٨٤-٢٨٥.

(٥) النساء : ٤٠.

(٦) ينظر: معجم القراءات القرآنية ٢/ ١٣٣.

(٧) الكشّاف ١/ ٥٢٧.

(٨) ينظر الكشّاف ١/ ١٣٥، ٢/ ٤٤، ١٢١، ٤/ ٢٢٧، ٤٧١، ٤٨٧.

(٩) الحديد :٢٧.

(١٠) ينظر: معجم القراءات القرآنية ٧/ ٩٠.

أمر البرطيل والسّكينة فيمَنْ وراءهما بفتح الفاء، لأنّ الكلمة أعجميّة لا يلزم فيها حِفْظ أبنية العرب[1].

٣- يذكر الزمخشري – في أغلب المواضِع – صاحب القراءة التي يستشهد بها، كما في الأمثلة المتقدّمة.

٤- أغلب القراءات التي يستشهد بها الزمخشري مَرْجِعُها اختلاف لغات القبائل[2] ومن أمثلة ذلك، ما ذكره في كَلِمة (قِسْطاس) في قولِه تعالى ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾، قائلاً «قرىء بالقُسْطاس مضموماً ومكسوراً[3]»[4]، فالضم لغة الحجاز، والكسر لغة غيرهم[5].

ومنه أيضاً ما ورد في إبدال التاء هاء في لفظة (التابوت) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[6] إذْ قال: «وقرأ أُبيّ وزيد بن ثابت التّابوه[7] وهي لُغَة الأنصار»[8].

ومن ذلك أيضاً: ما ذكره من مجيء (الخَمْر) بمعنى (العِنَب) في لغة عمان، إذْ قال في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[9] ما

---

(١) الكشّاف : ١/ ٤٠.

(٢) ينظر: المبحث الخاص بـ (اختلاف لغات العرب) في الفصل الرابع ص ١١٢-١١٩.

(٣) ينظر: معجم القراءات القرآنية ٤/ ٣٢٥.

(٤) الكشّاف ٣/ ١٢٦.

(٥) ينظر: تفسير البحر المحيط ٦/ ٣٤ والقراءات واللهجات ١٢٥.

(٦) البقرة :٢٤٨.

(٧) ينظر: معجم القراءات القرآنية ٤/ ٣٢٥.

(٨) الكشّاف ١/ ٣٨٠.

(٩) يوسف :٣٦.

نَصّه: «(أعْصِرُ خَمْرًا) يعني عِنباً تَسْمية للعِنب بما يؤول إليه، وقيل الخَمْر بلغة عمان اسم العنب وفي قراءة ابن مسعود أعصر عِنَباً[1]»[2]. وفي (الكشّاف) أمثلة أخرى على ذلك[3].

ب- الحديث النبوي الشريف:

لم يتفق العلماء على مسألة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف على الرُّغم ممّا يتمتّع به من فصاحة الألفاظ وَبلاغة الأسلوب، فـ «لم يسمَع النّاس بكلام قط – بعد كلام الله- أعمّ نفعاً ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسْهل مخرجاً، ولا أفصَحَ مَعْنى ولا أبْيَنْ فَحْوىً»[4] من كلام النبيّ صلى الله عليه وسلم ذلك الكلام: «الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وَجلّ عن الصّنعة ونزّه عن التكلّف.. استعمل المبسوط في موضع البسْط، والمقصور في موضع القصر... فلم ينطق من ميراث حكمهن ولم يتكلّم بكلام من حفّ بالعصمة...»[5].

ويمكن تقسيم علماء اللغة العربية في جواز الاستشهاد بالحديث على ثلاثة أقسام[6]:

الأول: منعوا الاستشهاد به مطلقاً، وهم غالبيّة العلماءِ من البصريّين والكوفيّين.

الثاني: أجازوا الاستشهاد به مطلقاً ويمثّل هذا الرّأيَ ابن خروف[7] وابن مالك.

الثالث: أجازوا الاستشهاد بالحديث المنقول بلفظه ومنعوا الاستشهاد بما نقل بمعناه، ويمثّل هذا الرّأي الشاطبيّ[8].

---

(١) ينظر معجم القراءات القرآنية ٣/ ١٦٩.

(٢) الكشّاف ٢/ ٣١٩.

(٣) ينظر: الكشّاف ١/ ٤٦٥، ٢/ ١٩٦، ٥٨٤، ٣/ ١١، ٣١٦، ٣٣٧، ٤/ ٢٢٣.

(٤) البيان والتبيين ٢/ ١٧-١٨.

(٥) البيان والتبيين ٢/ ١٧.

(٦) ينظر الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٥٣.

(٧) علي بن محمد بن علي بن نظام الدين أبو الحسن (ت ٦٠٩ هـ) ينظر: بغية الوعاة ٢/ ٢٠٣.

(٨) القاسم بن فيّرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد (ت ٥٩٠ هـ) ينظر: بغية الوعاة ٢/ ٢٦٠.

أمّا صاحب (الكشّاف) فقد أجاز الاستشهاد بالحديث مطلقاً ودليل ذلك ما وردتْ في تفسيره من استشهادات بالحديث النبوي على المسائل اللّغوية، والنّحوية[1] والصّرفيّة[2]. وقد أشار الدّكتور فاضل السّامرائي إلى ذلك بقوله: «.. وفي الحقّ أنْ يوضع الزمخشري في أوائل الذّين يستشهدون بالحديث الشّريف في النّحو واللّغة»[3].

ويمكن ملاحظة عدّة أمور على استشهادات الزمخشري بالحديث النبويّ الشريف، وهي:

١- يورد الزّمخشري - في أغلب المواضع - الحديث ناقِصاً من دون ذكر تتمّته، مثال ذلك ما ذكره في تعليقه، من أنّ (عَفَوْا) بمعنى (كثروا) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[4]، إذ قال: «كثروا ونموا في أنْفُسِهم وأمْوالِهم من قولهم عَفَا النّبات وَعفا الشّحم والوَبَر: إذا كثُرتْ، وَمِنْه قوله صلى الله عليه وسلم: [واعفوا اللحى]»[5].

وهذا الحديث الذي استشهد به الزمخشري، متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[6] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [حفوا الشوارب وأعفوا اللحى][7].

٢- وقد يورد الحديث كاملاً، مثال ذلك ما أورده في بيان معنى (الرَّيْب) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[8] إذْ قال: «حقيقة الرِّيبة قلق النّفس واضطرابُها ومنه ما رُوي عن الحسن بن علي قال سمِعْتُ رسول الله صلى الله

---

(١) ينظر: الدراسات النحوية في الكشّاف للزمخشري ٦٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: الكشّاف للزمخشري دراسة صرفية ١٨-٢٠.

(٣) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ١٨١.

(٤) الأعراف: ٩٥.

(٥) الكشّاف: ٢/ ٩٨ وهناك أمثلة أخرى ينظر الكشّاف ١/ ٣٦٥؛ ٣/ ٥٧٧، ٥١٣، ٤/ ٢٧٨.

(٦) ينظر: حاشية ابن حجر على تفسير الكشّاف ١/ ٢٢٢ طبعة دار الكتاب العربي - بيروت.

(٧) صحيح مسلم ١/ ٢٢٢.

(٨) البقرة: ٢.

عليه وسلم يقول: [دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة][1]»[2].

٣- قد يورد أكثر من حديث نبوي في مسألة ما، والمثال على ذلك ما استشهد به في بيان معنى (القَرْء) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[3] إذ قال: «والقروء جمع قَرء أو قُرء وهو الحيض بدليل قوله عليه الصلاة والسلام [دعي الصلاة أيام اقرائك][4] وقوله: [طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان][5]»[6].

٤- يكثّر الزمخشري من رواية الحديث بالمعنى لا بلفظه، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾[7] إذ قال: «ولا تعزموا عقدة النّكاح، وقيل معناه: ولا تقطعوا عقدة النّكاح وحقيقة العَزْم القَطْع بدليل قوله عليه الصّلاة والسّلام: [لا صيام لمن لم يعزم الصيام في الليل][8] وروى [لم يبيت الصيام][9]»[10].

---

(١) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ٤/ ٦٦٨.

(٢) الكشّاف ١/ ١١٣.

(٣) البقرة :٢٢٨.

(٤) ينظر: حاشية ابن حجر على تفسير الكشّاف ١/ ٢٧١ طبعة دار الكتاب العربي، سنن الدار قطني ١/ ٢١٢.

(٥) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ٣/ ٤٨٨.

(٦) الكشّاف ١/ ٣٦٥ ومن الأمثلة الأخرى، ينظر الكشّاف ١/ ٤٧٥، ٣/ ٩٩.

(٧) البقرة : ٢٣٥.

(٨) أخرجه أصحاب السنن بلفظ [لمن لم يُجْمِع]، ينظر حاشية ابن حجر على الكشّاف ١/ ١/ ٢٨٤ط. دار الكتاب العربي، أخرجه ابن ماجه بلفظ [لمن لم يفرضْهُ]، ينظر: (صحيح سنن ابن ماجه) ١/ ٢٨٣ -٢٨٤.

(٩) ينظر سنن النسائي ٤/ ١٩٦-١٩٧.

(١٠) الكشّاف ١/ ٣٧٤.

ومن ذلك أيضاً ما استشهد به في بيان معنى (الصّافِنات) في قولِهِ تعالى ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝﴾[1] جاء في (الكشّاف): «وأمّا الصّافن فالذي يَجْمَع بيْنَ يَدَيْه، وعَن النّبي صلى الله عليه وسلم: [من سره أن يقوم الناس له صُفوفاً فليتبوّأ مقعده من النار][2] أيْ واقفين كما خَدَم الجبابرة»[3].

ح – كلام العرب المنظوم والمنثور:

١ – الشعر:

يُعَدُّ الاستشهاد بالشعر سِمةً بارزة في كُتُب اللغويين، فمن النّادر أنْ نجد كتاباً من كُتُب اللغة يخلوا من شواهد شعرية، فهو خيرُ عوْنٍ للعلماء في فهم الغريب من النّصوص القرآنيّة يقول ابن عبّاس:

«إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطْلبوه في أشعار العَرَب، فإنّ الشعر ديوانُ العرب، وكان إذا سُئِل عن شَيءٍ من القرآن الكريم أنْشَدَ فيه شِعراً»[4]، ويقول ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): «هو حجّةٌ فيما أشكل من غريب كتاب الله –جلّ ثناؤه– وغريب حديث رسول الله»[5] صلى الله عليه وسلم.

وقد استشهد الزمخشري بالشعر أكثر من الاستشهاد بغيره من الشواهد اللّغوية، وما يعنينا في هذه الدّراسة هو ما استشهد به الزمخشري من شِعْرٍ في المسائل اللّغويّة الواردة في تفسيره.

وهنا لابد من القَوْل بأن العلماء قسّموا الشُّعراء منْ حَيْثُ جوازُ الاستشهاد بِشِعْرهم على طبقات أربَعٍ، ولمْ يُطْلِقوا الاستشهادَ بِشعر الشّعراء جميعِهِم، وهذه الطّبقات هي:

---

(١) ص ٣١.

(٢) سنن أبي داود، ٤/ ٣٥٨، وقد أخرجه برواية [من أحب أن يُمَثّل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار].

(٣) الكشّاف ٣/ ٣٧٣.

(٤) العمدة ١/ ٢٣.

(٥) الصّاحبي ٢٧٥.

- الطبقة الأولى (الجاهليّون): وهم الذّين عاشوا في الجاهليّة ولمْ يدركوا الإسلام.

- الطبقة الثّانية (المخَضْرمون): وهم الذين عاشوا في الجاهليّة وأدركوا الإسلام.

- الطبقة الثالثة (الإسلاميّون): وهم الذين عاشوا في صَدْر الإسلام إلى نهاية العَصْر الأمويّ.

- الطبقة الرّابعة (المحدثون): وهم مَنْ جاؤوا بَعْدهم.

وقد قال عبد القادر البغداديّ في جواز الاستشهاد بهذه الطّبقات: «الطبقتان الأوّليّان يستشهد بشعرهما إجماعاً وأما الثالثة فالصّحيح صحّةُ الاستشهاد بكلامها.. وأمّا الرّابعة فالصّحيح أنّه لا يستشهد بكلامها مطلقاً، وقيل يُسْتَشْهَد بكلام من يوثَق بهم، واختاره الزّمخشريّ»[1] ولعلّ إشارة صاحبِ الخزانةِ إلى استشهاد الزمخشري بِشِعْر الطبَقة الرّابعة، تعود على ما ذكره الزمخشري في الكشّاف في استشهاده بشعر أبي تمام – وهو من شعراء الطّبقة الرّابعَة- إذْ قال: «وهو –أيْ أبي تمام- وإن كان مُحْدَثاً لا يستشهَدُ بشِعره في اللّغة، فهوَ من علماء العربيّة، فاجْعَل ما يقولهُ بمنزلةِ ما يرويهِ ألا ترى إلى قول العلماء: والدليل عليه بَيْتُ الحماسة، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه»[2] وقد اعْترض على قولِهِ بأن «قبُولَ الرّواية مبنيٌّ على الضّبط والوثوق واعتبارُ القول مبنيٌّ على معرفة أوْضاع العربية والإحاطة بقوانينها، ومن البيِّن أن اتقان الرّواية لا يستلزم إتقان الدّراية»[3].

هذا فيما يخّص جواز الاستشهاد بشعر شعراء هذه الطّبقات وعَدَم جواز ذلك، أمّا الشعراء الذين استشهد الزمخشري بشعرهم في المسائل اللغويّة الواردة في (الكشّاف) فهم:

---

(١) خزانة الأدب ١/ ٣-٤

(٢) الكشّاف ١/ ٢٢٠-٢٢١.

(٣) إتحاف الإيجاد ٧٠.

١- شُعراءُ الطَبقة الأولى (الجاهليّون):

امرؤ القيس[١] والمرقّش الأصغر[٢] وسلامة بن جَنْدل[٣] والنّابغة الذّبيانيّ[٤] و زهير[٥] وأميّة ابن أبي الصَّلت[٦] والأعشى[٧].

٢- شعراء الطبقة الثانية (المخضرمون):

الشّماخ[٨] وأبو ذؤيب[٩] وحُميد بن ثور الهلالي[١٠] والأشعث بن قيس[١١] ولبيد[١٢].

---

(١) ينظر: الكشّاف ١/ ٢٦٢، ٢/ ٤٤، ٣/ ٣٢،ن وهو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٨٠ ق هـ)، ينظر الشعر والشعراء ٥٠، الأعلام ٢/ ١١.

(٢) ينظر: الكشّاف ٢/ ٥١٤، وهو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك (ت ٥٠ ق. هـ)، ينظر الشعر والشعراء ١٤٢، والأعلام ٣/ ١٦.

(٣) ينظر: الكشّاف ٢/ ٣٨٤. وهو سلامة بن جندل بن عمرو بن سعد التميمي (٢٣ ق. هـ) ، ينظر الشعر والشعراء ١٩٢، الأعلام ٣/ ١٠٦.

(٤) ينظر. الكشّاف ٢/ ٣١٦، ٣/ ٥٩ ، وهو زياد بن معاوية بن ضباب الذّبياني الغطفانيّ المضريّ (ت ١٨ ق. هـ)، ينظر الشعر والشعراء ٩٢، الأعلام ٣/ ٥٤.

(٥) ينظر: الكشّاف ١/ ٢٥٦، ٢/ ٢٨٥، ٣٨٢، ٤١١، ٤٧٨ وهو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني (ت ١٣ ق. هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٧٦، الأعلام ٣/ ٥٢.

(٦) ينظر: الكشّاف ١/ ٢٤٤، وهو أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي (ت ٥هـ) ينظر الشعر والشعراء ٣٦٩، الأعلام ٢/ ٢٣.

(٧) ينظر: الكشّاف ٢/ ٣٥٢، ٣/ ٥٠٣، ٥٣٢، وهو ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس (ت ٧هـ) ، ينظر: الشعر والشعراء ١٧٨، الأعلام ٧/ ٣٤١.

(٨) ينظر الكاشف: ١/ ٢١٤، ٢/ ٤٥٨، وه الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني، الغطفاني (ت ٢٢هـ) ، ينظر: الشعر والشعراء ٢٣٢، الأعلام ٣/ ١٧٥.

(٩) ينظر: الكشّاف ٣/ ٥٦، ٤/ ٢٤٦، وهو خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب (ت ٣٧ هـ) ينظر الشعر والشعراء (٥)٤٧، الأعلام ٢/ ٣٢٥.

(١٠) ينظر: الكشّاف ٣/ ١٢٨، وهو حُميْد بن ثور الهلالي العامري (ت نحو ٣٠هـ) ، ينظر: الشعر والشعراء ٣٠٦، (١)الأعلام ٢/ ٢٨٣.

(١١) ينظر: الكشّاف ٤/ ٢١٣، وهو الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي (ت ٤٠هـ)، ينظر: الأعلام (١)/ ٣٣٢.

(١٢) ينظر: الكشّاف ١/ ٦١٠، ٢/ ١٤٠، ٣٦٤، ٤/ ٢٧٨، وهو لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري (ت ٤١ هـ) ينظر الشعر والشعراء ١٩٤، الأعلام ٥/ ٢٤٠.

وَحُطَيئة[1] والنّابغة الجَعْديّ[2] وحسّان بن ثابت[3].

وسُحَيْم بنُ وُثَيْل الرّياحي[4] والعجّاج[5] وابن الرِّقاع العامليّ[6].

٣- شعراء الطبّقة الثالثة (الإسلاميّون):

إبن مُفَرّغ[7] وليلى الأخيلية[8] والأخْطَل[9] وكُثَيِّر[10] وجَرير[11] والفرزدق[12] و ذو

---

(١) ينظر: الكشّاف ٢/ ٩٨، وهو جَرْوَل بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة (ت ٤٥ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٢٣٨، الأعلام ٢/ ١١٨.

(٢) ينظر: الكشّاف قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة العامري (ت ٥٠ هـ)، ينظر الشعر والشعراء ٢٠٨، الأعلام ٥/ ٢٠٧.

(٣) ينظر الكشّاف ٢/ ١٧٦، ٣٨٢، وهو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري (ت ٥٤ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٢٢٣، الأعلام ٢/ ١٧٥.

(٤) ينظر الكشّاف: ٢/ ٣٦٠ وهو سحيم بن وثيل بن عمرو الرياحي البربوعي الحنظلي التميمي (ت ٦٠هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٢٨٩، الأعلام ٣/ ٧٩.

(٥) ينظر: الكشّاف ٢/ ٩٧، ١٢٤، ٤/ ٢٢٤، وهو عبد الله بن رؤية بن لبيد بن صخر السعدي التميمي العجاج، (ت ٩٠ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٤٩٣، الأعلام ٤/ ٨٦.

(٦) ينظر: الكشّاف ١/ ٣٨٤، وهو عدي بن زيد بن مالك بن عدي الرِّقاع (ت ٩٥ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٥١٥، الأعلام ٤/ ٢٢١.

(٧) ينظر الكشّاف: ١/ ٥٢٤، وهو يزيد بن زيادبن ربيعه الملقب بمفرغ، الحميري (ت ٦٩ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٢٧٦، الأعلام ٨/ ١٨٣.

(٨) ينظر: الكشّاف ١/ ٤٥٧، وهي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد ابن كعب، الأخيلية (ت٨٠ هـ) ينظر الشعر والشعراء ٣٥٦، الأعلام ٥/ ٢٤٩.

(٩) ينظر: الكشّاف ١/ ٣٢٨، ٤٢٨، وهو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو (ت ٩٠ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٣٩٣، الأعلام ٥/ ١٢٣.

(١٠) ينظر: الكشّاف ٣/ ١٧٤، وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي (ت١٠٥ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٤١٠، الأعلام ٥/ ٢١٩.

(١١) ينظر: الكشّاف ١/ ٢٣٧، ٢/ ٢٥٧، وهو جرير بن عطيه بن حذيفه الخطفي بن بدر الكلبي البربوعي (ت ١١٠ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٣٧٤، الأعلام ٢/ ١١٩.

(١٢) ينظر: الكشّاف ٣/ ٥٤٣، وهو همام بن غالب بن صعصعة التيمي الدارمي (ت ١١٠ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٣٨١، الأعلام ٨/ ٩٣.

الرّمّة[1]، والطّرمّاح[2]، ورؤبة[3]، وابن ميّادة[4]، وابن هَرْمَه[5].

٤- شُعراء الطبّقة الرّابعة (المُحْدَثون):

أبو الطيّبِ المتنبّيّ[6]

وقد بلغت شواهد الزمخشري فيما يتعلق بالمسائل اللّغوية أكِثر من (٦٠) شاهداً بين بَيْتٍ وشطرٍ ورَجَزٍ، وكان أكثر استشهاده بشعر شعراء الطّبقات الثّلاث الأُوَل، ويمكن بيان طريقة الزمخشري في الاستشهاد بهذه الشّواهد الشّعريّة في عِدّة أمُور، وَهي:

١- لا يصرِّح الزمخشري باسْم القائل في أغلب الشّواهد، وإنّما يكتفي بقولِه (قال... أنشد... ولبعضهم..) والأمثلة على ذلك كثيرةٌ، منها ما جاء في تفسيره لفظة (حَصْحَصَ) الواردة في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[7]، إذ قال «حَصْحَصَ.. أي ثبت واسْتقر.. وهو من حَصْحَصَ البعير: إذ ألقى ثفناته للإناخة، قال[8]:

---

(١) ينظر: الكشّاف ٢/ ٤٧٥،، ٣/ ٣٨٧، ٤/ ٤١، وهو غيلان بن عقبة بن بهيس بن مسعود العدوي (ت ١١٧ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٤٣٧، الأعلام ٥/ ١٢٤.

(٢) ينظر: الكشّاف ١/ ٢٦٧ ، وهو الطرماح بن حكيم بن الحكم من طيء (ت ١٢٥ هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٤٨٩، العلام ٣/ ٢٢٥.

(٣) ينظر: الكشّاف ١/ ٢٩٤، ٢/ ٣٩٩، ٣/ ٥٦٠، وأيضاً ١/ ٢٦٧، وهو رؤبه بن عبد الله العجاج بن رؤبة التيمي السعدي •ت ١٤٥هـ)، ينظر: الشعر والشعراء ٤٩٥، الأعلام ٣/ ٢٤.

(٤) ينظر: الكشّاف ١/ ٢٤٤، وهو الرماح ابن أبرد بن ثوبان الذيابني الغطفاني المصري (ت ١٤٩ هـ)، ينظر: الشعر (و)الشعراء ٦٥٥، الأعلام ٣/ ٣١.

(٥) ينظر: الكشّاف ١/ ٣٦٩، وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمه الكناني القرشي (ت ١٧٦ هـ)، ينظر: (ا)لنجوم الزاهرة ٢/ ٨٤، والأعلام ١/ ١٥٠.

(٦) ينظر: الكشّاف ١/ ٤٦٢، ٢/ ٣١٧، وهو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفيّ الكوفيّ الكندي (ت ٣٥٤ هـ)، ينظر الأعلام ١/ ١١٥.

(٧) يوسف ٥١.

(٨) البيت لحميد بن ثور الهلالي يصف بعيراً، ينظر الكشّاف ٤/ ٥٢٧، و(حُمَيْد بن ثور الهلاليّ: حياتُهُ وَشِعْرُه) ١٢١ والبيت برواية: وَتَصبّصَ في صمّ الصّفا ثفَناته ... وَرامَ عَليّ أمره ثمّ صمّما

فَحَصْحَصَ في صمّ الصّفا ثفناته وَناءَ بِسَلْمى نواةً ثُمّ صَمّما»[1]

ومنها أيضاً ما قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾[2] إذ قال: «والحنيف المائِل عن كلّ دين باطل إلى دين الحق، والحَذَفُ المَيْلُ في القَدَمَيْنِ وتَحَنَّف: إذا مال، وأنشد:

ولكنّا خُلِقنا إذْ خُلِقْنا حَنيفاً دِينُنا عَنْ كُلِّ دينِ»[3]

٢- وَقَدْ يصرّح باسم القائل، فَمِن شعراء الطّبقة الأولى (الجاهليّين)، الذين صَرَّحَ بأسمائهم، ابن الرقاع العاملي الذي استشهد الزمخشري بشعره في بيان معنى (سِنَةٌ) في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[4]، إذ قال: «والسِّنَة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النّعاس، قال ابن الرّقاع العامِلِيّ:

وَسْنانُ أقصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ في عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنائِمِ»[5]

ومن شعراء الطبقة الثانية (المخضرمين)، أبو ذؤيب الذّي استشهد بشعره في بيان معنى (الفَحْشاءِ) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ

---

(١) الكشاف ٢/٣٢٦.

(٢) البقرة «١٣٥».

(٣) الكشّاف ١/ ٣١٤ ومن الأمثلة الأخرى، ينظر: الكشاف ١/ ٣٦، ٣٤٢، ٢/ ٣٢٦، ٥٣٦، ٣/ ٢٣٧، ٥١٠.

(٤) البقرة ٢٥٥.

(٥) الكشّاف ١/ ٣٨٤، والبيت في (ديوان شعر عديّ بن الرّقاع العامليّ) ١٢٣.

ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[1] إذ قال: «الفحشاء والفاحشة: ما أفرط قبحه، قال أبو ذؤيب: «ضَرائِرُ حِرْمِيٍّ تفاحَشَ غارُها» أي أفرطت غيرتها»[2].

ومن شعراء الطّبقة الثالثة (الإسلاميّين)، جرير الذي استُشْهِدَ بشعره في تفسير قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾[3]، إذ قال مفسّراً لفظة (أطَّلَعَ): «.. من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى مَرَّ مطَّلِعاً لذلك الأمر: أي عالياً مالكاً له»[4].

ومن شعراء هذه الطّبقة أيضاً، ذو الرُّمّة، فقد استشهد بشعرهِ على إبدال السّين صاداً في (سَقَر) في قولـهِ تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾[5] فقال: «وسَقَر علمٌ لجهنّم، من سَقَرَتْهُ النّار وصَقَرَتْه إذا لوّحَتْه: قال ذو الرُّمَّة:

إذا ذابَتِ الشّمْسُ أتقى صَقَراتها بِأَفْنانِ مَربوعَ الصَّريْمَةِ مُعْبَلِ»[6]

ومن شعراء الطّبقة الرابعة (المُحْدَثين)، أبو الطَّيب المتنبيّ وقد استُشْهِد بشعرهِ مبيّناً معنى (يَكْبِتَهُم) في قولـه تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾[7]، إذ قال: «ويقال كبته بمعنى كبده: إذا ضرب كبدَه بالغيظ والحرْقة، وقيل في قول أبي الطّيِّب « لأكْبُتَ حاسِداً وَأرى عَدوّاً » وهو من الكبد والرّئة»[8].

٣- يورد الزّمخشري – في أغلب المواضع – الشّاهد الشّعري كاملاً، وقد يكتفي – في بعضٍ منها – بإيراد الشّطر الذي يحوي موضع الشّاهد – كما تقدّم في قول زهير وأبي

---

(١) النور: ١٩.

(٢) الكشّاف ٣/ ٥٥–٥٦ والبيت في ديوان الهذليّين ٢٧، وصَدْرُه: لَهُنّ نشيج بالنَّشيلِ كأنّها ......

(٣) مريم: ٧٨.

(٤) الكشّاف ٢/ ٥٢٢ والبيت في ديوان جرير ١/ ٢٢٩ وصَدْرُه: إنّي إذا مُضَرٌ عَلَيَّ تَحَدّبَتْ......

(٥) القمر: ٤٨.

(٦) الكشّاف ٤/ ٤١، والبيت في (ديوان شعر ذي الرُّمّة) ٥٠٤.

(٧) آل عمران: ١٢٧.

(٨) الكشّاف ١/ ٤٦٢، والبيت في (ديوان أبي الطّيّب المتنبّي) ٣/ ٤، وعجزُه: كَأنّهُما وَداعُكَ وَالرَّحيلُ

ذؤيب وجرير وأبي الطيّب[1]- ، وقد يكتفي بإيراد موضع الشّاهد فقط، ومثال ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[2] إذ قال: في (تَسْتَأنِسُوا) «فيه وجهان أحدهما من الإستناس من الظاهر الذي هو خلاف الإستيحاش،... والثاني من الإستناس الذي هو الإستعلام والإستكشاف إستفعال من أنس الشّيءَ: إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً ...، ومنه بيت النّابغة: على مُستَأنسٍ وَحِدِ[3]»[4].

٤- يستشهد الزمخشري بالشاهد الشعري نفسه في مسألة واحد، مثال ذلك ما استشهد به في بيان معنى (غراماً) في قولِهِ تعالى ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾[5] إذ قال: « (غراماً) هلاكاً وخسراناً ملحاً لازماً قال:

يومَ النّسارِ ويوم الجفا   وكانا عذاباً وكانا غراماً

وقال:

إنْ يُعاقَبْ يكنْ غَراماً وإن يُعْطَ   جزيلاً فإنّهُ لا يُبالي»[6]

٥- قد يستشهد الزمخشري بالشّاهد الشعري نفسه في مسألةٍ واحدة في مواضع عّدة، فيعيد الشّطرَ نفسَهُ أو البيتَ الذي يحوي الشّطر نفسه كاملاً، ومثال ذلك ما ذكره في بيان

---

(١) وينظر أمثلة أخرى في الكشّاف ١/ ٣٦، ١/ ١٩٠، ٢/ ١٤٠، ٢/ ٢٨٥، ٢/ ٥٣٦، ٣/ ٢٩٦، ٣/ ٣٤٠، ٤/ ٣٢.

(٢) النور :٢٨.

(٣) وتتمة البيت هو: كأنّ رَحْلي، وقد زالَ النّهار بنا، يومَ الجليلِ، على مُستأنسٍ وَحِدِ [ديوان النابغة الذبياني ٣١].

(٤) الكشّاف ٣/ ٥٩ وينظر: أمثلة أخرى في الكشّاف ١/ ٢٥٦ ، ٢/ ٥٤٣.

(٥) الفرقان : ٦٥.

(٦) الكشّاف ٣/ ٩٩-١٠٠، وينظر أمثلة أخرى في الكشّاف ١/ ٤٥٦-٤٥٧، ٢/ ٣٨٤، ٣/ ١٧٤-١٧٥، ٤/ ٢٤٦.

معنى (العفو) في قولِهِ تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[1] ما نصّه: «العفو نقيض الجهد وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع، قال: «خذي العفو منّي تَسْتَديمي مودّتي»[2]، وأعاد الشّطر نفسَه في البيت الذي ضمنه، وفي تفسيره قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3] إذ قال: « (العَفْو) ضدّ الجهد، قال:

خذي العَفْوَ منّي تستديمي مودّتي ... ولا تَنْطِقي في سورَتي حينَ أغْضَبُ»[4]

٢- أمثال العرب وأقوالهم:

استشهد الزمخشري –كغيره من اللّغويين- بطائفةٍ من أمثال العرب وأقوالهم على المَسائل اللغوية الواردة في (الكشّاف)، وذلك في ثلاثةَ عَشَرَ موضعاً واستشهاداته هذه قليلة لو قيسَتْ باستشهاداته الشّعريّة –كما مرّ-، وفيما يأتي يمكِنُ بيان طريقته في الاستشهاد بأمثال العرب وأقوالهم في عدّة أمور:

١- أكثر استشهاداته بالمثال، وهو لبيان معاني الألفاظ، ومن أمثلته، ما أورده في بيان معنى كلمة (الرَّوْضَة) في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[5] إذ قال: «والرَّوْضَة عند العرب كلّ أرضٍ ذات نباتٍ وماءٍ، وفي أمثالهم: أَحْسَن من بيضة في رَوْضَة[6] يريدون بيضة النّعامة»[7]

(١) البقرة ٢١٩.
(٢) الكشّاف ١/ ٣٦٠.
(٣) الأعراف ١٩٩.
(٤) الكشّاف ٢/ ١٣٨ وهناك أمثلة أخرى في الكشّاف ١/ ٣٦٧، ٣٥٣ و ٢/ ١٦٦، ٣/ ٥٦٠.
(٥) الروم ١٥.
(٦) ينظر: مجمع الأمثال ١/ ٢٢٩.
(٧) الكشّاف ٣/ ٢١٧.

ومنه أيضاً، ما ذكره في بيان معنى (الهَوْن) في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[1]، إذ قال: «الهَوْنُ: الرِّفْقُ واللِّين.. والمَثَل: إذا عَزَّ أخوك فَهُنْ[2]، ومعناه إذا عاسَر فياسِر»[3] وفي (الكشّاف) مواضِع أخَرُ في ذلك[4].

٢- يَنسِبُ الأقوال التي يستشهد بها على رواتها (نَقْلاً عن العرب)، مثال ذلك ما اورده في تفسير قولهِ تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾[5] إذْ قال: «حَيْثُ قَصَدَ وأراد. حكى الأَصْمَعِيُّ عن العرب: أصاب الصّواب فأخطأ الجواب. وعن رؤبة أنّ رَجُلَيْن من أهل اللّغة قَصَداه ليسأله عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال: أين تُصيبان؟ فقال هذه طلبتنا ورَجَعا»[6].

ومنه أيضاً ما أورده في معنى (الرّهو) في قوله تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾[7] بأنّ «الرهو فيه وجهان احدهما أنه السّاكن... والثاني أنَّ الرَّهو الفجوة الواسعة. وعن بعض العرب أنّه رأى جملاً فالجاً فقال: سبحان الله هو بَيْن سنامين: أي اتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً»[8] وفي (الكشّاف) أمثلة أخرى على ذلك[9] وقد لا ينسب الزمخشري الأقوال إلى رواتها وإنما يكتفي بقوله (من قولهم)، وفي (الكشّاف) أمثلة على ذلك أيضاً[10].

---

(١) الفرقان : ٦٣.

(٢) ينظر: مجمع الأمثال ١/ ٢٢.

(٣) الكشّاف ٣/ ٩٩.

(٤) ينظر: الكشّاف ٢/ ٥٢٩، ٣/ ٨٨، ٣٢٠، ٤/ ٣٠٠.

(٥) ص ٣٦.

(٦) الكشّاف ٣/ ٣٧٥.

(٧) الدخان : ٢٤.

(٨) الكشّاف ٣/ ٥٠٣.

(٩) ينظر الكشّاف ١/ ١٤٩، ٤٩٧، ٢/ ٤٥٦، ٤/ ٣٥.

(١٠) ينظر: الكشّاف ١/ ٥٧، ٢٥٤، ٣/ ٩٩، ٢٣٧، ٣٧٥.

٣- قد يستشهد الزّمخشريّ بأقوال من سمعه هو، من ذلك، سماعه لغة للعرب من أهل السّروات[١]، إذ قال في تعليقه على قراءة الحسن (يابُشْرِي) بالياء[٢] في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾[٣] بأنّها لغة «لغة للعرب مشهورة، سمعت أهل السّروات يقولون في دعائهم: يا سيّدي ومَوْلي»[٤]، ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله من مجيء (العَوْد) بمعنى (صار) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾[٥] إذ قال: «العَوْد بمعنى الصَّيْرورة، وهو كثير في كلام العرب كثرةً فاشيةً لا تكاد تسمعهم يستعملون صار: ولكن، عاد ما عدت أراه، عاد لا يكلمني، ما عاد لفلانٍ مال»[٦].

ثانياً: القياس:

لغة: بمعنى التقدير، من قولهم «قاسَ الشّيء يقيسه قيساً، واقتاسه وقيّسه إذا قدّره على مثاله»[٧].

واصطلاحاً:

هو «حَمْل الشّيء على شيء لضرب الشّبه»[٨]، وهو «قولٌ مؤلّفٌ من قضايا إذا سُلِّمَتْ لَزِمَ عنها قولٌ آخر»[٩] وقد عرّفتِ الدكتورة خديجة الحديثي القياسَ بأنّه: «حَمْلُ مَجهولٍ على

---

(١) (السّروات) جمع (سَراة)، منطقة تقع بين تهامة واليمن في جزيرة العرب [معجم البلدان ٣/ ٢٠٤ - ٢٠٥].

(٢) ينظر معجم القراءات القرآنية ٣/ ١٥٨.

(٣) يوسف : ١٩.

(٤) الكشّاف ٢/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٥) إبراهيم : ١٣.

(٦) الكشّاف ٢/ ٣٧٠ وكرّر ذلك في مواضع أخر، ينظر الكشّاف ٢/ ٤٧٧.

(٧) لسان العرب - قيس- ٣/ ٢٠٠.

(٨) شرح المقدمة المحسبة ١/ ٩٠.

(٩) التّعريفات ١٠٢.

مَعْلوم، وحمْل غَيرِ المنقول على ما نُقِل، وحمْـل مـا لم يُسْمَع عـلى مـا سُمِع في حُكْـمٍ مـن الأحكام وبعلّةٍ جامِعَة»[1]

والمعلوم أنَّ القياسَ هـو مَـذْهَبُ البـصريين، وأنَّ الـسَّماع هـو مـذهب الكـوفيّينَ، فالبصريّونَ لا يقيسونَ على المَسْموع إلاّ إذا كان كثيراً، وهم لا يعتـدّون بالـشّاهد الواحِـدِ ولا يقيسون عَلَيْه. أمّا الكوفيّون فيكفيهم بَيْتٌ شعريّ لِوَضْعِ قاعدةٍ نَحويّة[2].

أمّا الزمخشري فهو بصريّ المَذْهبِ لأنَّ أُسُس القياس عِنْده هي الأسس التـي عـوّل عليها أصحاب المدرسة البصريّة، وقد تناول الدّكتور فاضل السّامرائيّ جُمْلَةً مـن أقـوال الزّمخشري بَيَّنَ فيها موقفَه من العِلَل[3].

وفيما يأتي، نقِف على ما ورد في (الكشّاف) من عبارات تبيّن موقف الزّمخـشري مـن القياس فيما يتعلق بالجانب اللّغويّ:

١- القياس الصَّحيح عندَه هُوَ ما قيس عَلى الكثيرِ مِن كَلامِ العَرَبِ:

يتّضِحُ ذلك لنا من عباراتٍ (وقَدْ شاع في اسـتعمال العـرب) و (هـو كثـير في كـلامِ العرب) ومِن أمثلة ذلك ما أورده في تفسير قولـهِ تعـالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾[4] إذ قال في كلمة الوادي ما نـصُّه (والوادي كلّ منفرج بين جبال وآكام يكون منفذاً للسّيْل، وهو في الأصْل فاعِل من وَدى إذا سال، ومنهُ الوَدَى، وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض، يقولون: لا تُـصَلِّ في وادي غيرك»[5]

٢- لا يَجُوزُ القياسَ إلاّ المَسْموعِ الصّحيح في اللّغة وما سُمِعَ مـن الإثبـات الـذينَ تُـرْضى عربيّتهم وما وَافقَ سائر كَلِماتِ التّنْزيل في التّطبيق:

---

(١) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه.

(٢) ينظر: الاقتراح في علم أصول النحو ١٢٨/١٢٩.

(٣) ينظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ١٩٢-١٩٦.

(٤) التوبة: ١٢١.

(٥) الكشاف ٢/ ٢٢٠ وينظر في ذلك مواضع أخر ٢/ ٣٧٠، ٤٧٧.

قال تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾[1] جاء في الكشّاف: «ومن بِدَع التّفاسير أن الرّهْبَ الكُمّ في لغة حِمْير وإنّهم يقولون: أعطني ممّا في رهبك وليتَ شعري كيف صحّته في اللّغة، وهل سمع من الإثبات الثّقات الذينُ ترتُضى عربيّتهم؟ ثمّ لَيْتَ شِعري كيف موقعه من الآية، وكيف تطبيقه المفصّل كسائر كلمات التّنزيل، على أنَّ موسى ما كان عليه ليلةَ المناجاةِ إلاّ رز مانقة من صوف لا كُمى لها»[2].

٣- يَشُكُّ الزّمَخْشَريّ في صِحَّةِ بَعْض الرّوايَاتِ قِيَاساً على رِواياتٍ أُخْرى لأَصْحابِها:

ويفهم ذلك من كلامه الذي يتّصف بالإيجاز البليغ، ومن ذلك ما ذكر في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾[3] إذ شكَّ فيما رُوِيَ عن الحسن، إذ قال ما نصّهُ «وعن الحسن في منامك في عينك، لأنّها مكان النوم، كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها، وهذا تفسير فيه تعسّف» وما أَحْسُب الرُّواية صحيحةً فيه عن الحسن وما يلائِمُ علمه بكلام خطفاً، العرب وَفصاحَته»[4].

ومن ذلك أيضاً، أنه شكَّ بقولهِ (وَاللهُ أعلَمُ بصّحتِهِ) فيما رُوِيَ عن ابْنِ عبّاس رضي الله عنه أنّه قال في ﴿يسٓ﴾[5] «معناه بلغة طيء والله أَعْلَمَ بِصِحَّتِه»[6]

وقد ذكر غيرَ واحِدٍ أنَّ (يس) معناهُ يا إنسان في لُغَةِ طَيِّء[7].

---

(١) القصص ٣٢.

(٢) الكشّاف ٣/ ١٧٥.

(٣) الأنفال ٤٣.

(٤) الكشّاف ٢/ ١٦١.

(٥) يس / ١.

(٦) الكشّاف ٣/ ٣١٣.

(٧) ينظر: كتاب اللغات في القرآن ٣٩، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم ٢٣، اللهجات العربية الغربية القديمة ٣٤ وينظر أيضاً في ذلك الكشّاف ٢/ ٥٧٣.

٤- وقدْ يَعْمد الزمخشري إلى القياس في بيانِ مَوْقفهِ من بَعضِ القراءات القرآنية، من ذلك نجده يَنْسِبُ ما خالَفَ مِنَ القراءات إلى الضّعف والغرابة. قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾[1] إذ وصف قراءة (عَسِيتمُ) بكسر السّين بأنّها «ضعيفة»[2] وَوَصَفَها في موضعٍ آخر بقوله «وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب»[3] عندما فسّر قولَه تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4].

ومن أمثلة ذلك أيضاً، نَجِدُ بأنَّ القراءةَ الأفْصَح عندَه هي ما طَابقت القِياسَ معنىً واستعمالاً، يتّضح ذلك فيما ذكر مفسّراً قولَه تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[5] فقال في قراءة (يَخْطِفُ) بكسر الطّاء، «والفتحُ أفْصَحُ وأعْلى»[6] وقد وافقه القرطبيّ في ترجيح هذهِ القراءةِ بقولِهِ «وَيَخْطِفُ ويَخْطَفُ لغتان، قُرِيءَ بهما وقد خطِفه بالكسْر يخطَفه خطْفًا وهي اللّغة الجيّدة»[7].

---

(١) البقرة: ٢٤٦.
(٢) الكشّاف ١/ ٣٧٨.
(٣) الكشّاف ٣/ ٥٣٦.
(٤) محمد/ ٢٢.
(٥) البقرة/ ٢٠.
(٦) الكشّاف ١/ ٢١٩.
(٧) تفسير القرطبي ١/ ١٩٢.

المَبحَثُ الثَّالث:

العِلَّةُ اللُّغويَّة

العِلّة: هي أحد أركان القياس الأربعة[1]، وقد عرّفها الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بقوله «هي ما يتوقّف عليه وجود الشّيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه»[2].

وقد اهتم علماء اللغة العربية بالعلّة النّحوية كثيراً ولم يهتمّوا هذا الاهتمام بالعلّة اللّغوية والصّرفيّة، فقد ألّفوا في العلّة كُتُباً وأفردَوُا فيها أجزاءً كبيرةً من كُتُبِهم، بَيْنَما لا نجدُ كتاباً أُفرِدُ فيه جزءٌ للحديث عن العلّة اللّغوية أو الصّرفيّة.

وَمِمَّن اهتَمّ بعلل النّحو منَ العلماءِ، أبو بكر ابن السّراج (ت ٣١٦هـ) الذي وضع كتابه (الأصول في النّحو) في أصول النّحو ومقاييسه وفصّل القول في عِلَلِه، وجاء بعده الزّجاجي (ت ٣٣٧ هـ) فوضع كتاباً في عِلَل النّحو سمّاهُ (الإيضاح في عِلَلِ النّحو) وقسّم فيه عِلَلَ النّحو إلى علل تعليمية وَعلل قياسيّة وعلل جَدَليّة نَظَريّة[3].

وخصّص ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) جُزءاً كبيراً من كتابه (الخصائص) للحديث عن علل النّحو مقارناً إياها بالعِلَل الكلاميّة والفِقهيّة[4]. أما ابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) فقد أفرد للعلّة قِسْماً من كتابه (لُمَعُ الأدلة في أصولِ النّحو)[5]، وَجمع السيوطي (ت ٩١١ هـ) كثيراً مِن أقوالِ العلماءِ في مسألة العلة في كتابه (الاقتراح في عِلْم أصولِ النّحْو)[6].

---

(١) للقياس أربعة أركان المقيس عليه والمقيس والعلّة والحكم.

(٢) التعريفات ٨٨.

(٣) ينظر: الإيضاح في علل النحو ٦٤-٦٥.

(٤) ينظر: على سبيل المثال ص ١/ ٤٨، ٩٦، ١٤٤-١٨٦ من كتاب (الخصائص).

(٥) ينظر: لمع الأدلة على أصول النحو ٥٤.

(٦) ينظر: ص ٨١/ ١١٢ من كتاب الاقتراح.

على أن هذا الاهتمام من قبل العلماء العربية بالعلّة النّحويّة لا يعني خلوّ مصادرِ اللّغة من العِلّة اللّغويّة، فَقَدْ علّل القدماء كثيراً من الظّواهر اللّغويّة تعليلاتٍ عَديدةٍ، وَمِمَّن اهتمَّ بالعلّةِ اللّغويّة مِنَ العلماءِ الزمخشريّ، فقد حَظيتْ العلّة باهتمامٍ كبيرٍ منْ قِبَلِهِ في توجيه المسائل اللّغويّة والنّحويّة[1] والصّرفيّة[2].

وفيما يأتي عَرْض لنماذجَ من التّعليلات اللّغويّة للزّمخشري:

١ – عِلّةُ المَعْنَى:

وهي من أكثر العلل نجدها في (الكشّاف)، ومن أمثلتها ما أورده الزمخشري في تسمية الإنس والجنّ بالثّقلين في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝﴾[3] إذْ قال «والثّقلان: الإنس وَالجنّ سمّيا بذلك لأنّهما ثَقَلا الأرض»[4]. ومنه أيضاً جاء في تعليقِهِ على كلمةِ (أَكْبَرْنَ) في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[5] إذْ قال «وَقيل أَكبَرْنَ بِمَعْنى حِضْنَ والهاء للسّكْتِ، يقالُ أَكبَرَتِ المرأة إذا حاضَتْ، وحقيقتُه دَخَلَتْ في الكِبَرِ لأنها بالحَيْض تخرج مِن حدّ الصّغر إلى حدّ الكبر»[6]، وينظر في هذه العلّة أمثلةً أخرى في (الكشّاف)[7].

٢ – عِلّةُ التّأويل:

علّل الزمخشري بهذه العلّة في مواضع، منها تعليله تأنيث لفظة (الفِرْدَوْسِ) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝﴾[8] إذْ قال: «أنّث

---

(١) ينظر: الدراسات النحوية في الكشّاف للزمخشري ٩٤-١٠٠.

(٢) ينظر: الكشّاف للزمخشري دراسة صرفية ٢٩-٣٥.

(٣) الرحمن : ٣١.

(٤) الكشّاف ٤/ ٤٧.

(٥) يوسف : ٣١.

(٦) الكشّاف ٢/ ٣١٧.

(٧) ينظر: الكشّاف ١/ ١٦٤-١٦٥، ٢/ ٨٩، ٣٦٠، ٣/ ٨٠، ٤/ ٢٧٨.

(٨) المؤمنون : ١١.

الفِردوس على تاويل الجنّة وهو البستان الواسِع الجامعُ لأصناف الثّمر»[1].

وفي (الكشّاف) مواضع أخَرُ وردتْ فيها هذِه العلّة[2].

٣- عِلّةُ المُشابَهَة:

ونحو هذه العلّة ما جاء في تعليل الزّمخشري لوقوع (النّمل) على الذّكر والأنثى في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾[3] إذ قال «ذلك أنّ النّملة مثل الحمامة والشّاة في وقوعِها على الذكر والأنثى فيميّز بينهما بعَلامة نحو قولهم حمامة ذَكَر وحمامة أُنثى وَهو وهي»[4]، وهناكَ أمثلة أخرى في (الكشّاف)[5].

٤- علّة السّماع:

وردت هذه العلة في بيان الزمخشري لمعنى (الغـي) في قوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝﴾[6] إذ قال: «كل شرّ عند العرب غيّ، وكل خير رشاد»[7] ومنه أيضاً ما جاء في تفسير قولِه تعالى: ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝﴾[8] إذ قال: «وقيل: (أنّها بمعنى لعلّها من قول العرب: أئت السّوق أنّك تشتري لحماً-»[9].

---

(١) الكشّاف ٣/ ٢٧.

(٢) ينظر: الكشّاف ٢/ ٣٣٥، ٤/ ٣٩.

(٣) النمل ١٨.

(٤) الكشّاف ٣/ ١٤٢.

(٥) ينظر: الكشف ١/ ٦٨، ١٦٤، ٤/ ٣٣.

(٦) مريم ٥٩.

(٧) الكشّاف ٢/ ٥١٤.

(٨) الأنعام ١٠٩.

(٩) الكشّاف ٢/ ٤٤.

٥- علّة مناسبة اللفظ للمعنى (العلاقة بين اللفظ والمعنى):

علل الزمخشري بها في عدّة مواضع منها ما جاء في الفرق بين (الضُّرّ والضَّرّ)، إذا قال في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾[1] ما نصه: «والضَّرُّ بالفتح الضرر في كلّ شيء وبالضَّمّ الضرر في النّفس من مَرَض وهزال فرّق بين البنائين لافتراق المَعْنَيَيْنِ»[2]. ومن ذلك أيضاً ما جاء في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾[3] إذ قال: «نضاخَتان فوّراتان بالماء والنّضخ أكثر من النضح لأن النضح غير معجمة مثل الرّش»[4].

٦- علّة التّخفيف والاختصار:

ونحو هذه العلة ما جاء في تفسير الزّمخشري لقولِهِ تعالى: ﴿طه﴾[5] إذ قال: «إن طَاها في لغة عكّ[6] في معنى يا رجل، ولعلّ عكّ تصرّفوا في يا هذا كأنّهم في لغتهم قالبون الياء طأءً فقالوا ياطا واختصروا عليها»[7]، ومنها أيضاً ما اورده في تفسر قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾[8] إذ قال وعن ابن عبّاس: رضي الله عنهما: يس معناه يا إنسان في لغة طيّ والله اعلم بصحّته، وإنْ صحّ فوجْهه أنْ يكون أصْله يا أنَيْسين فكثر النّداء به على ألْسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما - قالوا في القَسَم (مُ الله) في أيمن الله»[9].

---

(1) الأنبياء ٨٤.

(2) الكشّاف ٢/ ٥٨١.

(3) الرحمن / ٦٦.

(4) الكشّاف ٤/ ٥٠ وينظر ١/ ٤١-٤٢.

(5) طه / ١.

(6) (عكّ) قبيلة في اليمن [معجم البلدان ٤/ ١٤٢].

(7) الكشّاف ٢/ ٥٢٨.

(8) يس / ١.

(9) الكشّاف ٣/ ٣١٣-٣١٤.

٧- عِلَّةُ التَّغْليب:

وقد علّل الزمخشري في بيان معنى (المَشْرِقَيْن) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝٣٨﴾[1] إذ قال: «يريد المَشْرق والمغْرب فغلب كما قيل العُمَران والقَمَران»[2].

٨- عِلَّة الحَمْلِ على النّظير:

بنى الزمخشري – كما بَنت العرب – بعْضَ أحكامه اللّغويّة على بَعْض الألفاظ حَمْلاً على ألفاظ مناظِرة لها وقد أشار إلى ذلك في تفسيره بقوله «ومن دأبهم – أيْ العرب – حَمْل النّظير على النّظير، والنّقيضِ على النّقيض»[3]، ومِثال هذه العلّة، تعليله تأنيثُ لَفْظَة (التّوراة) في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾[4] إذ قال: «فإن قلْتَ: لِمَ أُنّثتِ التّوْراة؟ قلت: لكونها نظير الموماة ودَوْداة ونَحوها من كلامِ العرب»[5].

٩- عِلّة الحَمْل عَلى النّقيض:

وقد يبني أحكاماً لغويةً أخرى على بَعْض الألفاظ حَمْلاً على النّقيض، ومِثال ذلك ما أورَدَه في تأنيثِ لَفْظَة (السِّلْم) في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[6] إذ قال «ويجوز أنْ يكون حالاً من السِّلْم لأنها تؤنّث كما تؤنّث الحَرْب»[7] وكرّر العلّة نفسها في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[8] بقوله: «والسَّلم تؤنّث تأنيث نقيضها وهيَ الحَرب»[9].

---

(١) الزخرف / ٣٨.
(٢) الكشّاف ٣/ ٤٨٨-٤٨٩.
(٣) الكشّاف ٢/ ٣٢٣
(٤) المائدة :٤٣.
(٥) الكشّاف ١/ ٦١٥.
(٦) البقرة ٢٠٨.
(٧) الكشّاف ١/ ٣٥٢
(٨) الأنفال :٦١.
(٩) الكشّاف ٢/ ١٦٦.

١٠- عِلَّةُ الاسْتِقراء:

قد يعود سبب بعض الأحكام اللّغويّة للزّمخشريّ على بعض الألفاظ؛ إلى استِقرائِهِ لهذه الألفاظ، من ذلك ما جاء في تعليقِهِ على لفظةِ (المُفْلِحوُن) في قولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾[1] إذ قال: «والمُفْلِح الفائز بالبُغْيَة كأنّه الذّي انفتَحَتْ له وجوهُ الظَّفَر ولم تَسْتَغْلِق عَلَيه، والمفلح بالجحيم مِثْله. ومنه قولهُمْ للمطلَّقَة: استفلحي بأمرِكِ بالحاءِ والجيم، والتّركيب دالّ على معنى الشّقّ والفتح، وكذلك أخواته في الفاءِ والعَيْن نحو فَلَقَ وفَلَذَ وفَلَى»[2].

١١- عِلَّةُ الحُكْم:

وقد علّل الزمخشري بها وصف المذكر والمؤنث الواحد والجمع بلفظة (حِجْر) على السّواء، في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾[3] إذ قال في (حِجْر) ما نصُّهُ: «وَيَستَوي الوصْف بِهِ المذكّر والمؤنّث والواحد والجمع لأنّ حُكْمَهُ حُكْمُ الأسْماءِ غيرِ الصِّفاتِ»[4].

١٢- عِلَّةُ اللُّغة:

رَبَطَ الزّمخشري دِلالات الكثيرِ من الألفاظ باخْتلاف لغاتِ القبائل، وَمنْ أمثِلَةِ هذه العلّةِ ما وَرَدَتْ في مَوضِعِ آخرَ من هذه الدّراسَة[5].

---

(١) البقرة : ٥.

(٢) الكشّاف ١/ ١٤٩.

(٣) الأنعام :١٣٨.

(٤) الكشّاف ٢/ ٤٥-٥٥.

(٥) ينظر المبحث الخاص بـ (اختلاف لغات العرب) ص ١١٣-١١٩ من هذه الدراسة.

المبحث الرابع:

رَأْيُهُ في نَشْأَةِ اللُّغَة

نال البَحْثُ في نشأة اللغة قدراً كبيراً مِنَ النَّظر والتأمّل والتفكير لَدى الباحثين والعلماء قديماً وحَديثاً، بِدْءاً بفراعِنَة مِصْر وَمروراً بفلاسِفة الإغريق وانْتهاء بالّلغويين والمفكّرين المسلمين[1]، وما يهمُّنا - هنا - هو مَعْرفة رأي الزَّمَخْشريّ في نَشْأة اللّغةِ مِنْ بَيْن آراءِ اللّغويين والمفكّرين المُسْلمين.

تناول اللغويون المسلمونَ نشأة اللُّغةِ مُنْذُ عَصْرٍ مبكّرٍ، وانقَسَمُوا فيها على ثلاثَةِ مذَاهب[2].

الأوّل: أنّ اللغة توقيفٌ وإلهام - ألهمَا الله سبحانه وتعالى - لآدم عليه السلام، واعْتَمَدوا في ذلك على أدلّةٍ نقليةٍ وعقليّةٍ[3]، واحْتَجُّوا مِنَ الأدلّة النّقليّة بقولِهِ تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝﴾[4] ومن أصْحابِ هذا المذهب، ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) القائل في لغة العرب أنّها «تَوْقيفٌ، ودَليلُ ذلك قوله - عزّ وجلّ - : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[5] وَيُعَدُّ هذا المذهب، من أقْدم المذاهب، إذْ وردَ في التوراة نصٌّ قريب في المعنى مِنَ الآية القرآنية المذكورة[6].

---

(١) فقه اللغة العربية، د. كاصد الزيدي ٣١ وما بعدها.

(٢) ذكر الدكتور رمضان عبد التواب سبعة مذاهب فيها في كتابه (المدخل على علم اللغة) ص ١٠٩-١٢٤.

(٣) فقه اللغة العربية: ٣٤-٣٨.

(٤) البقرة/ ٣١.

(٥) الصّاحبي ٣١.

(٦) هذا النص مذكور في سفر التكوين وجاء فيه: «وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية، وكلل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكلّ ما دعا به آدم ذات نفس حيّة فهو اسمها فسمى آدم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية.» [سفر التكوين ٢/١٩-٢٠].

الثّاني: أنّ اللُّغَةَ مِنْ صُنْعِ البشر، وانقَسَمُوا في ذلك إلى فريقين:

١- ذهبَ الأَوَّل مِنْهما إلى أنّها تواضعٌ واصْطِلاح، وأصحابُ هذا الرّأي هُمُ المُعتَزِلَةُ الّذِينَ عُرِفوا باحتكامهم العقل والمنطق أكثر من النّقل والأثر، ولاعتقادهم بأن الإنسان خالقُ أفعالِهِ واللُّغَةَ من جُمْلَتها. وسُمّيَ هذا المذهب بالمواضعة أيضاً، وذلك «كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء فيضعون لِكلّ واحدٍ منها سِمَةً، ولَفْظاً يدلّ عليه، ويغني عن إحْضاره أمام البصر»[1].

٢- وذهب الفريقُ الثاني إلى أن اللغة صُنعت من قبل البَشَر نتيجة احتكاكه بالمجتمع والطبيعة، وقد لخّص ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) هذا الرأي بقوله: «وذَهَبَ بعضُهُم إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات كدويّ الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونَعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظّبي ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد»[2]، وهذا مذهب قريب ومتقبّل لديه، إذ قال: «وهذا عندي وَجْهٌ صالح وَوَجْه مُتَقَبّل»[3].

الثالث: مذهب التَوَقُّف، وأصحابُه يذهبون على أنّ اللُّغة لا يدرى أهي من وَضْع الله أو البشر لِعَدم دليل قاطع في ذلك، وممّن اختار هذا المذهب ابن جنّي[4].

ويؤكّدُ هذا ما ذكره في موضع من كتابه (الخصائص)، إذ ذكر توقُّفَهُ عن الأخذ بأيّ رأي من الرأيين السّابقين، فقال: «فأقِفُ بين تَيْن الخلّتين حسيراً وأكاثِرُهما فانكفئ مكثوراً وإن خطر خاطِرٌ فيما بعد، يعلّق الكفّ بإحدى الجهتين، ويكفّها عن صاحِبَتِها قُلْنا به»[5].

أمّا الزَّمخشري فذهبَ إلى أنّ اللّغة وحي إلهيٌّ وتوقيف، إذْ ذكر في (الكشّاف) في تفسير قوله تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾: «أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه

---

(١) الخصائص ١/ ٤٤، المدخل على علم اللغة ١١١.

(٢) الخصائص ١/ ٤٤، المدخل على علم اللغة ١١١.

(٣) نفسه ١/ ٤٧.

(٤) الاقتراح ٢٥.

(٥) الخصائص ١/ ٤٧، وينظر ٢/ ٢٨.

لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء... فإن قلت: فما معنى تعليمه أسماء المسمّيات؟ قلتُ: أراه الأجناس التّي خلقها، وَعَلَّمه أنّ هذا اسمه فرس، وهذا أسْمه بعير، وهذا أسْمه كذا، وهذا اسمه كذا، وعلّمه أحوالها وما يتعلّق بها مِنَ المنافع الدّينيّةِ والدّنيويّةِ»[1].

هذا رأي الزّمخشريّ في نَشأة اللُّغة، أمّا مَنْ ذهب إلى أنّ رأيه – أي الزّمخشريّ – هو التّواضع والإصْطِلاح الذي قال به المعتزلة، فقد تَوَهَّم في ذلك[2]، والزمخشري معتزليُّ المذْهبَ وافق المعتزلة في أغلب آرائهم، وَلعلّه اجْتهد في مسألة نشأةِ اللُّغةِ وقال بتوقيفها لا بالمواضَعَةِ والإصْطلاحِ، وخالَفَ بذلكَ المُعتزلةَ.

---

(١) الكشّاف ١/ ٢٧٢.

(٢) ذهب صاحب كتاب (الزمخشري لغوياً ومفسراً) إلى أن رأي الزمخشري في نشأة اللغة هو أنها اصطلاح، فقال: «وأمّا رأي الزمخشري في اللغة هل هي اصطلاح [راجع المزهر السيوطي ج١ = ص٨ وما بعدها ط١ ١٩٥٨، الخصائص لابن جني ج ١ ص ٤٧ ط٢ ١٩٥٢) إذ أن ذلك مما يخدم رأي المعتزلة من ناحية العدل والتوحيد أو حرية الإرادة، من ناحية أخرى، إلى أن هذا الرأي كذلك يخدم اللغة العربية من جانب الاتساع اللغوي.. أما أهل السنة ومنهم ابن فارس فيذهبون إلى أن اللغة توقيف». [الزمخشري لغوياً ومفسراً ١٨٠].

أما رأي الزمخشري فقد ذكره في تفسيره وقد أوردناه، أما رأي أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) فقد ذكر تلميذه ابن جني (ت ٣٩٢) في كتابه (الخصائص) بقوله «إلى أن أبا علي رحمه الله قال لي يوماً: هي من عندِ اللهِ، واحتج بقوله سبحانه **وعلم آدم الأسماء كلها** وذكر «إنه قد يجوز تأويله أقدر آدم على أن واضع عليها» [الخصائص ١/ ٤٠-٤١، وينظر المزهر ١/ ١٠ ، ورواية اللغة ٢٩٨].

أما ابن جني، فكان متردداً في الأخذ بمذهب معين، ومال إلى أكثر من واحد في نشأة اللغة، فيقول في مذهب التوقيف: «وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله عز وجل، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه وتعالى وأنها وحي» [الخصائص ١/ ٤٧]، وقال في مذهب الإصلاح والمواضعة معتمداً على (أهل النظر): «غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف» [الخصائص ١/ ٤٠]، إضافة إلى اختياره مذهب التوقف – كما بينا من قبل قليل – أما فما يخص المصدرين اللذين ذكرهما صاحب كتاب (الزمخشري لغوياً ومفسراً) فليس فيها ما ذكره، وقد سبقني إلى بيان توهّم صاحب هذا الكتاب فيما ذهب إليه، الدكتور فاضل السامرائي في دراسته المسماة (الدراسات النحويّة واللغوية عند الزمخشري) [ينظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٣٥٨- ٣٦٠].

الفصل الثاني

الجانِبُ الدِّلالي

المَبْحَثُ الأَوّل:

مَعانـي الألفــاظ

المَبْحَثُ الثّاني:

تطوُّر الدّلالة والألفاظ الإسلاميّة

المَبْحَثُ الثّالث:

الترادف والفُروق اللُّغويّــة

المَبْحَثُ الرّابع :

الأضـــــداد

الفَصْلُ الثّاني:

من أبرز موض

متعددة، منها الجانب

على معنىً معيّن، فس

الدِّراسة فيه علاقةَ ا

والدِّلالة، في ا

واصْطلاحاً: ه

اللَّفظ أصْلاً أم دلّ ع

وفيما يأتي، نتنا

الآتية:

المَبْحَثُ الأوّل

المَبْحَثُ الثّاني:

المَبْحَثُ الثالث

المَبْحَثُ الرّابع

---

(١) ينظر: نحو وَعيٍ لغو

(٢) لسان العرب – دلا

(٣) ينظر: كشاف اصط

الفَصْلُ الثّاني:

الجانِبُ الدِّلالي

من أبرز موضوعاتِ فقه اللُّغة، ما تتَّصل بدراسَة الألفاظِ، وَهيَ ذاتُ جوانب متعددة، منها الجانب الصَّوْتي، والجانب المعنويُّ الذّي تتناوله الدراسة من حيث دلالته على معنىً معيّن، فمن الصّلة بين جانبَيْ اللَّفْظ والمَعْنى يتكوّن الجانب الدِّلاليّ الذي تتناول الدِّراسة فيه علاقةَ الألفاظ بمدلولاتها، أو علاقَةَ مباني الألفاظ بمعانيها[1].

والدِّلالة، في اللُّغة: مَصْدَرَ دلَّهُ على الطّريق يَدُلُّه دَلالةً وَدِلالَةً[2].

واصْطَلاحاً: هي المَعْنَى الذّي يُعَبِّرُ عنه لفظ ما سواءً أكانَ ذلك المعنى وقد وُضِعَ له اللَّفظ أصْلاً أم دلّ عليه وَلَمْ يوضَع له ابتداءً[3].

وفيما يأتي، نتناول ظواهِرَ اللُّغة الدّلالية التي احتواها (الكشّاف)، وتتضمّن المباحث الآتية:

المَبْحَثُ الأوّل: مَعانـي الألفـاظ.

المَبْحَثُ الثّاني: تَطوّر الدّلالة والألفاظِ الإسلاميّة.

المَبْحَثُ الثالث: التّرادُف وَالفرُوُقُ اللغَويـــة.

المَبْحَثُ الرّابع: الأضْـــداد.

---

(١) ينظر: نحو وَعيّ لغويّ ١٠٨.

(٢) لسان العرب – دلل – ١/ ١٠٠٦.

(٣) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ٢٨٤.

المَبْحث الأول:

مَعَاني الألْفَـاظ

حظيَتْ مَعاني المفردات القرآنية بإهتمامٍ كبيرٍ من الزمخشري، فقد حرص المؤلِّف على إيضاح المعاني التي ترد في سياق الآيات القرآنية ساعياً مـن وراء ذلـك إلى تفسير النصّ القرآني وإيضاح مفرداتِهِ بُغْية الوصول إلى المعنى المُـراد مِنْـه، وقـد جـاءتْ مـسائل هـذا المَبْحَث من حيث الكمّ مقابلةً لمسائل الظّواهر اللّغويّة الواردة في هذه الدراسة.

واتّبع الزمخشري في تفسيراتِهِ لمعاني تلك المفردات أساليب عدّة، ولم يقتصر على نهج تفسيريّ واحد، فتراه تارةً يورد المَعنى الأصلي للّفظـة، وتـارةً يعتمـد عـلى نقـيضِ تلـك المفردات لبيان المعنى، وثالثةً يستشهد على المعنى الذي يَسُوقه،.... وغيرها مـن أسـاليب التفسير اللّغوي التي – بلا شك- كان اختياره ممّا لا يقتضيه واقع الحال.

وبعد الإطّلاع والتدقّيق لما ورد في هذا الباب ممّا حواه (الكشّاف) يمكن القول بـأن تفسيرات الزمخشري للمفردات القرآنية امتازتْ بما يأتي:

أولاً: بَيانُ الاستعمالِ الأصْليّ للفظة وَمحاولة إرجاعها إلى المَعاني الحسّية الحقيقيّة:

وهي ميزة واضحة فيما ورد من معاني الألفاظ، ومنها على سبيل المثال لا الحَصْر مـا جاء في (الكشّاف) في تفسيرِ قولِهِ تعـالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾[1] ، فإذا فسّر الزمخشري (أَفَضْتُمْ) قائلاً: «أَفَضْتُم: دفعتم بكثرة، وهو من إفاضَةِ الماءِ وهو صَبُّه بكثـرة»[2] فـالفَيْض: النّهـر، وفـيضُ البَـصْرَةِ: نَهْرُهـا[3]، وأرضٌ

(١) البقرة :١٩٨.

(٢) الكشّاف ١/٣٤٨.

(٣) لسان العرب – فيض- ٢/ ١١٥٤.

فيوضة: إذا كانت فيها مياهٌ كثيرة[1] فـ (الإفاضـة مـن عرفـات) إستعمال مجـازي لِلفظَـة (أفاضَ) ولها معانٍ حسيّة حقيقية[2]، ذكر الزمخشري لها واحـدة مـن هـذه المعـاني الحسّية الحقيقيّة.

ومن ذلك أيضاً ما ورد في تفسير قولـه تعـالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[3]، جاء في (الكشّاف؟: «لن يستنكف المسيح: لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة، من نكفت الدّمع إذ نحيته عَنْ خدّكَ بأصْبَعك»[4]، جـاءَ في (اللّسان): نكف (البِئر ونكشها أي أزالها... واصْـلَ الاستنكاف مـن نكفْـتُ الـدمع إذا نحيت بإصْبَعِك عن خدّك[5].

وَيـصرّح الزّمخشريّ - في مواضِـعَ كثـيرة - بالأصْـل قـائلاً: (وأصْـلُ البـاب...، والأصْل...، واصْل كذا...، وأصْلُه) من ذلك، وما جاء تفسير قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[6]، إذا قالَ الزّمخْشريّ مفسّراً، «إلا رَمْزاً.. إلاّ إشارة بيد أو برأس أو غيرهما واصْله التّحرّك - يقال ارْتمز: إذا تحرّك، ومنـه قيـل للبَحـر الرّاموز»[7]. ومنه أيضاً تفسيرُه للفظة (تَثْرِيْب) في قولـهِ تعـالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[8]، إذْ قال: «لا تأنيب عليكم ولا عَتب، وأصْلُ التثريب منَ الثّرب

---

(١) تهذيب اللغة ١٢/ ٧٧.

(٢) ينظر: ألفاظ العبادات في القرآن الكريم: دراسة دلالية ٨٦-٨٧.

(٣) النساء ١٧٢.

(٤) الكشّاف ١/ ٥٨٥.

(٥) لسان العرب - نكف- ٣/ ٧١٨.

(٦) آل عمران ٤١.

(٧) الكشّاف ١/ ٤٩٢.

(٨) يوسف ٩٢.

وهو الشَّحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالَة التّرب كما أنّ التّجليد والتقريعَ إزالة الجلد والقَرَع»[1]. والأمثلة على ذلك كثيرة[2].

ثانياً: الاعتماد على النّقيض أو الضّد في بيانِ مَعْنى اللّفْظَةِ:

اعتمد الزمخشري في مواضِعَ كثيرةٍ على المعنى النّقيض لِمَعْنى اللفظة التي يراد بها بيان معناها أو نقيض هذه اللّفظة مباشرة، فمثال الأول ما أورده في تفسير لَفْظَةِ (يَقْتُرُوا) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝﴾[3] إذ قال: «والقَتْر و الإقْتار والتّقتير: التّضيق الذي هو نقيض الإسراف: مجاوزة الحدّ في النّفقة»[4]، ومثال الثاني ما جاء في بيان معنى لَفْظَتَيْ (الضّلال) و (الغيّ) من قولِهِ تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝﴾[5] فقال الزّمخشري مُفَسِّراً: «والضّلال نقيض الهُدى، وَالغيُّ نقيضُ الرُّشد»[6].

وقد يريد الزّمخشري في بيان مَعْنى جملةٍ معينة فيورد لذلك جملةً معينة تناقض معناها معنى الجملة الأولى: وَمن الأمثلة على ذلك، ما جاء في تفسيرِ (النّبْذُ وراءَ الظّهْر) من قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[7] إذ قال: «والنّبْذُ وراء الظّهر مَثَلٌ الطّرح وَترك الإعتداد، ونقيضُهُ جَعلَه نصْبَ عينيْه وألقاه بين عَيْنَيْهِ»[8]، ومنه أيضاً ما ورد في تفسيرَ قولِهِ تعالى على

---

(١) الكشّاف ٢/ ٣٤٢.

(٢) ينظر: الكشّاف ١/ ١٨٣، ١٨٦، ٣١٢، ٢/ ٧٠، ٢٦٧، ٢٨٥، ٣٣٩، ٣٤٤، ٤٨٢، ٣/ ٩١، ٥٠٩، ٥١٥، ٤/ ٥٢، ٧٨.

(٣) الفرقان :٦٧.

(٤) الكشّاف ٣/ ١٠٠.

(٥) النجم : ٢.

(٦) الكشّاف ٤/ ٢٨، وينظر: نجعة الرّائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ١٤٢-١٤٤.

(٧) آل عمران ١٨٧.

(٨) الكشّاف ١/ ٤٨٦.

لِسان النَّبيّ (مُوسَى) – عليه الصَّلاة والسَّلام –: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[1] فقال ما نصّه: «يقال عجّل من الأمر: إذ تركه غير تام ونقيضُه تمّ عليه وأَعْجله عليه غَيْرُه»[2] ونكتفي بهذهِ الأمثلةِ، وفي (الكشّاف) أمثلة أخرى على هذهِ الميزة في بيان مَعْنى اللّفظ[3].

ثالثاً: الاسْتِشهادُ على مَعْنى اللّفظة:

استشهد الزمخشري – في اغلب المواضِع – على المَعْنى الذي يذكره للّفظةِ بُغْيةَ تأكيد هذا المَعْنى، وقد تنوعَّت اسْتِشهاداته على تلك المعاني حتى شَمِلَت كلّ أنواع الاستشهاد اللُّغوي، فهو في تارة يستشهِدُ بآيةٍ قرآنيةٍ وتارةً أخرى بقراءةٍ وقد يستشهد بحديثٍ نبويٍّ أو قولٍ عَربيٍّ، غيْرَ أنّ الاستشهاد بالشّعر كان له النّصيب الأوفر منْ استشهاداته في هذا المَبْحث – وهذا دَيْدَنَ اللّغويّين في الاستشهاد – فيوردُ اسم القائل ويكتفي بإيراد البيْتِ الشّعْري فقطْ، أمّا استشهاداته بالقرآن الكريم قد بلغَتْ أكثر من (٣٠) آيةً قرآنية كان قد ساقها لغرضٍ فسّره سَلَفاً، ومِنْ أمْثلةِ هذا النّوع من الاستشهاد ما جاءَ في تفسيرِهِ قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[4] إذ قال: «الواحد إذا كانَ وَحْدَه فهو فَرْد، فإذا كان مَعَهُ غيْرُهُ مِنْ جِنْسِهِ سُمّيَ كلّ واحد منهما زَوْجاً، وهما زَوْجان بِدَليل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾[5]»[6].

---

(١) الأعراف : ١٥٠.

(٢) الكشّاف ٢/ ١١٩.

(٣) ينظر: الكشّاف ١/ ٤٧، ١٣٠، ١٦٥، ١٩٧، ٢٦٦، ٣٦٠، ٢/ ١٣٨، ٢٠٩، ٣/ ٤٠٩، ٤٢٨، ٥٣٢.

(٤) الأنعام : ١٤٣.

(٥) النجم : ٤٥.

(٦) الكشّاف ٢/ ٥٧.

أمّا استشهاده بالحديث النبويّ فقد جاء في المرتبة الثالثة بعد الشّعر والقرآن وكان استشهاده بالقراءات القرآنية أقلُّ أنواع الاستشهاد اعتماداً في إيضاحِ معاني الألفاظ التي تناولها. وقد أورَدْنا أمثلةً كثيرةً – فيما سَبَق – على هذه الأنواع من الاستشهادات التي اعْتمد عليها الزّمخشريّ في بيان مَعاني الألفاظ[1].

رابعاً: نَقْلُ آراءِ العُلَماءِ في مَعْنى اللّفْظَة:

لَمْ يَكُنْ تفسيرُ الزمخشري لِمعاني الألفاظ القرآنيّة بالشّيءِ العَسير عليهِ لا سيّما أنّه صاحِبُ معجمٍ يُعَدُّ من المعجمات القيّمةِ في المكتبة العربيّة، ذلك هو معجم (أساسِ البلاغَة) الذي امتازَ بِمَنْهجٍ علميٍّ واضحٍ، وعالمٌ لغويٌّ مثل الزمخشريّ لا يحتاج إلى عناءٍ كبيرٍ في تفسيرِ لفظةٍ ما وُرِدَتْ في سياقِ آيةٍ قرآنيةٍ، حيث أنّه قد تناولها سَلَفاً في مُعْجَمِه، غيرَ أنّ ذلك لم يكُنْ لِيَمْنَع صاحِبَ الكشّاف منَ الاستعانة بأقوال العُلَماءِ في تفسيرِ الألفاظِ، إمّا لتعزيزِ رأيه في معنى اللّفظة أوْ لإضافةِ معنىً آخر يحتمل أنْ يكون هو المَقْصُود مِن اللّفظة في سِياق الآيَة، أوْ لتَخْطئَةِ رأيٍ – مَثلاً – وَرَدَ لأحدِ العُلماء وكلُّ ذلك لغرضِ التّوسّع في تفسير اللّفظة في الآية القرآنية، وَبِالتّالي التوسّع في المعنى الإجماليّ لِلآية، وهذا – دونَ شكّ – يَخدِمُ القارئ الباحِثَ عَن تفسيرِ تِلْكَ الآيةِ في ضَوْءِ ما يقرأ من آراءٍ ضمّنها كشّافَهُ، وقَدْ ذكرنا أمثلةً عن هذهِ المِيزة في مَبْحثٍ سابقٍ من هذا البحث[2].

خامِساً: تَعْليلُ الاستعمالِ القرآنيّ لِلّفْظَة:

مِمّا يلاحَظُ في هذا المَبْحث أنّ الزّمَخْشريّ في كثيرٍ منَ المواضِع يعلّل مجيءَ لفظةٍ ما في الموضع القرآني التي وُرِدَتْ فيه، وذلك لِلْعَلاقةِ بين التّفسير الإجمالي لِلآية والمعنى الدقيق الذي تفيدهُ هذه اللّفظة في مواقعها الواردة فيها. والأمثلةَ على ذلك كثيرة، نختار منها ما ورد في تفسير الزّمخشريّ لقولهِ تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ

---

(١) ينظر: مبحث (الأدلة الصناعية)، أمثلة – السماع – ص ١٩-٣٣ من هذه الدراسة.

(٢) ينظر: المبحث الخاص بـ (الموارد اللغوية وأساليب النقل منها – نقل الآراء –) ص ١٦-١٧.

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾[1] فقد علّل مجيءَ كلمةِ (نور) قائِلاً: «فإنْ قُلْتَ: هَلاّ قيل ذَهَبَ اللهُ بضَوْئِهم لِقَوْلِهِ: أضاءَتْ؟ قلْتُ: ذِكْرُ النّور أبلغ لأنَّ الضّوء فيهِ دلالةً على الزّيادةِ فلو قيل ذهبَ الله بِضَوْئِهم لأَوْهَمَ الذَّهاب بالزيادَةِ وَبقاءُ ما يُسَمّى نوراً، والغَرَضُ إزالةُ النّور عَنْها وَطَمْسُهُ أصْلاً»[2]. ومنْه أيضاً ما جاءَ في تفسيرِ قولَه تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[3]، إذ قال عن سَبَبِ مجيءِ كلمةِ (الدّراية) في هذا المَوْضِع ما نَصُّهُ: «... وَجَعَلَ العِلم لله والدّراية لِلْعَبْد لما في الدّراية من مَعنى الخَتْل والحيلَة»[4]

وَيسْعى الزّمخشريّ في تعليله الاستعمال القرآني لِلمفردة إلى تبيين خاصيّتها الدّلالية التي تمتاز بها، من ذلك مثلاً ما ذكره في مَعْرِضِ تفسيره قولَهُ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[5]، إذْ قال عن مجيءِ لفظة (نَعْبُدُ) «... وَالعِبادة أقْصَى غاية الخُضُوع والتّذلّل، وَمنه ثوبٌ ذِوُ عَبْدةٍ: إذ كان في غاية الصّفاقة وقوّة النّسج ولذلك لَمْ تستعمَل إلاّ في الخضوع لله تعالى لأنه مولى أعظَم النِعَم، فكان حقيقاً – بأقْصَى غاية الخُضُوع»[6] ومثَله ما جاء في قولِهِ تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[7] إذْ قال الزّمخشريُّ في (المَقْتِ): «واختير لَفْظُ المَقْتِ لأنه أشدّ البُغْض وأبْلغه،... ولم يقتصِر أنْ جَعَلَ البُغْض كبيراً حتى جعلَ أشدّه وأفْحشه»[8]

---

(١) البقرة ، ١٧.
(٢) الكشّاف ١/ ٢٠٠.
(٣) لقمان ،٣٤.
(٤) الكشّاف ٣/ ٢٣٩.
(٥) الفاتحة / ٥.
(٦) الكشّاف ١/ ٦٢.
(٧) الصف / ٣.
(٨) الكشّاف ٤/ ٩٧.

وهناك في (الكشّاف) أمثلةٌ في هذا النوع[1].

سادِساً: تَعدُّد وجُوه التّفسيرِ في اللّفْظة الواحِدَة:

لم يكتفِ الزَّمَخشريّ -في أحايينَ كثيرةٍ- بإيرادِ وجْهٍ تفسيريّ واحد للّفظةِ القرآنيّة، إذْ أنّه قد يفسّر معنى اللّفْظة تفسيراً ما ثمّ يعقّب هذا التفسير بآخر، وممّا يلاحَظ على تفاسيره الأخرى للفّظة أنّ معناها قد يكون مقارباً لمعنى التّفسير الأوّل وقد يختلفُ عنْه، فمنَ الأوّل معنى إقامة ما ذكره في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾[2]، إذْ قال «... ومَعْنى إقامة الصّلاة تعديل أركانها وحفظُها منْ أن يَقع زَيْغٌ في فرائِضِها وَسُنَنِها وآدابِها، من أقام العود إذا قوّمه، أو الدّوام عليها والمحافظة عليها... من قامَتِ السّوق إذا نفقتْ»[3] ومنه أيضاً ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝﴾[4]

يقول: «والخليل المخال، هو الذي يخالك، أي يوافقك في خلالك ويسايرك في طريقك، من الخلّ وهو الطريق في الرّمل، أو يسدّ خللك كما تسدّ خلله، أو يداخلك خلال منازلك وحُجُبك»[5].

ومن الأمثلة على الثّاني، ما أوْرده في تفسيره لفظة (زُرقاً) في قولِهِ تباركَ وتعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝﴾[6] إذ قال: «في الزّرق قولان: أحدُهما أن الزّرقة ابغَضُ شيْءٍ في ألوان العُيُون إلى العرب، لأنّ الرّوم أعداؤهم وهم زرق العيُون... والثاني أنّ المراد العَمى، لأن حدَقة من يَذهبُ نور بصرِهِ تَزْرق»[7]

---

(١) ينظر: الكشّاف: ١/ ٢٦٩، ٢٧٠، ٣/ ٢٧٠.

(٢) البقرة / ٣.

(٣) الكشّاف ١/ ١٢٩.

(٤) النساء / ١٢٥.

(٥) الكشّاف ١/ ٥٦٦.

(٦) طه / ١٠٢.

(٧) الكشّاف ٢/ ٥٥٣.

ومن أمثلةِ هذا النّوع أيضاً قوله في كلمة (بَيَّتَ) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾[1] إذ قال: «و... والتبيّت: إمّا من البيتوتة لأنّه قضاء الأمر وتدبيره بالليّل، يقال: هذا أمر بُيّتَ بليلٍ، أو من أبيات الشّعْر لأنّ الشّاعر يديرها ويسوّيها»[2] والأمثلة على النّوعين كثيرة[3].

سابعاً: ذِكْرُ المَعْنى المُعْجَميّ لِلفَظَة:

وَهيَ إحْدى مميزاتِ تفسير الزمخشري لمَعاني الألفاظ، فالمُطَّلع على تفسيراته الخاصّة بِمَعاني المفردات القرآنية يلاحظ أنّه في قِسْمٍ كبيرٍ منها، لا يكتفي بإيراد المَعْنى الّذي أفادَتْه تلكَ اللّفظة في ضوءِ سياقِ الآيةِ، بل نراه يَعْمد إلى الإيغالِ في مَعْنى اللّفْظة واستعمالاتها المُعْجَمّية، والقصْدُ من وراءِ ذلك ترسيخ المَعْنى في ذِهْنِ المطّلع. ومن الأمثلة التي تتضحُ فيها هذه الميزة، ما جاء في تفسير الزمخشري قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4] إذ قال: «يمدّهم.. مِنْ مدّ الجَيْش، وَأَمَدّهُ إذا زادَهُ وألحق به ما يُقَوّيه ويكثّره، وكذلك مَدّ الدَّواة وأمدّها: زاد ما يُصْلِحُها؛ وَمَدَدْتُ السّراجَ والأرْضَ؛ إذا اسْتَصْلَحْتَها بالزّيت والسّماد، وقد مدّ الشيّطان في الغيّ وأمدّه؛ إذا واصَلَه بالوسواس حتّى يتلاحق غَيّه ويزداد انهماكاً فيه»[5]

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الزّمخشريّ في تَفسْيرِ قولهِ تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[6] جاء في (الكشّاف): «حفيّ عنها» ... كأنّك عالم

---

(١) النساء / ٨١.

(٢) الكشّاف ١/ ٥٤٦.

(٣) ينظر: الكشّاف ١/ ١٨٤، ٤١٦، ٤٨٢، ٢/ ٨٥، ١٩١، ٣٨٩، ٤٤٩، ٥٥٤، ٣/ ١٥، ٨٧، ١١٩، ١٦٨، ٢٧١، ٥٠٣، ٤/ ٢١٣.

(٤) البقرة / ١٥.

(٥) الكشّاف ١/ ١٨٨.

(٦) الأعراف / ١٨٧.

بها.. ومنهُ أحفاء الشَّاربِ واحتفاء البَقْل: استئصاله، واحفى في المَسْألة إذا ألحَفَ، وحفّى بفلانٍ وتحفّى بهِ: بالغ في البِرِّبِه»[1]

وقد كثرَت المواضِعُ التي امتازَتْ بهذهِ الميْزَة[2].

ثامناً: التَّفصيلُ في مَعْنى اللَّفْظَةِ:

ومن الأمثلة على هذه الميزة، ما أورده الزمخشري في كلمة (هَواء) الواردة في قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾[3] إذ قال عَنْها، ما نصّه: «الهَواء... خلاء، لم تشغله الأجْرام، فوَصفَ به فقيل قلْبُ فلان هواء إذا كان جباناً لا قوة في قلبه ولا جُرأة»[4].

ومن ذلك أيضاً تفصيله لمعنى كلمة (يَتِرَكُم) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾[5] إذ قال عَنْها: «.. من وَتِرْتَ الرَّجُلَ إذا قتلْتَ له قتيلاً من وَلَدٍ أو أخٍ أو حميمٍ أو حربته، وحقيقته أفْرَدْتَه من قريبه أو مالِه من الوِتْر وهو الفَرْد، فشبّه إضاعة عَمَلِ العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام»[6]

تاسعاً: الإشارَةَ على تَغيُّر المَعْنى بتَغيير حَرْف التعدي:

عَمَدَ الزّمخشري توسّعاً في شرح معنى اللفظة وبيان مدلولها الذّي إفادَته في سياق الآية القرآنيّة، إلى تَوْضيح مَعانٍ أخرى لهذهِ اللّفظة تختلفُ عن المعنى المُراد مِنْها في الآية

---

(١) الكشّاف ٢/ ١٣٤-١٣٥.

(٢) ينظر الكشّاف: (١/ ١٧٠، ١٧٥، ١٩١، ٢٢٨، ٢٣٤-٢٤٤، ٣١٤، ٣٣٤، ٣٦٢، ٤٦٤، ٤٧٥، ٤٩٧، ٥٥٨، ٥٩٩، ٦٠١) (٢/ ٣٣، ١١٠، ١٣٤-١٣٥، ٣١٩، ٣٥٣، ٣٧٠، ٤٧٥، ٤٨٧، ٥٢٧، ٥٣١، ٥٣٨) (٣/ ١٥، ٧٤، ٣١٦، ٣٨٧، ٥٣٩، ٥٦١) (٤/ ٢٨، ٣٨)

(٣) إبراهيم / ٤٣.

(٤) الكشّاف ٢/ ٣٨٢.

(٥) محمد / ٣٥.

(٦) الكشّاف ٣/ ٣٥٩.

التي وردتْ فيها، وذلك باختلاف حروف التعدية، ساعياً من وَراء ذلك إلى الإيضاح والإفهام. ومن الأمثلة على هذهِ الميزة، ما نراهُ في تفسير الزّمخشريّ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1].

جاءَ في (الكشّاف): «يقال: قَبِلْت مِنه الشيءَ وقبلْته عنهُ.. أبنْته عنه»[2]، ومِنْ ذلك ايضاً ما ذكره الزّمخشريّ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[3]، جاءَ في (الكشّاف): «... يقال: خالفه إلى الأمْر: إذا ذهب إليه دونَه، ومِنْهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[4] وخالَفَهُ عن أمْرِه إذا صَدَّهُ عَنْه دونَه»[5].

وَينظر في ذلك مَواضِعَ أخَر في (الكشّاف)[10].

بعد هذا العَرْض المفصّل للظواهر البارزة في تفسير الزّمخشريّ لمعاني الألفاظ، لا بدّ منَ الإشارة إلى أن الزّمخشريّ كان قَدِ استعانَ بالمعْجَم العربي في تفسيراته لتلك المعاني، وللاطّلاع على ذلك. ولما كانت المادّة الخاصة بهذا المبحث كثيرة وواسعة جداً لذا ارْتَأَيْتُ أنْ اختار نَماذجَ من الألفاظ التي فسَّرها الزّمخشريّ، وعرضها على أحَد المُعْجَمات العربيّة، وقد أثَرْتُ في معجم (لسانِ العَرَب) على المعجَماتِ الأخرى لما يمتازُ به من خصائِصَ وَمزايا لا تُخْفى على الدّارسِ لعلمِ العربيّة. وفيما يلي نَماذج لهذا العَرْض:

- جاءَ في (الكشّاف): «العربُ تُسمّي المطمئِنَّ غَيْباً»[6]

- جاءَ في (اللّسان): «الغَيْبُ: ما اطمأنّ من الأرض، وجمعُهُ غيُوب»[7]

---

(١) الشورى :٢٥.

(٢) الكشّاف ٣/ ٤٦٨.

(٣) النور: ٦٣.

(٤) هود : ٨٨.

(٥) الكشّاف ٣/ ٧٩.

(١٠) ينظر: الكشّاف ١/ ٥١٥، ٢/ ٤٨٩.

(٦) الكشّاف ١/ ١٢٨.

(٧) لسان العرب – غيب– ١٠٣٣.

- جاءَ في (الكشّاف): «الفاحِشُ عند العَرَبِ البخيل»[1]

- جاءَ في (اللّسان): «العَرَبَ تُسمّي البخيل فاحِشاً»[2]

- جاءَ في (الكشّاف): «الزّبانية في كلام العرب الشُّرطَ، الواحد زبنيـة كعفْريَـةً مـن الزّبْنِ وهو الدّفع»[3]

- جاءَ في (اللّسان): « الزّبانيةُ عندَ العَرَبِ الشُّرط، وكُلُّه مِنَ الدَّفْع»[4]

- جاءَ في (الكشّاف): «الرَّوْضَة عند العرب كلّ ارضٍ ذاتِ نباتٍ وَماء»[5]

- جاءَ في (اللّسان): «الرَّوْضَة... الموضع يَجْتَمِعُ إليه الماء يكثُر نَبْتُه»[6]

- جاءَ في (الكشّاف): «العَرَبُ تُسَمّي الأمْصارَ البِحار»[7]

- جاء في (اللسان): «العَرَبُ تُسَمّي المُدُنَ وَالقُرى البِحار»[10]

- ومن مقارنة النّماذج المختارة مع ما جاء في المعجم يلحَظ أن المعنى الّذي ذكره الزمخشري في (الكشّاف) لا يختلِفُ عَنِ المعنى الواردِ في المُعْجَم مع اخْتلاف العِبارَة وصياغَة التّعبير.

---

(١) الكشّاف ١/ ٣٩٦.

(٢) لسان العرب – فحش – ٢/ ١٠٥٧.

(٣) الكشّاف: ٤/ ٢٧٢.

(٤) لسان العرب: – زبن – ٢/ ٩.

(٥) الكشّاف: ٣/ ٢١٧.

(٦) لسان العرب – روض – ١/ ١٢٥٥.

(٧) الكشّاف ٣/ ٢٢٤.

(١٠) لسان العرب – بحر – ١/ ١٦٥.

إنّ الدارس لتفسير (الكشّاف)، يجد أن الزّمخشريّ قد عَني بالجانب الدّلالي من خلال إشارته إلى أشكال التطوّر الدّلاليّ مِنْ تعميم وتخصيصٍ وتغيير للدّلالة، وإنّه يجد أن أكثر إشاراته تتضمَّن تعميم للدّلالة وقد اهتمّ به أكثر من غيره.

ويمكن بيان ما ورد في (الكشّاف) من هذه الإشارات، فيما يأتي:

جاء في (الكشّاف) في لَفْظة (تَعال) في قولِهِ تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[1] بأنّ «تَعال من الخاصّ الذي صارَ عاماً وأصْله أنْ يقوله مِنْ مكان عالٍ لِمَنْ هو أسفلَ منه ثمّ كَثُرَ واتّسَعَ فيه حتّى عَمّ»[2]، وقال في موضعٍ آخر: «أصل تَعال أنْ يقوله من كان في المكان المرتفع لِمَنْ في المكان المستوطيء ثم كَثُر حتى استوت في استعماله الأمكنة»[3].

فأكّد بما ذَهَبَ إليْه الزّمخشريّ، قَوْلَ الرّاغِب (ت ٥٠٢هـ) بأنّ (تَعال): «أصْله من العلوّ وهو ارتفاع المنزلة فكأنّه دُعاء إلى ما فيه رِفْعَة كقولك: افعل كذا غير صاغِرٍ تَشْريفاً للمقول له»[4]. وذكر الأزْهَريُّ (ت ٣٧٠ هـ) بأنّ العَرَبَ تقولُ «في النِّداء لِلرّجل تَعالَ، بفتح اللام.. ولا يبالون أين يكون المدعوّ في مكان أعلى من مكان الداعي أو مكان دونَه»[5] ونقل ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) عنْ بعضِهم بأنّ (تَعال): «كَثُرَتْ في الكلام حتى صارَتْ بمنزلةِ هَلُمّ، حتّى يقال لِمَنْ هو علوٌ: تَعال، وأنتَ تريد: اهْبِط»[6]، وقيل: أنّ (تَعال) بمعنَى أقْبِل، وُضِعَ لِمَنْ لَه جلالة ورفعة، ثم صارَ في الاستعمال لكلّ داعٍ إلى الإقبال[7].

---

(١) الأنعام ١٥١.

(٢) الكشّاف ٢/ ٦٠-٦١.

(٣) الكشّاف ٣/ ٢٥٨.

(٤) المفردات في غَريب القرآن – علا- ٣٤٦.

(٥) لسان العرب – علا- ٢/ ٨٧٧.

(٦) الصاحبيّ ١٤٧.

(٧) تفسير القرطبي ٢/ ١٣٤٦.

وفي قولــه تعــالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾[1]، يقــول الزّمخشريّ بأنّ (العِيرَ) تَعْني «الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير: أيْ تَذهَبُ وَتجيء، وقيلَ هيَ قافلة الحَمير، ثم كَثُرَ حتّى قيل لكلّ قافلةٍ عيرٌ كأنها جَمْع عَيْر»[2].

و (العِيرُ): كلُّ ما امتير عليه من الإبل والخَيْل والحمير[3]. واشْترطَ البعْض في الإبل أنها لا تكون عيْراً حتى يُمتار عَلَيْها[4]، وَحكى الأزْهريّ عَن ابْن الأعرابيّ (ت ٢٣١ هـ) قال: العِير من الإبل ما كان عليه حَمْله أو لَمْ يكُن[5]، بينما ذكر ابْن السّكّيت (ت ٢٤٤هـ) بأن العيْر: الحِمار... والعير: الإبل التي تَحْمل الميرَة[6]. وقيل (العيْر) الحُمُر أو الإبل تَحْمِلُ الطّعام ثم غلب على كُلّ قافلة[10]. وهذا ما بيّنَهُ لنا الزّمخشريّ في كلامه عَنْ كلمة (العير).

وفي موضع آخر من تفسيره، بيّن لنا الزمخشري حقيقة التّبرّج وتطوّر دلالتها، حين فسّر قولَهُ تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ﴾[11] فقال: «ما حقيقة التّبرّج؟ قلت تكلّف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم سَفينة بارجٌ لا غِطاءَ عليها، والبَرَجُ سَعَة العين يُرى بياضها محيطاً بِسَوادها كلّهِ لا يغيبُ مِنه شيءٌ، إلاّ أنّه اختص بأن تكشف المرأة للرّجال بإبْداءِ زينَتِها وإظْهارِ مَحاسِنِها»[12].

---

(١) يوسف / ٧٠.

(٢) الكشّاف ٢/ ٣٣٤.

(٣) فقه اللغة وسر العربية ١.

(٤) لسان العرب – عير – ٢/ ٩٤٠.

(٥) الموضع نفسه.

(٦) إصلاح المنطق ٢٨.

(١٠) المغرّب في ترتيب المعرّب ٣٣٣.

(١١) النور / ٦٠.

(١٢) الكشّاف ٣/ ٧٦.

والبَرَج سَعَةُ العَيْنِ في شِدَّة بياضِ صاحِبِها[1]، قال ابْنُ سِيْدَة «ت ٤٥٨ هـ» البَرَج سَعَةُ العَيْنِ وَكثرةُ بَيَاضِها[2]. وقيل هو نَقاء بياضِهَا وَصَفاءُ سوادِها[3]. وقيلَ أصْلُهُ الظّهور مِنَ البُرْجِ أي القَصْر[4]، والتَّبَرُّج التكشُّف والظّهور لِلْعُيُون، ومنْهُ بروجٌ مُشَيَّدَة وبروج السّماء والأسوار، أي لا حائل دونها يَسْترها[5]. وهكذا يلاحَظُ أنَّ دلالَةَ (التَّبرُّج) – بمرور الزّمن – تَغيَّرَتْ مِنْ إظهار ما يَجِبُ إخفاؤُه، واخْتَصَّتْ بِظهور المرْأة زينتَهَا وَمحاسنها للرِّجال.

وجاء في (الكشّاف) في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾[6] أنّ (الخَوْن) معناه «النَّقْص، كما أنَّ معنى الوفاءِ التّمام، ومنه تخوَّنه إذا تنقّصه، ثم استعمل في ضِدِّ الأمانةِ والوفاءِ لأنّكَ إذا خُنْتَ الرَّجُل في شيء فَقَدْ أدْخَلْتَ عليه النّقصان فيه، وقد استُعير فقيلَ: خانَ الدَّلْو الكَرَبُ، وخان المشتار السَّبَب، لأنّه إذا انقطع به فكأنّه لم يَفِ له، ومنْه قولُهُ تعالى: ﴿وتخونوا أماناتكم﴾»[7].

وأصْلُ (الخَوْن) النقّصُ كما أنَّ أصل (الوفاءِ) الإتمام، اسْتعماله ضدَّ الأمانةِ لتضمُّنِه إيّاه فإنّ الخائن يَنْقُص المَخُوْن شَيْئاً ممّا خانَهُ فيه[8]. ولا يَرَى أبو عُبَيْدة (ت ٢١٠ هـ) بأنّهُ خصَّ به الأمانة في أمانات الناس دون ما افْترض الله عَلى عبادِهِ وأتمَنهَم عليْه، فإنّه قدْ سَمّى ذلك أمانة فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾ فَمَن ضيَّع شيئاً ممّا أمَرَ الله به أوْ رَكِبَ به شيئاً ممّا نهى عنه فليس ينبغي أن يكون عَدْلاً[9].

---

(١) لسان العرب – برج – ١/ ١٨٤.

(٢) المخصّص ١/ ٩٨.

(٣) الموضع نفسه.

(٤) تفسير روح المعاني ٩/ج ١٨/ ٢١٧.

(٥) تفسير القرطبي ٦/ ٤٧٠١.

(٦) الأنفال / ٢٧.

(٧) الكشّاف ٢/ ١٥٣.

(٨) تفسير روح المعاني ٥/ج٩ « ١٩٥.

(٩) لسان العرب – خون – ١/ ٩٢٤.

والخَوْن: الخِيانة، وهي مُخالَفة الحقِّ بِنقضِ العَهْدِ في السِر، ونَقيضُ الخِيانة: الأمانـة، يقـال خُنْتَ فلاناً وخُنْت أمانة فلان[1].

وهناك أمثلة أخرى في (الكشّاف)[2]، وتُوَضِّحُ لنا مَدى اهتمام الزّمخشري بـالتطوّر الدّلالي للألفاظِ، إضافة إلى الألفاظِ التي تَغيّرَتْ دِلالَتُها بِمَجيءِ الإسْلام، واصْطَلَحَ عليها بَعْضُ اللّغويين بـ (الألفاظِ الإسْلاميّة)[3].

الألفاظُ الإسْلاميّة:

كانَ لمجيءِ الإسلام وما أتى بِهِ من ثَرْوَةٍ فكريّةٍ واجتماعيّةٍ، أثَرُهُ الواضِح في اللُّغةِ العَرَبيّة وتطوّر دلالةِ ألفاظِها، ويقول أبو حاتِم الرّازيّ (ت ٣٢٢ هـ): «إنَّ الأسماء التي هي مُشْتَقَّة من ألفاظِ العَرَب ولم تُعْرَف قَبْلَ ذلكَ مِثْلَ المسْلمِ والمؤمِنُ والمُنافِق والكافِرُ لم تَكُنْ العرب تَعْرِفها، لأنّ الإسلام والإيمان والنّفاقَ والكُفْرَ ظَهَرَ في عَهْد النّبي صلى الله عليه وسلم»[4].

وذكر ابن فارسٍ (ت ٣٩٥ هـ) أنّهُ بِمَجيءِ الإسْلام «نُقِلَتْ مِنَ اللُّغةِ ألفاظ مِنْ مواضِعَ إلى مواضِعَ أُخَر، بزياداتٍ زِيْدَتْ، وَشَرائِعَ شُرِعَتْ، وَشَرائِطَ شُرِطَتْ»[5]، وأشار إلى أن لِكلّ لَفْظٍ من الألفاظ الإسلاميةِ اسمين أحدُهما لُغَويٌّ والآخر شرعيّ[6].

---

(١) المفردات في غريب القرآن – خون- ١٦٣.

(٢) ومنها: ألفاظ: (دُوْن) ١/ ٢٤٤، (الابتهال) ١/ ٤٣٤، (ربيب) ١/ ٥١٧، (العَنَت) ١/ ٥٢١، (العُمْرَة) ٢/ ٣٦، (الحَدّ) ٢/ ٤٢٩، (الإحاطة) ٢/ ٤٥٨، (حَنان) ٢/ ٥٠٤، (نُزُل) ٣/ ٢٤٤، (كَبَد) ٤/ ٢٥٥ وغيرها.

(٣) ينظر: الصاحبي ٧٨، المزهر ١/ ٢٩٤، التطورّ اللغوي التاريخي ٤٩، نحوَ وعي لغويّ ١٠٨.

(٤) الزينة في الألفاظ الإسلامية العربية ١٤٠.

(٥) الصاحبي ٧٨.

(٦) الصاحبي ٨١.

وقد فرّق الزّمخشري بَيْن الدّلالتَين اللّغويّة والشّرعيّة في تفسيره، فَنَجِدُه يُعَلِّق على قَوله (صلى الله عليه وسلم) [لا يُتْمَ بَعْدَ الحُلُم] بقوله: «أمّا قولُه (صلى الله عليه وسلم) [لا يُتْمَ بَعْدَ الحُلُم][1] فما هو إلاّ تَعْليمُ شريعة لا لُغَة»[2]، لأنّ المعنى اللّغوي[3] لهذه الكلمة هو «الانفراد ومنه الرّملة اليتيمة والدّرة اليتيمة... وحقّ هذا الاسم أن يقع على الصّغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء»[4] – كما قال الزّمخشري في تفسيره – أمّا المعنى الشّرعي فهو كما ذكره النبي (صلى الله عليه وسلم)، ووضّحه الزّمخشري بقولِهِ: «وقد غلب أن يسموا بِهِ – أي باليُتْم – قبلَ أنْ يبلغُوا مبلغَ الرِّجال»[5].

وقد عُدّ التّصويب اللّغوي، تسميةُ من مات أبوه وأمه يتيماً بدون النّظر في البلوغ، من اللّحن الذي وقع فيه العامّة[6].

أمّا كلمة (الفاسِق)، فهي تعني في اللّغة: الخروج عن الشيء[7]، وكلّ ما خرج عن شيء فَسَقَ، إلا أنّه خُصَّ بِمَن خرج عن أمر الله بأن قيل فاسق[8]، وذكر صاحب (الكشّاف) هذين المعنيين، عندما فسّر كلمة (الفاسِق) في قولِهِ تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا

---

(١) سنن أبي داود ٣/ ١١٥، وأصل الحديث [لا يُتْمَ بَعْدَ الحُلُم، ولا صُمات يوم إلى الليل].

(٢) الكشّاف ١/ ٤٩٤، وذلك في تفسير قوله تعالى: وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب [النساء / ٢].

(٣) المعنى اللغوي: «هو المعنى الذي أطلق أول مرة على شيء معيّن، فترسخت صورته ودلالته في أذهان الناس ضمن البيئة اللغوية ورقعتها الجغرافية، ولا يقف هذا الوضع عند حدّ معين، بل يتطور عادة بسبب الأحوال الدينية والفكرية والاجتماعية». ألفاظ العبادات في القرآن الكريم: دراسة دلالية ١٩.

(٤) الكشّاف ١/ ٤٩٣-٤٩٤.

(٥) الكشّاف ١/ ٤٩٤.

(٦) ينظر: تقويم اللسان ٢٠٨، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١٩٨.

(٧) تفسير غريب القرآن ٢٩.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٤٠.

﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾[1] بقوله: «والفِسْق: الخروج عن القَصْد» قال رؤبة: «فَواسِقاً عن قَصْدِها جَوائِراً[2]»

والفاسِق في الشّريعة: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة»[3]، وفي موضع آخر، أوضح هذين المعنيين أكثر مما سبق، بقوله: «والفُسُوق: الخروج منهن بقال: فَسِقَت الرّطبة عن قشرها.. ثم استعمل في الخروج عن القصْد والانسلاخ عن الحق»[4]. ونقل عن ابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) قوله: «لم يسمعْ قطّ في كلام الجاهليّة ولا في شعرِهم فاسِق»[5]، وقوله أيضاً: «لم يُسْمَع الفاسِقُ في وصْفِ الإنسان في كلام العَرَبِ وإنّما قالوا فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ عَنْ قِشْرِها»[6].

وهناك ألفاظ إسلامية أخرى، وَرَدَتْ في (الكشّاف) وذكر لها المعنى اللّغوي أو المعنى الشرعيّ أو المعنيَيْن مَعَاً[7].

---

(١) البقرة ٢٦.

(٢) ديون رؤبة بن العجاج ١٩٠ وصدر البيت

يهوين في نجد وغوراً غائراً   فواسقاً عن قصدها جوائراً.

(٣) الكشّاف ١/ ٢٦٧ وينظر ١/ ٣٤٦.

(٤) الكشّاف ٣/ ٥٦٠.

(٥) لسان العرب – فسق– ٢/ ١٠٩٦.

(٦) المفردات في غريب القرآن ٣٨٠.

(٧) ومن هذه الألفاظ: (المتّقي) ١/ ١١٩، و (الإيمان) ١/ ١٣٦-١٢٧، و (الشّعائر) ١/ ٣٢٤، ١/ ٥٩١، و (الحَجّ) ١/ ٣٢٤ و (النّفاق) ١/ ٥٧٥.

المَبْحَثُ الثالث:

التَّرادُف وَالفُروق اللُّغويّة

التّرادف:

لُغَةً: هوَ ركوب أحد خلفَ آخَر، فقال الجَوْهَريّ: «الرِّدْف: المُرتَدف، وهو الذي يَرْكب خَلْفَ الرّاكب.. وأردَفْتُهُ أنا، إذا أركَبْتُهُ مَعَكَ.. وَيُقال هذه دابّة لا تُرادِف، أي لا تحمل رَدِيْفاً»[1].

واصْطِلاحاً: هو الألفاظُ المُفْرَدَة والمخْتَلفة الدّالة على معنى يَنْدرِجُ تَحْتَ حقيقةٍ واحدةٍ كالخَمْرِ والرّاح والعقار[2]. وقد وضّح الجرجانيّ العلاقة بَيْنَ المعنى اللُّغويّ والاصْطِلاحيّ في تعريفِهِ لِلتّرادُف، فَقال: «المُترادِفُ ما كان مَعْناه واحِداً وأسماؤُه كَثيرة وهو ضِدُّ المُشْتَرَكِ، آخِذاً من التّرادف الذي هُوَ رُكوبُ أحدٍ خَلْفَ آخَر، كانّ المَعْنى مَرْكوب واللّفظَيْنِ راكبانِ عَلَيْهِ كَاللّيْثِ وَالأسَدِ»[3].

إنّ أوّل مَنْ أشار إلى فِكْرَة التّرادف، هو سيبَوَيْه (ت ١٨٠هـ) في تَقْسِيماتِهِ للألفاظ، إذْ قال: «اعلَمْ أن من كلامِهِم اختلاف اللّفظَيْنِ لاختلاف المَعْنَيَيْنِ نحو جَلَسَ وَذَهَبَ، واختلاف اللّفْظَيْنِ والمَعْنى واحدٌ نحو: ذَهَبَ وانْطَلَقَ»[4]، ثمّ تناول هذه الظّاهرة بعدَهُ كثيرٌ من العلماءِ، فألّفُوا فيها كُتُباً مُسْتَقِلّةً أو أبواباً داخِلَ كُتُبِهِم، وتَمَثّلَتْ عندَ الأصْمعيّ (ت ٢١٦ هـ)، باسْمِ (ما اخْتَلَفَتْ ألفاظُهُ واتفقتْ معانيه)[5]، وألّف فيها

(١) الصحاح - ردف - ٤/ ١٣٦٣-١٣٦٤.
(٢) ينظر: المزهر ١/ ٤٠٢.
(٣) التّعريفات ١١٢.
(٤) الكتاب ١/ ٢٤.
(٥) ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون أن اسمه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) وهذا خطأ، كشف الظنون ٢/ ١٥٧٣.

الرّمّاني (ت ٣٨٤ هـ) كتابه (الألفاظِ المُتَرادفة)[1]، وخصّص أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) أحد أبواب كتابِهِ (الغريبُ المصنّف) تحتَ عِنوان (كتابُ الأسْماءَ المختلفةِ للشَّيءِ الواحِد)[2]، وكَتَبَ فيها كثيرٌ من المُحْدَثين، مِثْل كتابَيْ روفائيل نَخْله اليسوعي (غرائِبُ اللُّغةِ العَرَبيّةِ) و(قاموسُ المُترادِفاتِ والمُتجانِساتِ) وكتاب نجيب اسكندر (مُعجَم المعاني للمترادِفِ وَالمتوارِدِ والنّقيض) وكتابُ إبراهيم اليازجي (نَجْعَةُ الرائِد وَشِرْعَةُ الوارِدِ في المترادِفِ والمتوارِدِ) وغير هذه الكتب.

وَانقسم العلماءُ في وُقوعِ المُترادِفات على ثلاثةِ أقسام:

١- من قال بوجودِها، وحجتهم أن التّرادف واقعٌ في اللّغة وَمَعْلوم بالضّرورة وَيَتمثّل فيما سُمِعَ عن العَرَب من ألفاظ مختلفة بمعنى واحد كالحِنْطة، والبُرّ، والقَمْح[3]. ومِنْ هؤلاء: سيبَوَيْه (ت ١٨٠ هـ) وأبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) والمبرّد (ت ٢٨٦هـ)[4].

٢- من أنكر وجودَها، وذَهَبوا إلى «أنّ كلّ ما يُظَنّ من المترادفات فهو من المتباينات التي تَتَباين بالصِّفات، كما في الإنسان والبَشَر، فإن الأوّل موضوعٌ لَهُ باعتبار النّسيان، أو

---

(١) هدية العارفين ١/ ٦٨٣.

(٢) ينظر: الغريب المصنّف ٢/ ٢٨٦ ب.

(٣) ينظر: المزهر ١/ ٤٠٣، والأضداد في اللغة ٢١٣.

(٤) ينظر: المزهر ١/ ٤٠٢-٤٠٣، والأضداد في اللغة ١٩٨، ذهب كثير من الباحثين إلى أن ابن الأعرابي وثعلب قد أنكروا وقوع الترادف، والصحيح أنهما لم يكونا مُنكرين للترادف بل كانا مثبتين له ودليل ذلك ما ورد في آثارهما، ففي كتاب (البئر) لابن الأعرابي تجد ما يدلّ على ذلك بوضوح، وممّا جاء في كتابه «بئر زوراء، ودحول»: إذا كان في حلقها عوج» [البئر ٦١] وجاء في وصفها أيضاً «والخِضْرِم، والعيلم: الغزيرة/ [البئر ٦٤] وغير هذين الموضعين، أمّا ثعلب فهناك في (مجالسه) ما تدلنا على إثباته للترادف، من ذلك قوله: «ويقال غلام نُشْنُش، وشعشع وبَلْبَل وبَرْبَز: إذا كان خفيفاً في السفر» [مجالس ثعلب ١/ ١٣] وقوله: «ويقال: وقع في روعي وخُلْدي وَهَمي؛ بمعنى واحد» [مجالس ثعلب ١/ ٨٣] وغيرهما من المواضع وقد أشار الدكتور قاصد الزيدي – أيضاً– إلى توهم من ذهب إلى إنكار ابن الأعرابي وثعلب للتّرادف. [ينظر: فقه اللغة العربية ١٦٩-١٧٠].

باعتبار انه يؤنِس، والثّاني باعتبار أنّه بادي البشرة. وكذا الخَنْدَريسُ والعَقار، فإنّ الأوّل باعتبار العِتْق، والثاني باعتبار عقر الدين لشدتها»[1]. ومن هؤلاء: ابن فارِس[2] (ت ٣٩٥ هـ) وأبو هلال العَسْكَرِيّ[3] (ت ٣٩٥ هـ) وغيرُهما[4].

٣- من حاوَلَ التّوفيقَ بَيْنَ الإثْباتِ والإنكار، كالفَخْر الرّازي (ت ٦٠٦ هـ)، الذي مالَ إلى الاعتدال وقيد ذلك بوَحْدة الاعتبار لكَيْ يخرج الاسم والصّفة فإنّها لَيْسَا مترادِفَيْن لأنّ دلالَةَ كلٍّ منْهُما على المعنى باعْتبار يَخْتلف عَن الاعتبار الآخَر[5].

أمّا موقِف الزّمخشريّ من التّرادف في (الكشّاف)، فَقَدْ كانَ مُعْتَدِلاً، وَذَهَبَ مذهباً وَسَطاً بين الإثبات والإنكار، وأقرّ بوقوع التّرادف، وإنْ لَمْ يَذْكر ذلك بالقوْل الصّريح، وإنّما عبّر عَنه بألفاظ: (أخَوَان)[6] و (المِثْل)[7]، أو يكون لفظين ما قد جاءا بمعنى واحد، أو أن يذكُرَ عدّة ألفاظ ثم ينصّ على أنها قد جاءَتْ بمعنى واحد، وهذا هو الغالب[10]. وما ورد من ألفاظ مختلفة ينطبق عليها حدّ المعنى الاصطِلاحي، ولَمْ يبالغ الزّمخشريّ في إثبات هذه الظّاهرة، والدّليل على ذلك، ما ذكره في (الكشّاف) من فروق بين الألفاظ التي يظنّ فيها إتّحاد المعنى[8]. وقد فرّق الزمخشري بين مُصْطَلَحَيْ (النّظير) و (المِثْل)، فأطْلَق (النّظير)

---

(١) المزهر ١/ ٤٠٣، وينظر: التّرادف في اللغة العربية ١٩٦-٢٢١، فإن فيه سرداً مفصلاً لحُجج الفريقين.

(٢) في كتابه الصّاحبي ٩٦-٩٧، وينظر المزهر ١/ ٤٠٤.

(٣) في كتابه (الفروق في اللغة) ١٣.

(٤) ينظر: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً ٢٢٣، والتّرادف في اللغة ١٩٨-٢٠١.

(٥) ينظر: المزهر ١/ ٤٠٢.

(٦) الكشّاف ٤/ ٢٢٣.

(٧) نفسه ٣/ ٥٢٤.

(١٠) ينظر الكشّاف ١/ ١٦٤، ٤٨٧، ٤٩٨، ٥١١؛ ٣/ ٤٠٤، ٥٣٦، ٣/ ٧٦، ٤/ ٢٣٧ وغيرها من المواضع.

(٨) كما سنأتي على بيان ذلك من خلال الأمثلة الواردة في (الكشّاف)، بعد قليل.

على الألفاظ التي تَبْدو كأنّها مترادفة[1]، من حيثُ نظير الشيء نفسُه، لأنّ نفْسَ الشيءِ هو ذاته يعبر عنه بـ (مثل)[2]، أو بـ (اخوان) كما فعل ذلك الزمخشري.

وقد ذكر اللّغويون أسباب حدُوثِ ظاهرة التّرادُف، ويمكن إيجازها فيما يأتي[3]:

١ - التطوّر الدّلالي: كما في استعمال الضّأن مُرادفاً للغَنَم[4].

٢ - أنْ يكون للشيءِ الواحدِ اسم وعدّة صِفات كما في السيْف والصّارم والمهنّد والباتر.

٣- اختلاف اللّغات: كما في أقْسَم وحلف، بعثَ وأرسل[5].

٤ - الاستعارة من اللغات الأجنبيةِ كالدمقس والإستبرق للحرير[6].

واشْترط هؤلاءِ اللغويون شرُوطاً معينة لتحقيق الترادف، وهي[7]:

١ - الاتّفاق في المَعْنى.

٢ - الاتّحاد في البنية اللغويّة.

---

(١) ذكر بأن (حرّك الصلوين في الصلاة) هو (كفّر اليهودي إذا طأطأ وانحنى) [الكشّاف ١/ ١٣٠]، ونظير (لا ريب) هو (لا ضير، لا بأس) [الكشّاف ١/ ١١٦] ونظير (ضاف) هو (زار من الازورار) [الكشّاف ٢/ ٢٩٤].

(٢) ينظر: الفروق في اللغة ١٤٨.

(٣) ينظر في تفصيل هذه الشروط: (الترادف في اللغة) ٧٥-١٩١، و (فصول في فقه اللغة العربية) ٣١٦- ٣٢٢، و (فقه اللغة العربية) د. كاصد الزيدي ١٨١-١٨٥.

(٤) فالغنم في الأصل كان اسماً عاماً يقع على الضأن والمعز جميعاً، ثم تخصّص بعد ذلك باسم الضأن واستعملا بمعنى واحد.

(٥) ومن الأمثلة الأخرى ما ورد في الكشّاف من أمثلة على الترداف بين اللغة القرشية واللغات الأخرى الواردة في القرآن الكريم، ينظر: مبحث (اختلاف لغات العرب) من هذه الدراسة.

(٦) فالدمقس والاستبرق، لفظتان فارسيتان مترادفتين للفظة (حرير) العربية.

(٧) ينظر: في تفصيل هذه الشروط: (في اللهجات العربية) ١٧٨-١٧٩.

٣- الاتّحاد في العَصْر.

٤- ألاّ يكونَ أحَدَ اللّفظَيْنِ نَتيجَةَ تطوّر صوتيّ آخَر.

وفيما يأتي، أمثلة على مَوْقف الزّمخشري من التّرادف في (الكشّاف)، ويَمْكِنُ تقسيمها على قِسْمَيْن:

القِسْمُ الأوّل: ألفاظ أقرّ بترادُفِها.

القِسْمُ الثّاني: ألفاظ رَدَّها.

القِسْمُ الأول: ألفاظ أقرّ بترادفها: ولكثْرَتِها، اخْتَرْتُ ثلاثةَ امثلةٍ منْها، وَهي:

١- الشُّحّ – البُخْل – اللُّؤْم – المَنْع.

تكلّم الزّمخشري عن هذه الألفاظ فأفاد بأنّها من المترادِفات، إذْ قال في تفسيرِ لَفْظَةِ (الشحّ) في قولهِ تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾[1] إن «الشُّح بالضمّ والكسْر وقد قرئَ بهما: اللّؤم وأنْ تكونَ نَفْسُ الرَّجل كزة حريصة على المنع كما قال:

يمارِسُ نَفْساً بَيْنَ جَنْبَيْه كَزّة ۞ إذا هَمَّ بالمَعْروفِ قالَتْ لَهُ مَهْلاً.

وقد أضيفَتْ إلى النّفس لأنّه غريزية فيها، وأمّا البُخْل فهو المَنْعُ نفسُه»[2]، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[3] ليؤكّد على التّرادف بينَ هذهِ الألفاظ.

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) الكشّاف ٤/ ٨٤.

(٣) النساء: ١٢٨.

وَعدّ الخليل (ت ١٧٥ هـ) الشّح والبُخْل بمعنىً واحد فقال: (والشُّحُّ: البُخل)[١] وقد ذكر قُدامة بنُ جَعْفر (ت ٣٣٧ هـ) الشّحيح واللّئيم من أسماء البُخَلاء[٢]، وكذلك الرُّماني (ت ٣٨٤ هـ) حيث جَعَلَهُا من الألفاظ المترادفة[٣]، وَعَدّ غيرُهم ألفاظ (البُخْل واللّؤم والشّح والضِنّ والإمْساك والدّناءة والدّقة) ألفاظاً مترادفة[٤]، ومنهم من أورد ألفاظاً أخرى كثيرة في ترادف البُخْل[٥].

وقيل في الشُّحّ إنه أَشَدّ البُخْل وأنّه أبلغ من المَنْع، وأنّ البخل في أفراد الأمور وآحادها، والشّحُ عام[٦]. وقيل -أيضاً- في (الشُّحُ) أنّه: «إفراط في الحِرص على الشّيء ويكون بالمالِ وَبغيْره من الأغراض.. والبخل يكون بالمالِ خاصّة»[٧]، ولكنّ الزّمخشري لا يشير إلى هذه الفروق الدّقيقة وَعدّ (الشُّحّ والبُخْل) من الألفاظ المترادفة.

٢- العارض - السحاب - الحبي - العنان.

أورد الزّمخشريّ للعارض أسماءً متعددة، وهي: السحاب والحبيّ والعنَان، إذ ذَكَر في تفسير كلمةِ (عارضٍ) في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[٨] بأنّ (العَارض) هو «السّحاب الذي يَعرض في أفق السّماء ومثلهُ الحبيّ والعنان من حَبا وعنّ إذا عَرَض»[٩].

---

(١) العين ٣-١٣.

(٢) ينظر: جواهر الألفاظ ١٠٥.

(٣) الألفاظ المترادفة ٣٨.

(٤) هو عبد الرحمن بن عيسى الهَمَداني (ت ٣٢٠ هـ)، في كتابه (الألفاظ الكتابية) ٩٦-٩٧.

(٥) ينظر: نجعة الرائد وشِرعة الوارد في المترادف والمتوارد ٨١-٨٢.

(٦) لسان العرب - شحح- ٢/ ٢٧٦.

(٧) فروق اللغات ٥٥.

(٨) الأحقاف ٢٤.

(٩) الكشّاف ٣/ ٥٢٤.

فالعارِض والعنان والحبيّ هو السّحاب الذي يَعْترض في الأفق أو يشرف من الأفق على الأرض[1]، ففي كتاب (المَطر) لأبي زيـد (ت ٢١٥ هـ) أنّ العـارض هـو «السّحابة تراها في ناحية السّماء»[2] و (الحبيّ) هو «الغَيْم في عرض السّماء القريب الحسن»[3]، ونقل ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) في باب (تَلاقي المعاني، على اختلاف الصول والمباني) عن أبي علي الفارسي (ت ٢٧٧ هـ) أنّ الحبيّ والسّحاب يطلَقان على مسمّىً واحد[4]. وقيل فيهما: أنّ العارض للذي يعرِض في قُطر من أقطار السّماءِ من العشيّ ثم يصْبح وقد حبَا واسْتوى وَإذا أقبل وأخذ يَعْلو فهو الحبيّ[5]، وقيل في الحبّي – أيضاً – بأنّه سَحاب ثقيل يَدْنو من الأرض لثِقله[6].

٣- المَطَر – الرَّجْع – الأَوْب.

تحدّث الزّمخشريّ عنْ هذهِ الألفاظ الثّلاثة وَذكر تعليلَيْن لتسمية العرَب المطر بالرَّجْع والأوْب، عندما فسّر قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝﴾[7]، فقال:

«سمُيّ المطرُ رَجْعاً كما سمُيَ أوباً، قال:

رَبّاهُ شَمّاءُ لا يأوي لقلّتِها ... إلاّ السّحابُ وإلاّ الأوْبُ والسَّبُلُ.

(١) لسان العرب – حبا– ١/ ٥٦٠ – عرض– ٢/ ٧٤٠، –عنن– ٢/ ٩٠٨.

(٢) كتاب المطر ١١٠، ضمن (البُلغة في شُذور اللغة).

(٣) نفسه ١١١.

(٤) ينظر: الخصائص ٢/ ١٢٦.

(٥) مباحث لغوية ١٦٩.

(٦) نظام الغريب ١٩٠.

(٧) الطارق / ١١.

تَسْمِيةٍ بِمَصْدَرَيْ رَجَعَ وآبَ، وذلك أنّ العرب كانوا يَزْعمون أن السّحابَ يَحْمِلُ الماءَ مِن بِحارِ الأرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُهُ على الأرض، أو أراد التفاؤل فسمُّوه رَجْعاً وأوباً ليَرْجِع»[1].

وهناك من علّل تسمية المَطر بالرَّجْع لرجوعه وتكرّره[2]، فالرَّجع إذا وصف للمطَرِ[3].

وفي (الكشّاف) ألفاظ أخرى أقرّ الزّمخشريّ بترادُفها فيه[4].

القِسْمُ الثّاني: ألفاظ رَدَّها.

لقد فرّق الزّمخشري في تفسيره بيْنَ نوعَيْنِ من الألفاظ أولهما: الألفاظ الدّالة على معنىً واحد، وَجَعلها من باب التّرادف، وثّانيها الألفاظ التي عدّها غيْره من المُترادِفات، أمّا الزّمخشري فقد عَدَّها من بابِ الفرُوقِ اللُّغَويّة[5].

- الفرُوقِ اللُّغويّة:

حَرَصَ الزّمخشريّ على ذِكْرِ الفروق الفاصِلَةِ بين الألفاظ، وقد سَبقَهُ في تناوُلِ هذهِ الفُرُوقِ كثيرٌ من العُلَماء، فصنّفوا فيها أبواباً وكُتُباً راجعِين باللُّغة والألفاظِ إلى ما كانَتْ عَلَيْه من دِلالاتٍ قديمَة. والعِناية بهذهِ الفُرُوقِ جاءَتْ نَتيجةً لاستعمالِ النّاس لألفاظ

---

(١) الكشّاف ٤/ ٢٤١-٢٤٢.

(٢) فقه اللغة وسرّ العربية ٢٨٥.

(٣) جواهر الألفاظ.

(٤) ينظر: جدول رقم -١- في الملحق.

(٥) ارتأينا الوقوف على هذا الباب لاهتمام الزمخشري به.

كثيرة بمعنى واحد، وإغفالهم لما فيها من تَبَاين إهمالاً لَها أو جَهْلاً بها، فكانَ أن ترادَفَتْ ألفاظ كثيرة على معنى واحد نتيجة التطوّر في الاستعمال.

ومن العلماء الّذين درسُوا الفروق اللُّغويَّة، ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) الّذي أفردَ لها في كتابه (أدَبُ الكاتِب) باباً خاصّاً سمّاه (باب مَعْرِفة ما يَضَعُهُ النّاس في غَيْرِ مَوْضِعِه)[١]، وقد ذكَر أمثلة في هذا الباب، مِنْها الفرْق بَيْنَ الحِشْمَة والاستحياء[٢]، وَبَيْنَ الخائِنِ والسّارِق[٣]، وغَيْرِهِما مِنَ الأمثلة.

ودرس ظاهرةَ الفروق اللّغويّة بَعْدَ ابن قتيبة، أبو هِلال العسكريّ (ت ٣٩٥ هـ) ولعلّه يُعَدُّ من أشهر الذين ألّفوا هذا الباب، فقد أفرد فيها كتاباً سمّاه (الفروق في اللّغة)، قسّمَه على ثلاثين باباً، حوى كلّ باب طائفة من الألفاظ التي يُظَنُّ للوَهْلة الأولى أنها متّفِقَةُ المعْنى تَماماً، وإنّها لذلك مُترادفة لا فَرْقَ بَيْنَ مَعانيها، وقد سوّغ لتأليفِهِ هذا الكتابَ، بِقولِهِ في مقدّمتِهِ لَه: «ما رَأَيْتُ نَوْعاً مِنَ العلوم وَفَنّاً مِن الآداب، إلاّ وقَدْ صنِّفَ فيهِ كُتُب تَجْمَعُ أطرافَه وتُنَظِّمُ أَصْنافه إلاّ الكَلام في الفرْق بينَ معان تقارَبَتْ حتى أشكل الفرْق بينها نحو العِلم والمعْرِفة، والفِطْنة والذّكاء، والإرادة والمَشيئة»[٤]، وفروق العسكريّ «قائمةٌ على النّظرة التأريخية إلى دلالة الألفاظ، تلك النظرة التي تشعّبتْ بالدّلالة الأصلية وترفض

---

(١) أدب الكاتب ١٧.
(٢) نفسه ١٩.
(٣) نفسه ٢٠.
(٤) الفروق في اللغة ٢٣٥.

التغيير الدّلالي الجديد الذي اقتضاه التّطور في الاستعمال، وإنْ أشار العسكريّ إلى هذا التّوسّع»[1].

وممّن تناول الفروق اللغوية أيضاً السّيّد الجرجانيّ (ت ٨١٦ هـ) في كتابه (التّعريفات) وأبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) في معْجمه المسمّى بـ (الكُلّيات) وغيرهم.

وألّفَ في الفروق اللّغوية من المحْدَثين السيّد نور الدّين الجزائريّ في كتابه (فروق اللّغات) والمستَشْرِق هنريكوس لامنس في كتابِهِ (فَرائِد اللّغة - الجزء الأول في الفروق).

وقد اهتمّ الزمخشري بذكر الفروق بيْنَ الألفاظ في تفسيره، وعبّر عَنْهَ بالتّساؤل عن الفَرْق بينها[2] أو بذكر لفظة (الفَرْق) مباشرةً[3] أو بمقارنة بين اللفْظتين[4].

ويمكِنُ تقسيم ما أورده الزّمخشريّ من فروق لغوية في تفسيره، على قسْمين:

القِسْم الأوّل: فُروق لغويةٌ نتيجة اختْلاف في الدّلالة.

القِسْم الثّاني: فروق لغوية نتيجة اختلاف الحرَكات، وهي قليلة بالنّسبةِ على القسم الأول.

القِسْم الأوّل: وَقَد اخْتَرْتُ مِنْها مِثالين:

---

(١) الترادف في اللغة ٢٣٠-٢٣١.

(٢) الكشّاف: ٣/ ١٦٥؛ ٣١٠، ٤/ ٢٩٣.

(٣) الكشّاف: ٢/ ٣، ٥٥٣، ٣/ ١٥١.

(٤) الكشّاف: ١/ ١٦٤، ٢٢٠، ٢٢٥، ٤٩٩؛ ٤/ ١٦٣.

١ - (الخَوْف - الحُزْن)

تساءَلَ الزّمخشريّ عن الفرْق بين الخَوْف والحُزْنِ، عندَما فسّر قولَه تعـالى: ﴿ تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾[1] بِقَوْله: «فإنْ قُلْت: مَا الفرق بَيْنَ الخَوْفِ وَالحُزْن؟ قلـت: الخَوْف غَمّ يلْحقُ الإنْسانَ لمتوقَّع، والحُزْن غَمّ يلحقه لواقع وهو فِراقُهُ والإخطار به»[2] ولم يفرِّق ابن السّكّيت (ت ٢٤٤ هـ) بَيْنَهُما[3].

وقَدْ ذكر ابن العسكريّ (ت ٣٩٥ هــ) مَعْنى الخَوْفِ حينَ أشـار إلى الفَـرْق بـين الخَوْف والرَّجاء، فقال: «الخَوْف توقّع الضَّرر المَشْكوك في وقوعه ومن يتيقّن الضّرر لَمْ يَكُنْ خائِفاً»[4]. أمّا عند غيره فالخَوْف هو «غمّ يلْحَق لتوقّع المكروه، وكذا الهمّ، أمّا الحزن فهو غمّ من فوات نافع أو حصول ضار»[5].

يتضح لنا مما سبق محاولة الزمخشري في بيان الفروق اللغوية بين الألفاظ في سياق الآية الواحدة.

٢ - (الضِّياء - النُور)

جاء في (الكشّاف) في الفرق بين الضّياء والنور، في قولـه تعـالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[6] بـأنّ «الـضياء أقـوى مـن النـوّر»[7] وقـد فـرّق بينهما العسكريّ - أيضاً - بقوله: «أنّ الضّياء هو ما يتخلّل الهواء من أجزاء النور فيبيّض

---

(١) القصص / ٧.
(٢) الكشّاف ٣/ ١٦٥.
(٣) إصلاح المنطق.
(٤) الفروق في اللغة ٢٣٥.
(٥) الكلّيات ٢/ ٣٠١.
(٦) يونس / ٥.
(٧) الكشّاف ٢/ ٢٢٥ وأيضاً ٤/ ١٦٣.

بذلك»[1]، وقيل في الفرْق بينهما، إنّ (الضّيَاء) ما كان من ذاتِ الشَّيْءِ المُضِيء و (النّور) ما كان مُسْتَعاراً من غيرِهِ، واسْتَدلّوا بالآية المذكورة، وانتهوا إلى أنّ (الضّياء) أتّم وأكمل من النّور والنور أعمّ منه[2]. ويفهم من كلام الزمخشري المعنى الأوّل، أمّا كَوْن (النور) أعمّ من (الضّياء)، فلا يُفْهَمُ من كلامِهِ ذلك.

وهناك ألفاظ أخر فرق الزمخشري بينها كما نجد الفرق بين ألفاظ: (الحَمْد والشُكر)[3] و(خَلَقَ – جَعَل)[4] و (الرَّدْم – السَّد)[5]، و (النَّصَبْ – اللّغوب)[6] و (النّصر – الفَتْح)[7] وغيرِها من الألفاظ[8].

القِسْمُ الثاني: فروق لغوية نتيجة اختلاف الحَرَكات: وهي – كما قلنا – قليلة بالنسبة على القسم الأول، فهي لا تتجاوز خمس مسائل، وهي الفرق بين (القُرْح –القَرح)[9] و (الوَلاية –الوِلاية)[10] و (العِوَج والعَوَج)[11] و (الضَّر والضُّر)[12] و (السَّد – السُّد)[13]. ونقف – الآن قليلاً، على واحدة من هذه المسائل.

---

(١) الفروق في اللغة ٣٠٧.

(٢) ينظر: فرائد اللغة في الفروق ١٧٨.

(٣) الكشّاف ١/ ٤٦-٤٧.

(٤) نفسه ٢/ ٣.

(٥) نفسه ٢/ ٤٩٦.

(٦) نفسه ٣/ ٣١٠.

(٧) نفسه ٤/ ٢٩٣.

(٨) الكشّاف ١/ ٤٦-٤٧؛ ١٦٤، ١٩٠، ٢٢٠، ٢/ ٥٥١، ٥٣٤؛ ٣/ ١٥١، ١٩١، ٤/ ٥٠، ١٥١، ١٩٢.

(٩) الكشّاف ١/ ٤٦٥.

(١٠) نفسه ٢/ ٤٨٦.

(١١) نفسه ٢/ ٥٥٣.

(١٢) نفسه ٢/ ٥٨١.

(١٣) نفسه ٣/ ٣١٦.

ففي قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾[1]، قال الزمخشري في الفرق بين (الضَّر) و (الضُّر): «إن الضَّر بالفتح الضَرَر في كل شيء، وبالضم الضَرَر في النفس من مرض وَهُزال، فُرّق بين البناءين لافتراقِ المَعْنَيَيْن»[2]

ومعنى ذلك أنّ «كلّ ماكان من سوء حال وفقر وشدة في البَدَن فهو ضُر، و ما كان ضداً للنفع فهو ضَر)[3] وأضاف العسكري على معنى (الضَّرِ) الذي هو خلاف النَّفع، أنه «يكون حسناً وقبيحاً فالقبيح الظلم وما بسبيله والحس شرب الدّواء المر رجاء العافية»[4]، وعدّ ابن السّيد البَطَلْيوسّي (ت ٥٢١ هـ) (الضَّر والضُّر والضِّر) من المثلَّثات اللّغويَة[5]، فقال: «الضَّر بالفتح ضد النفع، والضِّر بالكسر: أن تتزوج المرأة على ضرّة... والضُّر بالضمّ: سوء الحال»[6]، وقيل في (الضَّرّ والضُّرّ) أنهما لغتان ضد النفع[7]. وعزا الزمخشري سبب افتراق البناءين إلى افتراق المعنيين.

---

(١) الأنبياء : ٨٤.

(٢) الكشّاف ٢/ ٥٨١.

(٣) لسان العرب – ضرر– ٢/ ٥٢٥.

(٤) الفروق في اللغة ٩٢.

(٥) والمثلث في اللغة: هو الدّلالة على ثلاثة أشياء، جاء في التهذيب «قال الليث: المثلث ما كان من الأشياء على ثلاثة أثناء» [تهذيب اللغة ١٥/ ٦١]، وفي الاصطلاح: هو «ما اتفقت أوزانه وتعادلت أقسامه ولم يختلف إلا بحركة فإنه فقط أو بحركة عَيْنه فقط أو كانت فيه ضمتان تقابلان فتحتين وكسرتين» [المثلث لابن السيد البطليوسي ١/ ٢٩٨]، وكتب في المثلث الكثير من العلماء [ينظر – في تفصيل ذلك: المثلث، البطليوسي ١/ ٤٨–٦٢].

(٦) المثلث ٢/ ٢٣٩.

(٧) لسان العرب – ضرر– ٢/ ٥٢٤.

وقد وُرِد في القرآن الكريم (الضّر) بمعنى نقيض النفع، وبمعنى الهزال وسوء الحال، فـ(الضُّر) في وقوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾[1]: من الضَّرر، أمّا الضُّر بمعنى الهزال وسوء الحال، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فلما كشفنا عنه ضُرّه مرّ كأن لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسّه﴾[3]

وَهكذا نجد بأنَّ الزمخشريَّ قَدْ أدْرَكَ تَماماً الفرْقَ بين (الضَّرِّ والضُّرِّ)، كما ذهب إلى ذلك أغْلبُ اللّغويّين[4].

---

(١) آل عمران : ١٢٠.

(٢) يونس : ١٢.

(٣) الآية نفسها.

(٤) ينظر: أدب الكاتب ٢٤٢، المزهر ٢/ ٢٩٨.

المَبْحَثُ الرَّابِع:

الأضداد

الأضداد: لُغَة: الضدّ مثل الشيء والضد خلافه[1].

واصطلاحاً: هو مصطلح أطلقه اللّغويون العرب على الألفاظ التي تنصرف على معنيين متضادين[2]، وعرفه أبو الطيب اللغوي بأنه: «جمع ضدّ، وضدّ كل شيء ما نافاه، نحو: البياض والسّواد، والسّخاء والبُخْل، والشّجاعة والجُبْن وليْسَ كلّ ما خالف الشيءَ ضِداً له" ألا ترى أن القوّة و الجَهْل مختلفان، ولَيْسا ضِدَّيْنِ، وإنّما ضدّ القّوة الضّعْف وضدّ الجهل العلم، فالاختلاف أعمّ من التّضاد، إذْ كان كلّ متضادّين مختلفين، وليْس كلّ مختلفتين ضدّين»[3]

وانقسم علماء اللُّغة بصَدَدِ هذه الظّاهرة على قِسْمَيْن:

الأوّل: أنكروا وقوعها، لذهابهم على تأويل المعنيين وإرجاعهما إلى أصل واحد ومنهم: ثعلَب (ت ٢٩١ هـ)[4]، وابن دروستويه (ت ٣٤٧ هـ)[5]، والآمدي (ت ٣٧٠ هـ)[6].

الثاني: أقرّوا بوقوع ظاهرة الأضداد في اللغة ومنهم ابن الأنباري (ت ٣٢٧ هـ)[7] وابن فارس (ت ٣٩٥هـ)[8]، وابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ)[9].

---

(١) تاج العروس ٢/ ٤٠٥.

(٢) الأضداد في اللغة ٩٩.

(٣) الأضداد في كلام العرب ١/ ١.

(٤) ذكر الجواليقي أنه أنكر الأضداد، ونقل عنه ما نصّه: «ليس في كلام العرب ضدّ...» [ينظر: شرح أدب الكتاب ١٧٧].

(٥) ابن دروستويه، لعبد الله الجبوري ٩٠.

(٦) الموازنة ١/ ١٧٣.

(٧) ينظر: (الأضداد) لابن الأنباري ٢.

(٨) الصاحبي ٩٧.

(٩) المخصّص ١٣/ ٢٥٨.

أمّا الزمخشري فهو من الذين اقرّوا بوقوعها، لأنّه صرّح بذلك في تفسيره عندما فسّر قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[1]، إذ قال في لفظة (أسرَّ): «وقيل أسرُّوا النّدامة أظهروُها وهُوَ مِنَ الأضْداد»[2].

وفي كتابه (الفائق)، ذكر بأنَّ لفظتيَ (النّوء) و (باعَ) من الأضداد[3]. وهذا دليلٌ واضِح على إقرارِه بوقوع ظاهرة الأضداد في اللُّغة.

وقد ذكر اللّغويون أسْباب حُدوثِ ظاهرةِ الأضداد، وهي:

١- اختلاف اللَّهجات، واشترطوا في الأضداد أن يكونَ استعمالها في المعنيَيْن المتَضادّيْن في لَهْجَةٍ واحِدة[4].

٢- التطوّر الصّوتي وَمَظاهر الخطأ والتّصْحيف[5].

٣- التطوّر الدّلالي وشموليّة المَدلول الأوّل[6].

٤- المَجاز[7].

٥- طريقة الاستعمال وضدّيّة التّفسير[8].

٦- الاتفاق في الصِّيَغ التّصريفيّة[9].

---

(١) سبأ / ٣٣.

(٢) الكشّاف ٣/ ٢٩١.

(٣) الفائق في غريب الحديث والأثر.

(٤) المزهر / ٣٩٦ الأضداد في اللغة ١١٦.

(٥) الأضداد في اللغة ١٥٧.

(٦) الأضداد في اللغة ١٣٨، وفصول في فقه العربية ٣٤٢.

(٧) الأضداد في اللغة ٢٠٧.

(٨) الأضداد في اللغة ٢١٤.

(٩) الأضداد في اللغة ١٧٥، وفصول فقه اللغة العربية ٣٥٢.

٧- الدّوافع النّفسية والاجْتماعيّة[1].

وجديرٌ بالذّكر أن الأسباب الخَمْسَة الأولى هي المتعلّقة بها نوردها هنا من مسائل الأضداد الموجودة في تفسير (الكشّاف).

ويمكن تقسيم ما ورد في (الكشّاف) من مسائل الأضداد على ثلاثة أقسام:

القِسْمُ الأوّل: الألفاظ التي ذكر لها معنيَيْنِ متعاكِسَين وَصَرَّح بتضادها.

القِسْمُ الثّاني: الألفاظ التي ذكر لها معنيَيْنِ متعاكسين دون التّصريح بتضادها.

القِسْمُ الثّالِث: الألفاظ التي ذكر لها معنىً واحداً دونَ ذكْر المعنى الثاني المضادّ له.

الأوّل: الألفاظ التي ذكر لها معنيَيْنِ متعاكِسَين وَصَرَّح بتضادّها.

الباحث في (الكشّاف)، لا يَجِد من هذه الألفاظ إلا لفظةً واحدةً وهي (أسَرَّ) – كما قلْنا–، و(أسَرَّ) تأتي بمعنى كَتَم وأعْلن[2]، ويقول الدّكتور إبراهيم السّامرائي: «والمفسّرون على غَيْر إجماع على اعتبار (أسرَّ) من الأضداد، فالإمام الطبري هو من مُفَسِّري السّنّة يثبتِ أن معنى الفعل المذكور هو الإخفاء، وهو المعنى الأصيل الذي تَنْصرف إليْه الكلمة عامّة في حين أن غيرَه من المفسِّرين كالزّمخشريّ والفخْر الرّازي يُعْرِضُون لتفسيرِ هذه الآية فيشيرون على المَعْنى الآخر وهو الإظهار كما يشيرون على المعنى الأوّل المعروف وهو الإخفاء»[3].

واختلف اللّغويون في ذلك – أيْضاً– «قال الأصمعي: يقال أسْرَرْتُ الحديثَ كتمْتُهُ، وأسرَرْتُه أظْهَرْتُه، قال الشّاعر [وهو الفرزدق]

---

(١) الأضداد في اللغة ١٦٥ وفصول في فقه اللغة العربية ٣٤٥-٣٥١.

(٢) ينظر كتاب الأضداد: للأصمعي ٢١، وأبي حاتم ١١٥، وابن السّكيت ١٧٧، والصّغاني ٤٥، وابن الأنباري ٤٥ وأبي الطيب ١/ ٣٥٣، والتّوزي ١٧٤، وكتاب (المزْهر) ١/ ٣٩١، و (مجاز القرآن) ٢/ ٣٤.

(٣) التطور اللغوي التاريخي ١٠١-١٠٢.

فلمّا رأى الحجّاج جرّدَ سَيْفَه　　　أسرَّ الحَرُورِيَّ الذي كان اضْمَرَا

وَقال الله جَلّ ثناؤه: ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العـذاب﴾، أيْ أظهروهـا ويتّفـق أبـو عُبَيْدة مع الأصْمَعيّ في دَعْوى التّضاد هذهِ. وكان يفسّر الآية السّابقة كتفسير الأصمَعي (أسَرَّ بِمعنى أظْهَر) ولكن أبا الحاتم السّجستاني يَرْفض هذا الرّأي قائلاً: (وَلا أثِـقُ بقولـه في هَذا. وَاللهُ أعلم). ويرفض كذلك رواية بيت الفرزدق ويقول: (لعلّه قال: الـذي كـان أظْهرا) »[1].

ويعزو الدكتور إبراهيم السّامرائي سَبَبَ ظهورِ لَوْنٍ من فكرةِ التّضاد إلى الخِلاف بينَ المفسِّرين من أهْل السّنة وبيْتَ المعتزلة منهم في التّفصيل في هذا الفِعل[2]، في حين نجد مِنَ الباحثين من أخْرج هـذا الفعـل مـن دَائِـرَةِ الأضـداد بِسَبَب التّصحيف[3]، لاعتماد الأضداديّين على بيت مُصَحّف لامرئ القيس في إثبات التّضاد لهذهِ اللّفظة، وهو قوله:

تجاوزْتُ أحْاسَاً إليْها وَمَعْشَراً　　　عليّ حرَاصًا لو يُصِرون مَقْتَلي[4]

فيقول: «ومعنى (يُسِرون) فيه يحتمل أن يكون كِتماناً، وأنْ يكون إظهاراً، في حين أنّ يسرّون قدْ صُحّفت على يشرّون بالشّين، وقد رُويَ البيْت بالمعجمّـة، وهـو عـلى هـذا لا يَحْتَمِل إلا الإظهار والإعلان كما ذهب إلى ذلك ابن كيْسان وعليّ ابن حَمْزَة.

يقول أبو الطّيّب: ومن رواه (لو يشرّون) بالشّين المعجّمة، فليْس مَعْناه إلاّ الإظْهـار والاعلان. يقال: أشرّه يشرّه إذا أظْهره وأعْلَنه، ومنه قول الشّاعر:

فما بَرِحوا حتّى رَأى الله فِعْلَهم　　　وَحتى أشرّت بالأكف المَصَاحِف

---

(١) علم الدلالة: د. احمد مختار عمر ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) التطور اللغوي التاريخي ١٠٣.

(٣) هو الدكتور محمد حسين آل ياسين في كتابه (الأضداد في اللغة) ١٦٨.

(٤) شرح ديون امرئ القيس ١٤٨ وقد روي بلفظ:

تجاوزت أحراساً إليها ومَعشراً　　　عليّ حِراصاً لو يُسِرُّون مَقْتَلي

أي ظهرت وأعلنت»[1].

وَعدّ الدكتور احمد مختار عُمَر، الإبدال هو السّبب غفي إيجاد التّضاد في هذا الفعل، إخ... ذكر بأن «الإبدال أحدُ الأسباب الهامّةِ في إيجاد التّضاد وهو نَوْع من التطوّر الصّوتي يلحق الكلمة خلال عصورها التاريخية ومن أمثلة الإبدال الكثيرة... كلمة (أسرّ) التي تأتي بِمَعنى أظهر وبمعنى كَتَمَ، فيُمْكِن أن نرد الإظهار إلى الأصْل الشّيني: (أشرّ) ثم إبدال الشّين سيناً تطابقت مع كلمة (أسر) التي تأتي بمعنى كتم فكونت معه تضاداً... والكلمة بالشيّن في العِبْريّة والسّريانيّة بمعنى والنّشْر والإظْهار»[2]

ولَعلّ الخِلاف بين المفسّرين واللّغويين في إثباتِ التّضاد في الفعل (أسرّ)، دَليل على وُجودِ التّضادِ فيه.

القِسْم الثّاني: الألفاظ التّي ذَكَر لها مَعْنَيَيْن مُتعاكِسَيْن دونَ التّصريح بتضادِها:

وَلكثرة الألفاظ الواردة فيه اختَرْتُ (ثلاثةً) فقط لتفصيلِ القَوْل فيها، وهي: (الصّريم، وَفوْق، والقُرْء)

١ - الصّريْم:

قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝﴾[3] جاءَ في (الكشّاف): «وقيل الصّريم اللّيل: أيّ احْتَرقت فاسْودّتْ، وقيل النّهار: أيْ يَبست وذهبَتْ خُضْرتها أو لم يَبْق شيء فيها من قولِهم بيض الإناء إذا فرغه»[4]. والصّرِيْم: لِلّيْل والنّهار[5]، وأصْلُ المعْنَيَيْن واحدٌ وهو القَطْعُ والفَصْلَ[6].

---

(١) الأضداد في اللغة ١٦١.

(٢) علم الدلالة ٢١٠.

(٣) القلم / ٢٠.

(٤) الكشّاف ٤ / ١٤٤.

(٥) ينظر: كتب الأضداد: لابن الأنباري ٨٤، وأبي الطيب ١ / ٤٢٦، والأصمعي ٤٢٠، وأبي حاتم ١٠٥ والمنسي ٤٨، وابن السكيت ١٩٥، وكتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبه ١٧٨، والمزهر ١ / ٣٩٠، والعشرات في اللغة ١٦٨.

(٦) في اللهجات العربية ٢١٢.

قال ابن الأنباري «فمِنْ ذلك: الصّريم يقال للّيل صَرِيمٌ وللنّهار صَرِيمٌ لأن اللّيل ينصَرِم من النّهار، والنّهار ينصرم من اللّيل، فأصْل المَعْنَيَيْنِ من بابٍ واحد، وهو القَطْع»[1]، وهكذا يمكن معرفة منشأ التّضاد في هذه اللّفظة، وهو منشأ ولَّده تطوّر الدّلالة عن طريق التخّصيص[2]. وأخرج أبو علي القالي في (الأماليّ) كلمة (الصّريم) من الأضداد لأنّه رَدّها إلى معنى عام يجمَعُها، فقال: «الصّريم: الصُّبْح سُمّيَ بذلك لأنّه انصَرَم عن اللّيل، والصّريم: اللّيل لأنّه انصَرَم عن النّهار وليس هو عندَنا ضِدّاً»[3].

٢- فَوْقَ

قال الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[4] ذكر اللّغويون والمفسّرون في كلمة (فَوْقَ) أنها تأتي بمعنى (دون) وتأتي أيضاً بِمَعْناها الأصْلي[5].

وقد أورد الزّمخشريّ في (الكشّاف) هذين المَعْنَيَيْنِ بقوله: «فما فوقها، فيه معنيان: أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضُرِبَتْ فيه مثلاً وهو القلّة والحقارة نحو قولك: لمن يقول: فلان أسْفل النّاس وأنذلهم، هو فوْقَ ذلك، تريد هو أبلَغ وأعْرَق فيما وُصِفَ به من السّفالة والنّذالة، والثّاني فما زاد عليها في الحَجْم...»[6]. ومَوْقع (فوق) من الآية يوحي باسْتِعمال المَعْنَيَيْنِ، ولَمْ يَسْتَحْسِنِ الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) مجيء (فما فَوْقها)

---

(١) الأضداد لابن الأنباري ٨.

(٢) الأضداد في اللغة ١٤٠.

(٣) الأمالي ٢/ ٣١٨.

(٤) البقرة/ ٢٦.

(٥) ينظر: الأضداد، لأبي حاتم ١٠١، ولسان العرب – فوق- ٢/ ١١٤٥، وتفسير البحر المحيط ١/ ١٢٣، وتفسير القرطبي ١/ ٢٠٩، وتفسير روح المعاني ١/ ٢٠٧، والتفسير الكبير ٢/ ١٣٦، والمفردات في غريب القرآن ٣٨٨، والأضداد في اللغة ٢١٤ و (الأضداد) للدكتور منصور فهمي، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ج ٢، ص ٢٣٦.

(٦) الكشّاف ١/ ٢٦٥.

–هنا– بمعنى أَصْغَرَ منْها، إذ قال: «فالـذّي (فَوْقَهـا) يريـد أكبر منهـا هـو العنكبـوت والذّباب، ولو جعلتَ في مثله الكلام (فما فوقها) تريد أصغر منهـا لجاز ذلك، وَلَسْتُ استحسِنَه لأنّ البعوضة كأنّها غايةٌ في الصِّغَر، فأحبّ إليَّ أنْ أجْعل (ما فَوْقها) أكبَرَ مِنْها»[1] وَجَوَّد ثَعْلب (ت ٢٩١هـ) المعنى الأصليّ لهذه الكلمة بقوله: «(ما بَعُوضةً فما فوقها) يقال دونها وهو قليل،... أيْ أكْبَرَ منها وأجْوده»[2] بينَما نجد ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) يَـذْهب إلى اسْتِعمال المَعنى الآخر بقوله: «(فَوْق) تكون بمعنى (دُون) قال الله عزّ وجلّ ﴿**إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها**﴾ أيْ فما دُونَها»[3] ويمكننا القوْلَ بأنّ (فَوْق) لا تدلّ إلاّ على مَعْنى (فَوْقَ)، لولا أن بَعْض المفسّرين – ومنهم الزّمخشري – حاولوا التّأويل، فأخرجُوها على مَعْنى (دُوْنَ) بسبب مَوْقع الكلمة من السِّياق.

٣- القُرْء

القرء تُطْلَق على الطُّهْر والحَيْض[4]، وهي من الكلمات التي كان لها معنى عام ثم تخصّصت في بيئتين مختلفتَيْن، فاتّخذت في بيئة أهْل الحجاز دلالة الطُّهْر، وفي بيئة أهْل العِراق دلالة الحَيْض[5]. وأجمع أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٩ هـ) الدّلالتَيْن في معنىً عام يجمعَها، بقوله: «إنّما القُرْء الوقت فقد يجوز أنْ يكون وَقْتاً للطّهر ووقتاً للحيض، وأقرأتِ الرِّياح هَبّتْ لوقْتها، والقارئ الوقت، وقال مالك بن الحارث الهذليّ:

كَرِهْتُ العَقْر عقر بني شَليلٍ	إذا هبّتْ لقارئها الرِّياحُ

---

(١) معاني القرآن ١/ ٢٠-٢١.

(٢) مجالس ثعلب ١/ ٢٨٠.

(٣) أدب الكاتب ١٨١.

(٤) ينظر كتاب الأضداد: لابن الأنباري ١٧٦، وأبي الطيب ٢/ ٥٧١، والمنشي ٣٣، وكتاب إصلاح المنطق ٢٧٦.

(٥) في اللهجات العربية ٢١٢، ومعجم لغات القبائل والأمصار ١/ ٢٤٤.

وأنْشَدَ أبو عَمْرو هذا البيت، أي هبّت الرّياح لوَقْتها في الشّتاء»[1].

واختلف المفسّرون والفقهاء في مَعْنى (القُرْء) في قوله تعالى: ﴿وَالمطلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[2]، فمنهم من ذهب إلى أنّها تعني الطّهر، ومنهم من ذهب إلى أنها تَعْني الحَيْض[3]، -ومنهم الزّمخشريّ- حيث ذكر في (الكشّاف): «والقُرُوء جمع قُرْء أو قَرْء وهو الحَيْض بدليل قوله عليه الصّلاة والسّلام: [دَعِي الصَّلاةَ أيّامَ إقرائِك] وقوله [طَلاقُ الأَمَةِ تَطْليقَتانِ وَعِدَّتُها حَيْضَتان] وَلَمْ يَقُل طُهْران»[4]. أمّا الحديث الأول الذي استدلّ به الزمخشري فقد أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدار قطني والحاكم وصحّحه والبيهقي كما يقول صاحب (الدر المنثور)[5]، أمّا الحديث الثاني فقد أَخْرَجَه النّسائي وأبو داود والدّارقطني[6]. ويبدو لي أنّ (القُرْء) هو الحيض – كما قال الزمخشري- بدليل من قال في لفظ (القُرْء) أنّه: «يحتمل الحَيْض والطُّهر، لأن اللّغة جاءتْ بالمَعْنَيَيْنِ، فطلب دليلاً آخر يرجح احد المعنيين.. فوجدناه في الحديث الصّحيح الذي أخرجه ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: [أُمِرَتْ بَرِيْرَة أن تعتدّ بثلاثِ حِيض][7]، وهذا الحديث رفع الإجمال وجاء بالتّبيان»[8].

---

(١) الأضداد: للأصمعي ٥ ، وابن السكيت ١٦٤.

(٢) البقرة / ٢٨٨.

(٣) وقد ذكر رأيي الفريقين واستدلالاتهم، الزّجاج في (معاني القرآن وإعرابه) ١/ ٣٠٢-٣٠٥ والألوسي في تفسيره (روح المعاني) ١/ ١٣١-١٣٣ والقرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ١/ ٩٢١.

(٤) الكشّاف ١/ ٣٦٥.

(٥) الدر المنثور، للسيوطي ١/ ٦٥٦.

(٦) تفسير روح المعاني ١/ ١٣١، وينظر: في تخريج الحديثين ص ٢٠ من هذا البحث.

(٧) صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٣٥٥.

(٨) تحقيق الوصول إلى علم الأصول ٥٩.

أمّا الزّجاج فله رأيٌ خاصّ، إذْ يقول، بَعْدَ ذكرِهِ لِما قال الفقهاء وأهل اللّغة في (القُرْء): «والذي عندي أنّ القُرْء في اللّغة الجمع، وأنّ قولهم قريْتُ الماء في الحوض من هذا، وإن كان ألْزم الماء – فهو جَمْعته، وقولك قرأتُ القرْآن أي لفظْت به مجموعاً، والقِرْد يقرئ، أيْ يجمع ما يأكل في بيته، فإنّما القرء اجتماع الدّم في البَدَن، وذلك إنّما يكون في الطّهر، وقد يكون اجتماعه في الرّحم، وكلاهما حسن وليس بخارج عن مذاهب الفقهاء، بل هو تحقيق المذهبين، والمقرأة الحوْض الذي يقرأ فيه الماء أيْ يجمع، والمَقْرأ الإناء الذي يقرأ في الضّيف»[1] ولا نجد ضرورةً لهذا التفسير، لأن أغْلَب اللّغويين والمفسّرين نصّوا على مَعْنَيَيِ الطّهر والحيْض والمعنى العام الذي جمعَهُما، وأتوا بِحُجَجٍ كثيرة من أحاديث الرّسول (صلى الله عليه وسلم) وأقوال العرب من شِعر ونَثْر.

وفي (الكشّاف) ألفاظ أخر ذكرَ الزمخشري لها معنَيَيْن متُعَاكِسَيْن دون التّصريح بتضادّها.[2]

القِسْمُ الثّالث: الألفاظ التّي ذكر لها معنىً واحِداً دون ذكر المعنى الثّاني المضادّ له: ونختار من هذه الألفاظ: (الأكمه، والقانع، والسامد).

١ - الأكْمَــه

جاء في الكشّاف في قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[3] أنَّ (الأكمه) هو: «الذي ولد أعمى، وقيل هو الممسوح العين-»[4]، و (الأكمه) من الأضداد[5]، قال أبو عبيدة: الأكمه: الذي يولد أعمى.. وعن مجاهد: «الأكمه الذي يبصر

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٠٥.

(٢) ينظر: جدول رقم -٢- في الملحق.

(٣) آل عمران / ٤٩.

(٤) الكشّاف ١/ ٤٣١.

(٥) الأضداد لابن الأنباري ٣٧٧-٣٧٨.

بالنهار ولا يبصر باللّيل[1]. وقال غيرُه، أنّ «الأكمه لا يبصر فيحيّر ويتردّد»[2] والتأويل واضح في بيان الضدّية في هذه اللّفظة، مما يدلّ على ذهاب الرواة الأقدمين وعلماء اللّغة في إدخال ألفاظ كثيرة لم تمكن تشتمِل على طبيعة الأضداد وهي لا تملك الضّدية إلا بهذه الوجوه البعيدة من التّأويل والتفسير[3].

٢- القانِع:

القانِع في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾[4] للرّاضي بما هو فيه وللسّائل المحتاج[5]، وقد وقع اللّغويّون في اللّبس في هذه الكلمة نتيجة للتطوّر الصّوتي، وقالوا بأنّ مصدر الأوّل من قنع قناعةً إذا رضيَ بما قُسِّم له ومصدر الثاني من قنع قَنوعاً إذا سَأل[6].

ويبدو أنّ السّبب هو التّطور الصّوتي في مادّة (خَنَعَ) إلى (كَنَعَ) لأن كليْهما يدّلان على الذّل والخضوع، ثم اختلط القاف والكاف، واختلط الفِعْلان (قَنَعَ) و (كَنَعَ) ومصدر (قَنَعَ) هو القناعة، ومصدر (كنع) هو الكُنُوع[7]. أمّا الزمخشري فيقول في تفسير (القانِع) بأنّه: «السّائل من قَنَعْتُ إليه وكَنَعْتُ إذا خَضَعْتُ له وَسَأَلْتُهُ قنوعاً»[8] لم يُشِر صاحِبُ (الكشّاف) إلى مَصْدر قنع بأنّه قناعة وإنّما قال قَنوعاً، فكان أسلَمَ مِنْ غيْره من الوقوع على اللّبس.

---

(١) تفسير القرطبي ٢/ ١٣٣٦.

(٢) لسان العرب – كمه- ٣/ ٢٩٨.

(٣) التطور اللغوي التاريخي ١٠٧.

(٤) الحج /٣٦.

(٥) الأضداد: لابن الأنباري ٦٦ وأبي الطيب ٢/ ٥٧٧.

(٦) أدب الكتاب ٢٢٥، وإصلاح المنطق ١٨٩.

(٧) في اللهجات العربية ٢١٤.

(٨) الكشّاف ٣/ ١٥.

ولعلّ سببَ عَدَم تصْريحه بوقوع التّضاد في هذه اللّفظة وغيرهـا مـن الألفـاظ الّتي تدخُل ضِمْنَ هذا المَبْحث يعود إلى إيراده جانب السّلامة من الوقوع في اللّبْس والتأويـل والإشْكال.

٣- السَّامِد

لم ترد في القرآن الكريم لفظة السَّامِد إلا مرة واحدة، في قوله تعـالى: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ۝﴾[1]، قيل في (السّامد) أنّه اللاّهي عند أهل اليمن، والحزين عند طيء[2]. قال المبَّرد: السّامد القائم في تحيّر[3]. ويفسّر الزّمخشري (السّامد) بقوله: «شامِخُون مُبَرْطَمون، وقيل لاهون لاعِبون، وقال بَعْضُهم لجاريته: اسمدي لَنا: أيْ غنّي لنا»[4]. ورُوِيَ في تفسير السّمود بالبَرْطَمَة عن ابن عبّاس وَمُجاهِد – رضيَ اللهُ عَنْهُما –، والبَرْطَمَةُ هي رفْعَ الرَّأْس تكبُّراً[5]، والسّامد هو اللاهي عِند ابـن الأعـرابي[6]، وعـن ابـن عبّاس أن السّمود هو الغِناء بلغة حِمْيَر[7]، وقد أشار الزمخشري إلى هذه المعاني كلّها ولم يُشِر إلى معنى الحزين في (السّامد)، وذكر المفسّرون في تفسير (السّامد) آراءً كثيرة[8] مما يدلّ على أنّ هذا الكَلِم الّذي لَمْ يتّضِح للمفسّرين[9].

---

(١) النجم / ٦٠-٦٢.

(٢) ينظر: الأضداد: لأبي حاتم ١٤٤، وابن الأنباري ٤٣ وأبي الطيب ١/ ٣٧١.

(٣) لسان العرب – سمد- ٢/ ١٩٩.

(٤) الموضع نفسه

(٥) تفسير روح المعاني ١٤/ ج٢٧/ ٧٢، كما أن (السّمود) تعني ذلك، ينظر: أساس البلاغة – سمد- ٢١٩، ولسان العرب – سمد- ٢/ ١٩٩.

(٦) لسان العرب – سمد- ٢/ ١٩٩.

(٧) الموضع نفسه.

(٨) نجد ذلك في تفسير: روح المعاني ١٤/ ج ٢٧/ ٧٢ والقرطبي ٧/ ٦٢٩٣- ٦٢٩٤.

(٩) من بديع لغة التنزيل ٢٨٦.

وَمن الألفاظ الأخرى التي ذكر الزّمخشريّ لها معنىً واحداً دون ذكْـر المعنى الثّـاني المُضاد لها: (مُقْنِعِي رُؤوسِهِم) رافعيها و ناكِسيها[1] و(المُقـوِي) للمُـسافر الّـذي فنـي زاده وَضَعُف رِكابه ولِلْمُسافر الذي كانت رِكابُه قويّة وزاده وفيراً[2]. و(القَانع) لِلرّاضي بمَا هو فيه وللسّائل المحتاج[3]، و(النَّوء) للنّهوض والسّقوط[4]، و(السّامد) لِلاّهي والحزين[5].

---

(١) الكشّاف ٢/ ٣٨٢، وأساس البلاغة - قنع - ٣٧٩، و(لغات القبائل) لابن سلام ١٥٣.

(٢) الكشّاف ٤/ ٨٥، والأضداد: للأصمعي ٨ وأبي حاتم ٩٣، وابن السكيت ١٦٧، وابن الأنباري ٢٤١، وأبي الطيب ٢/ ٥٦٩ وكتاب (علم الدلالة) لـ د. أحمد مختار عمر ٢٠٢، و (البارع في اللغة) ٥١٦.

(٣) الكشّاف ٣/ ١٥ وينظر الأضداد في اللغة ١٥٨، في اللهجات العربية ٢١٤، إصطلاح المنطق ١٨٩، أدب الكاتب ٢٦٢، لسان العرب - قنع - ٣/ ١٧٣.

(٤) الكشّاف ٣/ ١٩٠، وأشار إلى كونها من الأضداد في كتابه (الفائق) فقال: «النّوء: من الأضداد: النهوض والسقوط، فسمي به النجم إما الطالع أما الساقط» [الفائق في غريب الحديث والأثر ٤/ ٢٩] وينظر: (الأضداد) للأصمعي ٤٨، وأبي حاتم ١٢٩، أدب الكاتب ٦٩، أساس البلاغة - نوء - ٤٧٥، التضاد في ضوء اللغات السامية ٣٩.

(٥) الكشّاف ٤/ ٣٥، وينظر: (الأضداد) لأبي حاتم ١٤٤، الأضداد في اللغة ١٢٥، التضاد في ضوء اللغات السامية (٨)٥، معجم لغات القبائل والأمصار ١/ ١٤٨.

الفصل الثالث

الجَانِبُ الصَّوْتِي

المَبْحَثُ الأوَل:

مخارج الأصوات وصفاتها

المَبْحَثُ الثّاني:

الإبدال اللّغويّ

المَبْحَثُ الثّالِث:

القلب اللّغويّ

الفَصْلُ الثَّالِ

إنّ موض

اللّغة[1]، وقد

الأصوات وأ

والقَلْقَلَة والإ

ومن ه

سيبَوَيْه[3] (ت

وَللزمخ

بِوَقَفاتِهِ التي

الجانبِ الصّو

- المَبْحَ

- المَبْحَ

- المَبْحَ

(١) ينظر: عل

(٢) في كتابه

علوي خ

(٣) في كتابه

الصوتي في

(٤) في كتابه

جي) للد

الفَصْلُ الثَّالِث:

الجانِبُ الصَّوْتيّ

إنّ موضوع الأصوات اللّغوية من الموضوعات الرّئيسة، والمهمّة التي يتضمّنها فِقْه اللّغة[1]، وقد درسه اللّغويون العرب، فتعرّضوا للصّوت وطبيعته، ودرسُوا مَخارج الأصوات وأقسْامِها، وأعضاء النّطق، وصِفات هذه الأصوات من حيثُ الجَهْر والهَمْس والقَلْقَلَة والإصمات والسّكون واللّين، وقوانين التطوّر الصّوتي والنّتائج المترتّبة عَلَيْه.

ومن هؤلاء اللّغويين: الخليلُ بن أحمد الفراهيدي[2] (ت ١٧٥ هـ)، وتلميذه سيبَوَيْه[3] (ت ١٨٠ هـ)، وابن جنّي[4] ت (٣٩٢ هـ)، وَغيرهم.

وَللزمخشري في تفسيره وَقَفاتٌ، تناولَتْ الجانب الصّوتي وإنْ كانتْ قليلةً لَوْ قورِنَتْ بوَقَفاتِهِ التّي تناولتِ الظّواهر الدّلالية والظّواهر غير الدّلاليـة، ويمكِنُ بيان جهودِهِ في الجانبِ الصّوتيّ، في المَباحث الآتية:

- المَبْحَث الأوّل : مخارج الأصوات وصفاتها.
- المَبْحَث الثّاني : الإبْدال اللّغويّ
- المَبْحَث الثّالِث : القلْب اللّغويّ.

---

(١) ينظر: علم اللغة ٧.

(٢) في كتابه (العين)، وينظر : الدراسات الصوتية في كتابه العين في ضوء علم اللغة الحديث) لموفق عليوي خضير

(٣) في كتابه (الكتاب)، وينظر: (المنهج الوصفي في كتاب سيبويه) لنوزاد حسن احمد، فصل المنهج الصوتي في كتاب سيبويه ص ٦٤-١٢٣.

(٤) في كتابيه (الخصائص) و (سر صناعة الإعراب) ، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني) للدكتور حسام سعيد النعيمي.

المَبحَثُ الأوّل:

مخارج الأصوات وصفاتها[1]

كان الزمخشري على بصيرة بالصّوت ومخارجه وصفاته؛ فقد ادرك مَسْألة الفرْق بين الضّاد والظّاء التي شَغَلَتِ القدماء، وعرف صعوبة النّطق بهما على من دخل الإسلام من الأمم المختلفة، وأوجب التفريق بين هذَيْن الصّوتين ومعرفة مخرَجَيْهما، عندما فسّر (ضَنِيْن) في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾[2]، فقال: « (بِظَنين)، بمتّهم من الظِّنّة وهي التّهمة. وقرئ بضَنين من الضّنّ وهو البُخل... وهو في مصحف عبدِ الله بالظّاء، وفي مصحف أبيّ بالضّاد، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأ بهما وإتقان الفصل بين الضّاد والظّاء واجب، ومعرفة مخرَجَيهما ممّا لا بدّ للقارئ، فإن أكْثَر العَجَمِ لا يفْرقون بَيْنَ الحَرْفَيْنِ، وإنْ فرّقوا ففرقاً غير صَواب وبَيْنَهُما بَوْنٌ بَعيد»[3].

يقول ابن الجزريّ: «والضّاد انفرد بالاستطالة، ولَيْسَ في الحروف ما يعسر على اللّسان مِثْله، فإن ألسنة النّاس مختلفة، وقلّ من يحسنه، فمِنْهم من يُخْرجه ظاءً، ومِنْهُم من يخرجه بالذال، ومنهم من يَجْعَلَه لاماً مفخمة، ومنهم من يشمّه الزّاي»[4].

---

(١) أ – عمدنا إلى تقديم هذا المبحث على مبحثي الإبدال والقلب مع قلة شواهده الواردة في (الكشّاف) لتصورنا أن هذا المبحث سيسهل لنا تعليل بعض ظواهر الإبدال والقلب الشائعة فيه.
ب – لم نفرق بين الحرف والصوت، لأن الزمخشري أطلق الحرف وأراد به ما يشمل الصوت والحرف.

(٢) التكوير ٢٤.

(٣) الكشّاف ٤/ ٢٢٥.

(٤) النشر في القراءات العَشر ١/ ٢١٩.

وقراءة (ظنين) بالظّاء، إضافة إلى ما ذكر الزمخشري، من أنها قراءة عبد الله فقد قرأ بالظاء أيضاً من السَّبْعة ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ، وقرأ بالضاد منهم نافع وعاصم وابن عامر وحَمْزة[1].

ولم يَقِف الزّمخشري في تفسيره على مَخارج الأصوات بِصَريح العِبارَةِ إلاّ عِنْدَ مخارج صَوتَي الضّاد والظّاء وأخواتها فقال: «فإنّ مخرج الضّاد من أصْل حافة اللّسان، وما يليها من الأضراس من يمين اللّسان أو يساره»، وكان عُمَر بن الخطّاب (رضي الله عنه) أضبط، يعمَل بكلتا يديه، وكان يُخرج الضّاد من جانِبَيْ لسانه وهي أحد الأحرف الشّجرية أخت الجيم والشّين»[2]، وفي (أساس البلاغة): «والضّاد من الحروف الشّجرية»[3].

وهذا ما ذهب إليه الخليل ت (١٧٥ هـ) ، فقد عدّ الضاد من الأصوات الشّجرية أُخت الجيم والشّين، ذلك «لأنّ مبدأها من شجر الفم»[4]– أي مفرج الفمّ– ووافقه في ذلك سيبَوَيْه (ت ١٨٠ هـ) إذ قال: «ومن بين أول حافة اللّسان وما يليها من الأضراس مخرج الضّاد»[5] وهو عند المحدثين: «أسناني لثوي»[6]. وَوَصْفُهُم لنطق الضّاد يختلف عن وصف القدماء أمثال الخليل وسيبويه، وبعدَهما الزمخشري لنطقِ الضّاد، فالمحَدثون يقولون في نُطقه: «ينطق بوضع طرف اللّسان بحيث يلتصق بالأسنان العليا، ومقدّمه بحيْث يتّصل بأصول الثّنايا التّي تُسمّى اللثة، ثم إلصاق الطبق بالجدار الخَلْفي للحَلْق،

---

(١) ينظر: التيسير في القراءات السبع ٢٠٠، ومُعجم القراءات القرآنية ٨/ ٨٦-٨٨.

(٢) الكشّاف ٤/ ٢٢٥.

(٣) أساس البلاغة ٢٢٩.

(٤) العين ١/ ٥٨، وقد ظن صاحب كتاب (أفياء أفنان في أصول اللغة) بأن الزمخشري انفرد من بين المتقدمين في تقليب الضاد بأنه صوت شجري [أفياء أفنان في أصول اللغة ٢٨٨-٢٨٩]: وهذا وهم منه.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٢٦٩-٢٧٠، ومناهج البحث في اللغة ١٢٠.

ليسدّ المجرى الأنفيّ، ويتم كل ذلك مع وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية»[1] ويتّضح لنا من هذا الوصف أننّا فَقَدْنا نطق هذا الحرف كما كان يصفه القدماء، فهو لا يشبه بما نَنْطقه في الوقت الحاضر[2].

وهكذا يمكن القول بأنّ وصْفَ سيبويه له وذِكْر الزمخشري لهذا الوصْف كان وَصْفاً سَليماً يوافِقُ نُطْقَ العرب يوم وُصِفَتْ الحروف.

أمّا مَخْرَج الظّاء، فقد قال فيه الزّمخشريّ: «أمّا الظّاء فَمَخْرَجُها من طرف اللّسان وأصول الثّنايا العلْيا وهي أحد الحُروف الذولقية أخت الذّال والثّاء»[3] وخالفَ بهذا ما قاله الخليل في صَوْت الظّاء بأنه صَوْت لثوي، لأنّ مبدأها من اللثة[4]. ووافق سيبَوَيْه الذي نَصّ على أنّ مَخْرَج الظّاء والذّال والثاء هو «ممّا بَيْنَ طرفِ اللّسان وأطرافِ الثّنايا»[5]، وَهذا الوصْف الدّقيق لِمَخْرَج هذه الحروف عند سيبويه وعند الزّمخشريّ - بعدَه -، هو عينُه في الدرْس الصّوتي الحديث حيث يتّم فيه إنْتاج هذه، عن طَريق ملامَسَةِ طَرَفِ اللّسان بأطْراف الثّنايا العَلْيا[6]. أمّا الخليل فقد جانَبَ الصّواب فيما ذهبَ إليه من تَسْمِيَة أصوات الظّاء والذّال والثّاء باللّثويّة، وقد تعجّب من وَصْفِه غيرُ واحدٍ منَ الباحثين[7].

---

(١) مناهج البحث في اللغة ١٢٠.

(٢) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٣٠٠، مناهج البحث في اللغة ١٢٠.

(٣) الكشّاف ٤/ ٢٢٥.

(٤) العين ١/ ٥٨.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٢٦٩، ومناهج البحث في اللغة ١٢٦-١٢٧.

(٧) كالأستاذ إبراهيم أنيس في (الأصوات اللغوية) ٤٧، والأستاذ رمضان عبد التواب في (المدخل إلى علم اللغة) (٤)٤.

والزّمخشريّ على صَوَاب في قوله بـأن الظّـاء أخـت الـذّال والثّـاء، وهـي أصـوات أسنانية[1]، لا ذَوْلقية كما سمّاها الزمخشري لأنّ الأصوات الذولقية إنّما هـي الـلام والنـون والرّاء[2]. ويُمْكن تَفسيرُ تَسْمية الزّمخشري لهذه الأصوات بأنها ذولقية، تفسيراً لغوياً، فقـد جاء في : (اللّسان): «والحروف الذّلْق: حروف طَرَفِ اللّسان، سُمِيّتْ ذَلْقاً لأنّ مخارِجَهـا من طَرَفِ اللسَّان وذَلْق كلِّ شيءٍ وَذَوْلَقه: طَرَفُه»[3]، ولعـلّ الزّمخشريّ يقـصد بـالحروف الذّوْلَقيّة، الحروف التي مَخارِجَها من طرفِ اللّسان، وهذا ما أكده الدّرس اللّغوي الحديث -كما مرّ- .

هذا فيما يخص مخارجَ الضّاد والظّاء وأخواتهما، وّالتي ذكرها الزمخشري في تفسيره ووقَفَ عنْدَهَا، أمّا المخارجَ الأخرى[4] فلم نَجِدْ أيّة إشارة مباشرة لها، وإنّما المحنا إليها من

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٣؛ دراسة الصوت اللغوي ٢٦٩.

(٢) العين ١/ ٥١، ٥٨.

(٣) لسان العرب – ذلق - ١/ ١٠٧٤.

(٤) والمخارج الأخرى للأصوات هي:

١- الأصوات الحلقية: وهي الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء، سميت حلقية لن مخرجها الحلق، فأقصى الحلق مما يلي الصّدر للهمزة والهاء وأوسط الحلق مما يلي الصدر للعين والحاء، وأدنى الحلق مما يلي الفم للغين والخاء [مقدمة الجمهرة٨].

٢- الأصوات اللهوية: وهما حرفان : القاف والكاف وسميت لهوية لأن مبدأهما من اللهاة، أو بين عكدة اللسان وبين الهاء في أقصى الفم. [العين ١/ ٥٨].

٣- الأصوات الأسلية: وهي الصاد والسين والزاي، وسميت أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدقّ طرف اللسان [العين ١/ ٥٨] أو ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا. [الكتاب ٤/ ٤٣٣].

٤- الأصوات النّطعية: وهي الطاء والدال والتاء، ونسبت إلى النطع وهو سقف غار الحنك الأعلى [النشر ١/ ٢٠٠].

٥- الأصوات الذلقية: وهي الراء واللام والنون، سميت بالذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان [العين ١/ ٥٨]، تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم [العين ١/ ٥١].

خلال استعماله (الأخوّة) بين الألفاظ التي حَدَثَ فيها الإبدال اللّغوي[1]، الأصوات المُبْدَلَةُ إما أنْ تكون أخوات في المَخْرج أو أخَوَات في الصّفة وغيرِهما لأنّ الأخْوة في المخْرَج والصّفة لا تكون موجودةً في الأصوات المُبْدلة كلّها الواردة في تفسير (الكشّاف) وغيره من الكُتُب.

- صِفات الأصْوَات:

لم يُشِر الزّمَخْشري إلى صِفَات الأصواتِ إلاّ في نصّ واحِد، عندما عَرَض وجوه تأويلِ فَواتِح السُّور في بداية سورَةِ البقرةِ، إذْ قالَ:

«واعْلم أنّك إذا تأمّلت مَا أورده الله عزّ سلطانُه في الفواتح من هذه الأسماء وجَدتَها نِصْف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سَواء، وهي الألف واللام والميم والصّاد والرّاء والكاف والهاءُ والياء والعين والطاء، والسّين والحاء والقاف والنوّن في تِسْع وعشرين سُوْرَة على عَدَدِ حُرُوفِ المعْجَم، ثمّ إذا نظرْتَ في هذه الأربعة عشَر وجدتَها مشْتَمِلة على أنصاف أجْناس الحروف. بيان ذلك أنّ فيها من المَهْمُوسة نِصْفها الصاد والكاف والقاف. ومن الرِّخْوَة نِصفُها اللاّم والميم والصّاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون. ومن المطبَقة نِصْفها الصّاد والطاء. ومن المنْفَتِحة نِصْفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المُسْتَعْلِية نصفها القاف والصاد والطاء ومِن المنْخَفِضَة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين

٦- الأصوات الشفوية: وهي الفاء والباء والميم، وتسمى شفوية لأن مخرجها إلى الهواء من الشفتين [مقدمة الجمهرة٧] غير أن الفاء مما بين باطن الشفة السّفلى وأطراف الثنايا العليا [الكتاب ٤/ ٤٣٣].

٧- الأصوات الجوفية: وهي أصوات المد الطويلة الثلاثة: الألف والواو والياء وسميت بذلك أنها تخرج من الجوف، فلا تقف في مدرجة من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة. إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف [العين ١/ ٥٧].

(١) كما سنأتي إلى تفصيل ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل.

والسّين والحاء و النون. ومن حروف القَلْقَلَة نِصْفُها القاف والطاء»[1]. فاستعمل كلمة (أجناس) للدّلالة على (صِفَاتِ) الحروف أو الأصوات. أمّا الصّفات التي ذكرها في النّص السّابق، فهي:

١ - **المَجْهُوْرَةُ والمَهْمُوْسَةُ:**

قسّم علماء اللغة العرب، الأصوات اللّغوية تَبَعاً للأثر السّمعي إلى قِسْمَين:

أ- الأَصْوَاتِ المَجْهُوْرَةِ: والحرف المجهور «حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النَّفَس أنْ يجري معه حتى يقتضي الاعتماد عليه ويجري الصّوت»[2]، أو كما قال المحْدَثون: هو ذلك الصّوت اللّغوي الذي تهزّ الوتران الصّوتيان عند النّطق به[3]. وهي تسعة عشَر حَرْفاً؛ وهي: الهمزة، والألف، والعَيْن، والغَيْن، والقاف، والجيم، والياء، والضّاد، واللام، والنون، والرّاء، والطّاء، والدال، والزّاي، والظّاء، والذّال، والباء، والميم، والواو[4]. وقد ذكر الزمخشري أحدَ عَشَرَ حَرفاً من هذه الحروف المجْهورة، بقوله: «ومن المجهورة نِصفُها الألف واللام والميم والراء والعين والظاء والطاء والقاف والباء والنون»[5].

ب- الأَصْوَاتِ المَهْمُوْسَةِ: والمهمُوس حَرْف «أضْعف الاعتماد في موضعه حتى جَرى النَّفس مَعَه»[6] أو هي تلك الأصوات التي لا يهتّز الوتران الصّوتيّان معهما، ولكنّ هذا لا يعني عَدَم حُدُوثِ أيّة ذَبْذَبة مُطْلَقاً، إذْ لو لمْ تحدث هذه الذّبْذبة لما سُمِعَ

(١) الكشاف ١/ ١٠٠-١٠٣.
(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٤.
(٣) الأصوات اللغوية ٢٠
(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٤
(٥) الكشّاف ١/ ١٠٢.
(٦) الكتاب ٤/ ٤٣٤.

الصَّوْتُ اللّغوي، فالهَمْسُ يعني «صَمْتُ الوترين الصّوتيين عن التّنغيم وعن الموسيقيّة، بسببِ عَدَم اهْتزازهما وَذَبْذَبَتِهما»[1].

وَحروف الهَمْس عَشْرَة، وهي التّاء والثّاء والحاء والخاء والسّين والشّين والصّاد والفاء والكاف والهاء، وأورد الزمخشري خَمْسَة منها في تفسيره، إذ قال: «ومن المَهْمُوسَة نِصْفِها: الصّاد وَالكاف والهاء والسّين والحاء»[2].

٢ - الشَّدِيْدَةُ وَالرِّخْوَةُ:

وَقسم العلماء الأَصْوَات منْ حَيْث شدّتها على ثَلاثة أَقْسام:

شَديدة ورِخْوة ومتوسّطة، أمّا الزّمخشريّ فقد ذِكْر قِسْمَيْن فَقَط هُما الشّديدة والرِّخْوة وأدْخل المتوسّطة في الحروف الرِّخوة، والصَّوْت الشَّديد «هُوَ الذي يَمْنَعَ الصَّوْتَ أن يَجْرِيَ فيهِ»[3] وهي ثمانية حُرُوف: الهمزة والباء والتّاء والجيم والدّال والطّاء والقاف والكاف[4]، وقد ذَكَرَ الزمخشري أربعة منها بقوله: «ومن الشّديدة نِصفُها الألف والكافِ والطاء والقاف»[5]، حيث أورد الألف بدل الهمزة.

والصّوت الرِّخو هو ما «أجريت فيه الصّوت»[6]، وهي: الثاء والحاء والخاء والذال والزاي والسّين والشّين والصّاد والضّاد والظّاء والغين والفاء والهاء والواو والياء والألف. وأضاف إليه الزّمخشريّ الأصْوات المتوسّطة وَهِي: الراء والعين واللام والميم والنّون، ويَحْدُثُ هذا الصّوت بالتقاء عُضْوَيْنِ من أعضاء النّطق وإيجاد الهواء مَسْرَباً بَيْنَهُما، ومع ذلك لا يَحْدُثُ أيّ صفير أو حفيف نتيجة لذلك، «ولعلّ هذا هو الذي دَعا القدماء

(١) فقه اللغة العربية ٤٤٣.
(٢) الكشّاف ١/ ١٠١-١٠٢.
(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٤.
(٤) الموضع نفسه.
(٥) الكشّاف ٤/ ١٠٢.
(٦) الكتاب ٤/ ٤٣٤.

إلى تسمية هذه الأصوات الأربعة بالأصوات المتوسّطة، أي التي ليسَتْ انفجاريّة ولا احتكاكيّة»[1].

وجعل سيبويه حرْفَ (العين) مثلاً لما هو بين الشِّدَّة والرخاوة، قال: «وأمّا العين فبين الرِّخوة والشَّديدة، تَصِل إلى التَّرديد فيها لشبَهِها بالحاء»[2].

٤- المُطبقةُ والمُنْفَتِحَةُ:

يوصَفُ عَدد من الأصوات المجهورة والمهموسة، والشّديدة والرِّخوة، بأنّها مطْبقة، وهي أربعة: الصّاد والضّاد والطاء والظاء[3]، وهي تَحْدُثُ «إذا وَضَعْتَ لسانك في مواضِعِهنّ انطبق لِسانك في مواضِعِهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللّسان ترفَعُه إلى الحنك، فإذا وَضَعْتَ لسانك فالصّوت المحصورٌ فيما بَيْنَ اللّسان والحَنك إلى موضِع الحُرُوف.. فهذه الأربعة لها موضعان من اللّسان، وقد بيّن ذلك بِحصْر الصّوْت»[4].

وقد ذكر الزّمخشريّ منها نِصفَها وهي الصّاد والطّاء.

أمّا المُنْفَتِحَة، فهي التي لا تُطْبِقُ لشيء منهنّ لسانك بِرَفْعه على الحَنَك الأعلى[5]، وهي خمسةٌ وعشرون صَوْتاً ماعَدا الأصوات المطبَقة الأربعَة، وقد ذكر الزّمخشريّ نِصْفَها.

---

(١) الأصوات اللغوية ٢٤.
(٢) الأصوات اللغوية ٢٤.
(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٥.
(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٦.
(٥) الموضع نفسه.

٥- المُسْتَعلِيَةُ وَالمُنْخَفِضَةُ:

الأصوات المُستعلية سَبْعة، وهيَ: الصّاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء[1]، وسُمّيَت مستعلية لأنّ اللّسان يرتفع عند النُّطق بها نحو الحَنَك الأعلى، فهي حروف مستعلية نحو الحَنَك الأعلى[2]. وذكر الزّمخشري نصفها بقوله: «ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء»[3]، أما المنخفِضَة – ويسمّيها القدماء المستَفِلة –[4]، وهي ما عدا الأصوات المستعلِيَة، وذكر الزّمخشري نصف هذه الأصوات.

٦- حروف القلقلة:

وهي خمسة أحرف، القاف والجيم والطاء والدال والباء، تجمع بين صفتَيْ الجَهْر والشّدة[5]، فهي حروف مشرَبة ضُغِطَتْ من مواضِعِها فَوُصِفَت بـ (القلقلة)[6] وقد ذكر الزّمخشري اثنين من هذه الأصوات وهي: القاف والطاء[7].

وهكذا يمكننا القول بأن الزمخشري كان على علم بمخارج الحروف وصفاتها، مع أنّه لم يتناولْها إلاّ في نصّ أو نصّين، ولعلّ السبّب يعود على أنّه أراد لتفسيره أن يكون كتاباً في حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لا أن يكون كتاباً في الدراسات الصوتية المتعلقة بكتابِ الله – عزّ وجلّ – ولا يمكن التكلف في بيان أكثر مما هو موجود في (الكشّاف).

---

(١) الكتاب ٤/ ١٢٨.
(٢) نفسه ٤/ ١٢٩.
(٣) الكشّاف ٤/ ١٠٢.
(٤) الكتاب ٤/ ١٠١.
(٥) علم اللغة العام – الأصوات – ١١٦.
(٦) الكتاب ٤/ ١٧٤.
(٧) الكشّاف ٤/ ١٧٤.

المَبْحَثُ الثّاني:

الإبْدَالُ اللُّغَوِيُّ

يُعدّ الإبدال اللّغوي مَبْحثاً مهماً مـن مَباحِـثِ الاشـتقاق[1] وسـمّاه بعـض البـاحثين بالاشتقاق الكبير[2]، وغيرهم بالاشتقاق الأكبر[3]، وهـو في اللُّغـة: «جَعْـلُ شَيءٍ في مَكـانُ شَيْءٍ آخر»[4] أما في الاصْطِلاح[5]:

---

(١) ومعناه في اللغـة: الأخـذ في الكـلام وفي الخصومة يميناً وشمالاً، معترك القصد [الإصحاح ٤/١٥٠٣] واصطلاحاً: هو «أخذ كلمة من كلمة وأكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعاً». [الاشتقاق ؛ لعبد الله أمين ١.]

وعرّفه الزمخشري بقوله: «الاشتقاق أن تنظم الصيغتان فصاعداً معنى واحداً» [الكشّاف ١/٣٩]، وهو على أربعة أقسام:

١- الاشتقاق الصغير ويسمى الأصغر [الهمع ٢/٢١٢]: وهو أن ينتظم اللفظتان وزناً والمتوافقتان تركيباً، معنى واحداً [حاشية الجرجاني على الكشّاف ١/٣٩، الهمع ٢/٢١٢] نحو: كتب كاتب مكتوب.

الاشتقاق الكبير أو الإبدال اللغوي.

٣- الاشتقاق الكبر أو القلب اللغوي.

٤- الاشتقاق الكبّار ويسمى النحت، وهو أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى. [الاشتقاق لعبد الله أمين ٢].

(٢) عز الدين التنوخي في تحقيقه (إبدال أبي الطيب اللغوي)، وعبد الله أمين في كتابه (الاشتقاق) ٣٣٣.

(٣) إبراهيم أنيس في كتابه (من أسرار اللغة) ٦٨، وسعيد الأفغاني في كتابه (في أصول النحو) ١٢٣، وعبد القادر المغربي في كتابه (الاشتقاق والتعريب) ١٢، والسيد الجرجاني في حاشيته على الكشّاف ١/٤٦.

(٤) لسان العرب - بدل- ١/١٧٦

(٥) من الضروري - هنا- بيان الفرق بين الإبدال الغوي والإبدال الصرفي، فالإبدال الصرفي يقع في حروف معينة، وجعلوه شاملاً للإعلال ونقل الحركات والافتعال، ثم الإدغام على رأي من جعله

فهو: «جَعْلُ حَرْفٍ بدلَ حرفٍ آخر في الكلمةِ الواحدةِ، وفي موضعهِ منها لعلاقَةٍ بَيْن الحَرفين»[1] أو إبدال صوتٍ من كلمة بصوْت آخر، وهو كثير في اللّغة، ويقع بين الأصوات المتقاربة في الحيّز والمَخْرج، وبيت المتباعدة أيضاً، والأول هو الأغلب حدوثاً[2].

واختلف اللّغويون في شرْط قرب صَوْتَي المبدل والمبدَل منْه، فالخليل (ت ١٧٥ هـ) في كتابه (العَيْن)، لم يَقِف في القَوْل بالإبدال عنْد الألفاظ التي يقترب منها صوتا المبدل والمبدل منه[3]. وكذلك الأصمعي[4] (ت ٢١٦ هـ) وابن السِّكيّت[5] (ت ٢٤٤ هـ)، أما ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ)، فكان ممّن لا يرى القَلْب والإبدال إلا من النّظائر المتقاربة المخارج،

في الإبدال داخلاً، أما الإبدال اللغوي، فحين استقرئت اللغة وجمعت نصوصها وأخبارها لم يقتصر الإبدال منها على ما سنه الصّرفيون فيما بعد من قواعد التبديل والتعويض، بل اشتملت على ظواهر مدهشة أحياناً أبدل فيها حرف من غير أن يتماثلا أو يتقاربا في الصفة والمخرج. [مقدمة (الإبدال) لأبي الطيب ٩، دراسات في فقه اللغة ٢١٦].

يقول أبو علي القالي في (أماليه): «اللغويون يذهبون إلى أن جميع ما أمليناه إبدال، وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو، وغنما حروف الإبدال، عندهم إثنا عشر حرفاً، تسعة من حروف الزوائد، وثلاثة من غيرها، فأما حروف الزوائد فيجمعها قولنا: (اليوم تنساه) وهذا عمله أبو عثمان من غيرها، وأما حروف البدل فيجمعها قولنا: (طَالَ يوم أنجدتُه) وهذا أنا عملته». [الأمالي: ٢/١٨٦].

(١) الاشتقاق لعبد الله أمين ٣٣٣.

(٢) ينظر: الإبدال لأبي الطيب ١/٩، والتطور اللغوي التاريخي ١٠٢.

(٣) وعلى سبيل المثال: نصّ على الإبدال في (جَاسوا وحَاسوا) وقيام الجيم مقام الحاء [الصاحبي١٧٣] وكل منهما من مخرج، فالجيم شجرية مجهورة والحاء حلقية مهموسة، بينما لا يدري الخليل في (الدعاق والزعاق) أهي لغة أم لثغة؟ [العين ١/١٤٨].

(٤) روي عنه إبدال الميم من النون في (النّغرو والمَغر) لقرب الصوتين في المخرج [النوادر في اللغة، لأبي زيد ٢٩١] روي أيضاً إبدال الباء من الهاء في (البشاشة والهشاشة) والباء شفوية مجهورة، والهاء حلقية مهموسة. [القلب والإبدال لابن السكيت ١٠٥].

(٥) روي عنه الإبدال في (محارف ومجارف) [القلب والإبدال ٢٩ ٣٠]، والحاء والجيم متباعدتين مخرجاً وصفة، فالحاء حلقية مهموسة رخوة، والجيم شجرية مجهورة شديدة.

فهو يقول: إن «القَلْب – البَدَل – في الحروف، إنّما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدّال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء، والهاء والهمزة والميم والنون، وغيرُ ذلك ممّا تدانت مَخارِجُه»[1] وذَهَب ابْن سيدة (ت ٤٥٨ هـ) إلى عدم القول بالإبدال إلا فيما تقارَبَ منه الحرف مخرجاً[2]، أمّا الزمخشري فذهب مذهب الأصمعي وابْنَ السِّكيت ولم يَجِد قرْب المخرج شَرْطاً في الإبدال فيما ذكر مِنْ ألفاظ في تفسيره[3].

ولم يَستَعمِل الزّمخشريّ مُصْطَلح البَدَل أو الإبدال في (الكشّاف) إلاّ في موضوع واحد[4]، واستعمَلَ الأُخوة[5] بَيْنَ الألفاظ للدّلالة على مَا أسماه غيرُهُ بـ (الإبدال) وَيُعلّق السّيدُ الجرجانيّ على ذلك بقولِه: «إنَّ الشّائع في كُتُبِ المصنّف استعمال الأخوّة فيما بَيْن لفظتَيْن تتلاقيان في الاشتقاق الكبير أو الأكبر، أمّا الكبير فبِأنْ يشتركا في الحروف الأصول من غير ترتيب مع اتّحاد المعنى أو تناسُبٍ فيه كالجَذْب والجَبْذ وكالحَمْد والمَدْح، وأمّا الأكبر فبِأنْ يَشْتَرِكا في أكثر تلك الحروف فقَط ويتناسبا في الباقي مع الإتّحاد أو التّناسب في المَعْنى كأله ودله وكالفلق والفلج»[6]، وذكر عبارة (في وادٍ واحد) في المعنى نفسه[7] وأشار في مواضِعَ أُخَر إلى اتّحاد المَعنى فقط، بَيْنَ الألفاظ التي حَدَّدَت فيها الإبدال[8].

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٧.

(٢) ينظر: الإبدال اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث ٤١.

(٣) سنأتي إلى بيان ذلك بالأمثلة فيما يأتي.

(٤) الكشّاف ٢/ ٢٦٤.

(٥) كما نجد ذلك في الكشّاف: ١/ ٣٩، ١٥٥، ١٩٧، ٦٠٠؛ ٢/ ١١٤، ٤٤٤، ٥٢٤، ٣/ ٣٥٠، ٤١٢، ٤٢٣، ٤/ ٢١٢، ٢٢٠ وغير هذه المواضع.

(٦) حاشية السيد الجرجاني على الكشّاف ٢/ ٤٦.

(٧) الكشّاف ١/ ٢٨٧، ٦٠٠.

(٨) ينظر: الكشّاف ٢/ ١٦٧، ٣/ ١١٥، ٣٣٧، ٤/ ١٤٤، ٢٢٧.

وفسّر اللّغويون قديماً وحديثاً ظاهرة الإبدال اللّغوي تفسيراتٍ عدّة[1] ومن المحْدَثين مَنْ لخّص العلاقات التي تسوّغ الإبدال اللّغوي بين الحروف، وَرآها لا تخرج عما يأتي[2]:

١ - التّماثُل: وهو أن يتحد الحرفان مخرجاً وصفة، كالباءين، والتاءين، والثاءين.

٢ - التّجانُس: وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة، كالدال والطاء.

٣ - التّقارب:

أ) أنْ يتقاربَ الحَرْفان مخْرجاً ويتّحدا صفةً: كالحاء والهاء.

---

(١) فقد أشار الخليل على ان إحدى صورتيه لغة قبيلة ثانية، كما وجدنا ذلك في (الدّعاق و الزّعاق)، ولعل أبا الطيب أخذ من الخليل هذه الإشارة وصرح بها فقال: «ليس المراد بالإبدال ان العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متّفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا في حرف واحد» [المزهر ١/ ٤٦٠] أما ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فقد عدّ الإبدال اللغوي من سنن العرب بقوله: «ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون: مَدَحَهُ ومَدَهَهُ، وفرس رِفَلٌ و رِفَنٌ، وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء» [الصاحبي ٢٠٣]

= أما المحدثون فقد قال فيهم الدكتور إبراهيم أنيس: «حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حيناً ومن تباين اللهجات حيناً آخر، لا تشك لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتين أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نُطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفاً من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصّوتية بين الحرفين المُبدل والمبدل منه» [من أسرار اللغة ٧٥]، ومن الباحثين من أشار إلى أهمية التصحيف والخطأ في الرِّواية والتوهم السمعي في هذا المجال. [ينظر أبو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة ٤٩-٥٠].

(٢) دراسات في فقه اللغة ٣١٦-٣١٧ ، (الاشتقاق) لعبد الله أمين ٣٥٢-٣٥٣.

ب) أنْ يتقاربَ الحَرْفان مَخْرَجاً وَصِفة: كاللاّم والراء.

ج) أنْ يتقاربَ الحَرْفان مَخْرَجاً، وَيتباعَدا صِفَةً: كالدّال والسّين.

د) أنْ يتقاربَ الحَرْفان صفةً ويَتَباعَدا مَخْرَجاً كالشّين والسّين.

٤ - التّباعد:

أ) أنْ يتباعد الحَرفان مَخْرَجاً وَيَتّحِدَا صفةً، كالنّون وَالميم.

ب) أن يتباعد الحرفان مخرجاً وصفة: كالميم والضاد.

ويمكن تقسيم ما ورد في (الكشّاف) من مسائل الإبدال اللغوي على قسمين:-

القسم الأول: - ما وقع الإبدال فيها بين لفظتَيْنِ في حرف واحد.

القسم الثاني: - ما وقع الإبدال فيها بين ألفاظ كثيرة بتغييرِ حرفٍ واحد.

- القسم الأول: ولكثرة مسائل هذا القسم اخترت (ثلاثةً) فقط لتفصيل القول فيها، وهي (الأزّ الهزّ، كَشَطَ - قَشَطَ، وَجَفَ - وَجَبَ).

١ - (الأزّ - الهزّ)

جاء في (الكشّاف) في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾[1]، أن «الأزّ والهزّ والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدّة الإزعاج أي تغريهم على المعاصي وتهيجهم بالوسواس والتسويلات»[2]

---

(١) مريم / ٨٣.

(٢) الكشّاف ٢/ ٥٢٤.

وعن ابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) أن الأز مثل الهز[1]، وذهبَ ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) إلى انّ تقارب الحروف إنّما هو لتقارب المعاني وأن معنى قوله تعالى: +تؤزهم أزاً- «أي تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزّهم هزّاً والهمزة أخت الهاء فتقارب اللّفظتان لتقارب المعنيين، وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهزّ ما لا بال له؛ كالجِذع وساق الشّجرة، ونحوِ ذلك»[2]، فالإبدال وقع بين الهمزة والهاء ومخرج الحرفين هو أقصى الحلق[3]، والهمزة مجهورة شديدة والهاء مهموسة رخوة[4]، فكانت العلاقة بينهما علاقة تجانسٍ لاتحادهما في المخرج واختلافهما في الصّفة.

ومن الأمثلة الأخرى على علاقة التجانس بين حرفَي المبدل والمبدل منه، الواردة في (الكشّاف): (السّراط - الصّراط)[5]، .... (النّزع - النّشغ)[6] و (الأب- الأم)[7].

---

(١) لسان العرب - أزز- ١/ ٥٦.

(٢) الخصائص ٢/ ١٤٦.

(٣) ينظر: الكتاب ٤/ ٤٣٣، العين ٣/ ٣٤٩.

(٤) ينظر: دراسات في فقه اللغة ٢١٨.

(٥) الكشّاف ١/ ٦٧-٦٨، ومخرج السين والصاد ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا [الكتاب ٤/ ٤٣٣] وسماها الخليل الأسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان [العين ١/ ٥٨] ووصف المحدثون بأنها أسنانية لثوية [مناهج البحث في اللغة ١٢٨، ودراسة الصوت اللغوي ٢٦٩-٢٧٠] أما في الصفة فالسين منفتحة مُستفلة والصاد منطبقة مستعلية [دراسات في فقه اللغة ٢٨٢] وأرجع الفراء (الصراط) بالصاد إلى أنها لغة قريش الأولين وبالسين إلى أنها لغة بَلْعنبر (الإبدال) لأبي الطيب ١٨٧ الهامش، ولسان = العرب - سرط- ٢/ ١٣٤] ومثل (السراط- الصراط) أيضاً (السفر - الصفر) [الكشّاف ٤/ ٤١] أما ابن جني فقد أرجع إبدال السين صاداً إلى مجيء الطاء والقاف بعد السين. [سر صناعة الإعراب ١/ ٢٢٠]

٢- (كَشَطَ – قَشَطَ)

يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾[3]، بأنَّ «(كُشِطَتْ) كُشِفَت وأُزيلَتْ كما يقشط الإهاب عن الذّبيحة والغِطاء عنِ الشّيء. وقرأ ابن مسعود قُشِطَت. واعتقاب الكاف والقاف كثير، يقال لَبَكْتُ الثَّريد ولَبَقْتُه والكافور والقافور»[4].

ومَخْرَج القاف هو أقصى اللّسان وما فوقَه من الحَنَك الأعْلَى[5] أمّا مَخْرَج الكاف ففي أسفل مِنْ مَوْضع القاف منَ اللّسان قليلاً وممّا يليه من الحَنَكِ الأعلى[6]، ويَرى الخليل بأنَّ القاف والكاف صَوْتان لَهَويّان وَذلك لأنّ مبداهُما من اللّهاة[7]، أو ما بَين عُكْدَة اللّسانِ وَبَيْنَ اللّهاةِ في أقصَى الفَم[8].

---

(١) الكشّاف ٢/ ١٣٩ ، ٣/ ٤٥٤، ومخرج الزاي والسين ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا [الكتاب ٤/ ٤٣٣] والزاي صوت مجهور والسين صوت مهموس، ومثل (النزغ – النسغ) أيضاً (الرجز – الرجس) [الكشّاف ٣/ ٢٠٥].

(٢) الكشّاف ٤/ ٢٢٠، ومخرج الباء والميم هو ما بين الشفتين [(الكتاب) ٤/ ٤٣٣، و (العين) ١/ ٥١،٥٨] والباء صوت شديد أما الميم فصوت متوسط، وقد فات ابن السكيت وأبا الطيب هذا الإبدال [ينظر (إبدال) أبي الطيب ١/ ٧٦ الهامش] ومثل (الأب – الأم) أيضاً إبدال الباء ميماً في (لازب) [الكشّاف ٣/ ٣٣٧].

(٣) التكوير / ١١.

(٤) الكشّاف ٤/ ٢٢٣.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٦) الموضع نفسه

(٧) العين ١/ ٥٨.

(٨) العين ١/ ٥٢.

وَصِفَةَ القاف هي الجَهْر أمّا صفة الكافِ فهي الهَمْس[1]، ويتبيّن لنا - ممّا سَبَق - علاقة التّقارب بيْنَ القاف والكاف، لتقارُبِها في المخرج وتباعُدِها في الصِّفَة.

وعن ابن السّكّيت: «قَشَطْتُ عنه جِلْدَه وَكَشَطْتُ»[2] وفي (إبدال) أبي الطيّب: «قَشَطْتُ الكتابةَ عن القرطاس قَشْطاً، وكَشَطْتُها كَشْطاً»[3]، وقال الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ): «قريش تقول: (كَشَطْتُ) وقيس وتميم وأسد (قَشَطْتُ)»[4]، وذكر الزّجّاج (ت ٣١١ هـ) إبدال القاف والكاف في قوله: «يقال كَشَطْتَ السّقف وقَشَطْتُ السَّقْفَ بمعنىً واحد، والقاف والكاف تُبْدَل أحداهما من الأخرى كثيراً. وَمِثْل ذلك لَبَكْتُ الشّيءَ ولَبَقْتُهُ إذا خلطتُهُ»[5]، أمّا ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) فيقول في حَرْف القاف: «حَرْفٌ مَجْهُور، يَكُونُ أصْلاً لا بَدَلاً ولا زائِداً»[6]، ويعلّق على (كَشَطَتْ - قَشَطَتْ) بقوله: «ولَيْسَت القافُ في هذا بَدَلاً من الكاف، لأنّها لغتان لأقوام مُخْتَلِفين»[7]، فالقافُ تُقلب كافاً عند غيْرِ التّميميين فهُمْ يقولون في قَشَطَتْ التّميميّة كَشَطَتْ، وفي قافورَ كافور[8]، ولعلّ هذا السّبب في أن

---

(١) دراسات في فقه اللغة ٢٨١.

(٢) القلب والإبدال ٣٧.

(٣) الإبدال ١/ ٣٥٩.

(٤) القلب والإبدال ٣٧.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩١.

(٦) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٧٨.

(٧) الموضع نفسه.

(٨) ينظر: المحكم ٦/ ٩٥، المخصص ١٣/ ٢٧٧، (الأمالي) القالي ٢/ ١٣٩، تاج العروس ٥/ ٢٠٧، الإبدال والمعاقبة والنظائر ٧٩ الهامش

يقول الزمخشري (واعتقاب[1] الكاف والقاف كثير) بَدَلاً من أن يقول: الإبدال بين الكاف والقاف كثير. لكن كلام ابْنُ جنّي لا يمنع من أن تكونَ إحدى اللّغتين هي الأصل وأنّ الأخرى نَشَأَتْ عَنْها بالإبدال أو تكونا متولّدتَيْنِ عَنْ لغةٍ مُشْتَرَكة تفرّعَتْ بالإبدالِ الصّوتيّ إلى لُغتَيْن. وممّا جَاء في الكشّاف من اعتقاب الكاف والقاف: (الدّكّ – الدّقّ)[2]، و(قَنَعَ – كَنَعَ)[3].

ومثل (كَشَط – قَشَط) في علاقة التّقارب بَيْنَ صَوْتَي المُبْدَل والمُبْدَل مِنْه: (عَزَرَ – أَزَرَ)[4].

٣- (وَجَفَ – وَجَبَ)

جاء في (الكشّاف) في قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝﴾[5]، «أيْ يَوْمَ تَرْجَف، وجَفَتِ القُلوب واجفة شديدةَ الاضْطِراب، والوَجيبُ والوَجيف أخَوان»[6]، فالإبدال وقعَ بيْن الفاء والباء وَهُما متباعِدان مَخْرَجاً وصِفَةً، وَعَدَّهما الخليل منَ الأصواتِ

---

(١) ومعناه في اللغة: «المعاقبة والإعتقاب والتداول... ،... والمعاقبة في الزحاف أن تحذف حرفاً لثبات حرف، والعرب تعقب بين الفاء والثاء، وتعاقب مثل: جَدَث جَدف». [لسان العرب – عقب – ٢/ ٨٣٢].

(٢) الكشّاف ٢/ ١١٤، وعلّق عليه الزمخشري بقوله (الدكّ والدق أخوان كالشك والشق).

(٣) الكشّاف ٣/ ١٥.

(٤) الكشّاف ١/ ٦٠٠ ، وعلّق عليه الزمخشري بقوله: «والتعزير والتأزير من واد واحد»، والعين والهمزة متقاربان في المخرج والصفة، لأنهما من الأصوات الحلقية [(العين) ١/ ٥٢ ، ٣/ ٣٤٩، و(الكتاب) ٤/ ٤٣٣] وكلاهما صوتان مجهوران، ومثله أيضاً (عَرْف – أرْف) [الكشّاف ٣/ ٥٣٢].

(٥) النازعات :٨.

(٦) الكشّاف ٤/ ٢١٢.

الشَّفَويّة[1]، ولا خِلافَ فيما قرَّره بشأن صَوْت الباء، أمّا الفاء فإنّ مَخْرَجه من باطِنِ الشَّفَة السُّفلى وأطراف الثنايا العُلْيا[2]. والفاء صَوْت مهموس رخْو والباء صوت مجهور شَديد[3].

وقد ذكر ابن جنّي في (الخَصَائِص) في باب (تَصَاقب الألفاظ لتصاقُبِ المَعَاني) بأنَّ الفاء أخت الباء[4]، وفي (إبدال) أبي الطيِّب أن وجب القَلْبُ وَوَجَفَ بمَعْنَى خَفَق واضْطَرَب[5].

وممّا وُرِد في (الكشّاف) من الإبدال الواقع بين صَوْتَيْن متباعِدَيْن مَخْرجاً وصِفَة: (لَمـزَ – هَمـزَ)[6] وصَوْتَيْن مُتَباعِدَين في المَخْرج فَقَط: (رَيْـن – غَـيْن – غَـيْم)[7]، و (أسَرّ – أشَرّ)[8].

---

(١) العين ١/ ٥٨.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٣) ينظر: الدراسات في فقه اللغة ٢٨١.

(٤) الخصائص ٢/ ١٥٠–١٥٢.

(٥) الإبدال ١/ ٢٩.

(٦) الكشّاف ٤/ ٢٨٣، فالميم مخرجه بين الشفتين [(العين) ١/ ٥٢–٥٨، (الكتاب) ٤/ ٤٣٣] والهاء من الأصوات الحلقية [(العين ٣/ ٣٤٩، (الكتاب) ٤/ ٤٣٣] والميم صوت مجهور متوسط والهاء صوت مهموس رخو [ينظر: دراسات فقه اللغة ٢٨١].

(٧) الكشّاف ٤/ ٢٣٢، وفي هذه المسألة إبدالان لغويان، بين الراء والغين، [ينظر: (الإبدال) لأبي الطيب ٢/ ٤٨] في (رَيْن – غَيْن) وبين الغين والميم في (غين – غيم) [ينظر: الإبدال والمعاقبة والنظائر ١٠٠ي، والراء والغين متباعدان مخرجاً ومتحدان صفة فالراء ذلقي مجهور والعين حلقي مجهور. أما النون والميم فمتباعدان مخرجاً ومتحدان صفة أيضاً، فالنون ذلقي والميم شفوي وكلاهما يشتركان في صفة الجهر والتوسط بين الشدة والرخاوة. [ينظر: دراسات في فقه اللغة ٢٧٨– ٢٨١].

(٨) الكشّاف ٢/ ٢٤١، فمخرج السين: ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا، ومخرج الشين هُو وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى [الكتاب ٤/ ٤٣٣] والحرفان مشتركان في الهمس والرخو [ينظر: دراسات في فقه اللغة ٢٨١].

وهناكَ مَسائل أخرى في الإبدال اللُّغوي، وَرَدَتْ في (الكَشّاف) تَدْخل ضِمْنَ مسائِل هذا القِسْم[1].

-القِسْمُ الثّاني: ما وَقَعَ الإبدال فيها بَيْنَ ألفاظٍ كَثيرَة بتَغيير حَرْف واحد:

لحظ الزّمخشري الصِّلة بين الألفاظ التي تشْترك في حَرْفَيْن كما لحظ ذلك قَبْلَه - أستاذه- ابن جنّي[2] (ت ٣٩٢هـ)، وَذَهَبَ إلى النظريَّة الثنائية لِلّغة إذ أشار بَعْضُ عُلَماء فِقه اللُّغَة قَديماً وَحديثاً إلى أنّ الألفاظ تعود أصولها التّاريخيّة إلى أصول ثنائيّة زِيْدَ عليها حرْفٌ ثالث في مراحل تطوّرها التّاريخي، وهذا الحرف الثالث ينوّع المعنى العام، ومالَ ابن جنّي إلى تقرير هذه الظّاهرة، وأن هذهِ الأصول الثّنائية نشأتْ عن حِكايةِ الأصْواتِ الطّبيعيّة المقارنة للفعْل أو الحَدَثِ الذي تدلّ عَلَيْه تلكَ الأصُول[3].

وردّ ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في (المقاييس) أصل (باب القاف والطاء وما يثلّثهما) إلى معنى القطع، وبيّن معاني (قطَعَ) و (قطَفَ) و (قطَلَ) و (قطَم)، فتبيّن أن العين والفاء واللاّم والميم أحرف زائدة على الأصل الثّنائي (قَط) خَصَّصَتْ معنى القطع ونوّعتْهُ بَيْنَ الصَّرم والإبانة والأخذ، وردّدته تَبَعاً لأصواتها بَيْنَ درجات الشِّدَّة والغِلْظة في إحداث القَطْع[4].

ولا يأتي هذا الحرف المزيد على الأصل الثّنائي تذييلاً في الأخير فَحَسْب، بَلْ يأتي متوّجاً في صدْر الكلمة، ومقحَماً في وَسَط الكلمةِ أيْضاً[5].

ولكثرة ما وردَتْ في (الكشّاف) من مسائل هذا القِسْم، اخترت (اثْنَتَيْن) منها، على سبيل التّمثيل وهما (ألِه - دَلِه - عُلِه)، و (أنْفَقَ - انْفَذَ).

---

(١) ينظر: جدول رقم -٣- في الملحق.

(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) هذا ما يفهم من أمثلته في الخصائص ٢/١٥٨، ١٦٠، ١٦١.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٥/ ١٠١-١٠٣.

(٥) الفلسفة اللغوية، لجرجي زيدان ٧٣.

ولكثرة ما وردَتْ في (الكشّاف) من مسائلِ هذا القِسم، اخترت (اثْنَتَيْنِ) منها، على سبيل التّمثيل وهما (أَلِه – دَلِه – عَلِه)، و (أَنْفَقَ – أَنْفَذَ).

١ - (أَلِهَ – دَلِهَ – عَلِهَ)

جاء في (الكشّاف) في البَسْمَلَة، بأنّ «صيغةَ قولهم أَلِهَ إذا تحيَّر، ومن أخواتِهِ دَلِه وعَلِه فَيَنْتَظِمُهُما مَعْنَى التّحيّر والدّهْشَة»[1]، فَأَبْدَل الحرف الأوّل، الهمزَة في (أَلِهَ) بالدّال والعَيْن، فالهَمْزَة والعَيْن يتقاربان مَخْرَجاً والهمزة والدّال يتشاركان في صِفَةِ الجَهْر[2]. وفي (الفائق): أن (وَلِه ودَلِه وتَلِه وعَلِهَ، أخوات في مَعنى الحيرَةِ والدّهشة»[3]. والهمزة والواو متشاركان في صِفَة الجَهْر، أمّا الهمزة والتّاء فمتباعدان في الصِّفَةِ والمخْرَج[4]. ومعنى (ولـه): الحزن، وقيل هو ذهاب العقل[5]، أما (عَلِه) فمعناه: الدهش والحيرة. والعَلِه: الذي يتردد مُتحيراً[6]، وأصل (أَلِه) من أله يأله إذا تحير[7].

فجمع هذه الألفاظ معنى التّحير والدهشة لاشتراكها في العين واللام[8].

٢ - (أَنْفَقَ – أَنْفَذَ)

يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾[9] بأن «أنفق الشيء وأنفده أخوان، وعن يعقوب نفق الشيء

---

(١) الكشّاف ١/ ٣٩.

(٢) حاشية الجرجاني على الكشّاف ١/ ٣٩.

(٣) الفائق ٣/ ١٦٠.

(٤) فالهمزة: حلقي مهموز والتاء لثوي مهموس [ينظر: دراسات في فقه اللغة ٢٧٨ – ٢٨١].

(٥) لسان العرب – وله- ٣/ ٩٨٤.

(٦) نفسه – عله- ٢/ ٨٧٣.

(٧) نفسه – أله- ١/ ٨٨.

(٨) من كلمة (فعل) التي وضعها الصّرفيون ميزاناً للكلمات يعرف من خلاله عدد حروف الكلمة وما فيها من الأصول زوائد وحركات وسكونات وما يطرأ عليها من تغيير، واختاروا على ثلاثة أحرف بسبب غلبة الكلمات الثلاثية الأصول في الاستعمال، [ينظر: الكشّاف للزمخشري في دراسة صرفية ٦٣].

(٩) البقرة/ ٣.

ونفد واحد» وكل ما جاء مِما فاؤه نون وعَينه فاء، فدالّ على معنى الخروج ونحو ذلك إذا تأملت»[1]،وقد أتى السيد الجرجاني في تعليقه على كلام الزمخشري بأمثلة أخرى «نحو نَفَرَ ونَفَى ونَفَذَ ونَفَضَ ونَفَثَ وأمثالها»[2]، واشتركت مع الألفاظ الأخرى في الحرف الأول والوسط أو في الفاء والعين، وجَمَعَها معنى الخروج والذهاب، فمثلاً نفق الشيء ينفق نفقاً.. إذا نَفَدَ[3] ونفق ماله ودرهمه.. نقص وقلّ[4] ونفدَ الشيء نَفداً ونفاداً: فني وذهب[5]، ونفر ينفر نُفوراً ونفاراً إذا فرّ وذهب[6]، ونفى الشيء: تنحّى[7] نُفي فلان من البلد أُخرج وسُيِّر[8] ومن نَفِذَ النفاذ وهو جواز الشيء والخلوص مِنه[9] ونَفَض القوم نفضاً: ذهب زادهم[10] ونَفَثَ الشيء من فيه: رمى به ونَفث ريقه[11]. فنوع الحرف الثالث المبدَل معاني هذه الألفاظ غير أن المعنى بقي واحداً وهو الخروج والذهاب لكن اختلافاً جزئياً وقع في معاني هذه المواد بسبب تغيير لام الفعل.وقد أورد ابن جني أمثلة كثيرة في باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)[12] وهناك مسائل وردت في (الكشّاف) تَتعلّق بهذا الضَّربِ من الإبدال اللغوي[13].

---

(١) الكشّاف ١/ ١٣٣.
(٢) حاشية السيد الجرجاني على الكشّاف ١/ ١٣٣.
(٣) إصلاح المنطق ١٩٥.
(٤) لسان العرب – نفق- ٣/ ٦٩٣.
(٥) نفسه – نفد- ٣/ ٦٨٥.
(٦) نفسه – نفر- ٣/ ٦٨٧.
(٧) نفسه – نفي- ٣/ ٦٩٦.
(٨) أساس البلاغة – نفى- ٦٤٩.
(٩) لسان العرب – نفذ- ٣/ ٦٨٦.
(١٠) لسان العرب – نفض- ٣/ ٦٩٢.
(١١) أساس البلاغة – نفث- ٦٤٥.
(١٢) الخصائص ٢/ ١٤٩، باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.
(١٣) ينظر: جدول رقم -٤- في الملحق.

المبحث الثالث:

القَلْبُ اللُّغَوِيّ(*)

القَلْب: لغة: «تحويلك الشيء عن وجهه، وكلام مقلوب، وقلبته فالقلب، وقَلَّبته فَتَقَلَّبَ. وقلبت فلاناً عن وجهه أي صَرَفْتُه»[1]

واصطلاحاً: هو «أن تجد بين كلمتين فأكثر تماثلاً في الحروف، واختلافاً في ترتيبها يتقدّم بعضها على بعض بدون زيادة أو نقص فيها مع الاتحاد في المعنى، أو أن تَعْمَدَ إلى كلمةٍ فتشتق منها كلمة فأكثر بتقديم بعض الحروف على بعض دون زيادة أو نقص فيها مع الإتحاد في المعنى»[2] أو هو تبدّل صوتي لا يقع على الأصوات اللغوية أي الحروف وإنما «يقع على الكلمة بإبدال مَواقع الأصوات أو الحروف فيها مِثل يئس وأيس وجَذَبَ وجَبَذَ»[3]، وعند السيد الجرجاني: هو «أن يشتركا – أي اللفظتين – في الحروف الأصول من غير ترتيب مع اتحاد في المعنى أو تناسب فيه كالجذب والجبذ وكالحمد والمدح»[4].

وأول من فطن إلى نِظام التقليبات، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥ هـ) الذي أسّس معجمه (العين) على تقليب أمكنة حروف الثلاثي[5]، وسار على هدي الخليل – بعده – ابن دريد (ت٣٢١ هـ)، فيما شاع في معجمه (جَمْهَرَةُ اللّغةِ) من تقليب الأصول،

(*) ويسمّى بـ (الاشتقاق الأكبر) [ينظر: (الخصائص) ٢/ ١٣٣، و(الاشتقاق) لعبد الله أمين ٣٧٣] وبـ (الاشتقاق الكبير) أيضاً [ينظر: حاشية السيد الجرجاني على الكشّاف ١/ ٤٦ و (فقه اللغة وخصائص العربية٩ ١٠٦، و (أبحاث ونصوص فقه اللغة العربية) ٢٧٠].

(١) العين ٥/ ١٧١، وينظر: الدراسات الصوتية في كتاب العين في ضوء علم اللغة الحديث ٢٢٥-٢٤٥.

(٢) (الاشتقاق) لعبد الله أمين ٢٧٣.

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية ٦٨.

(٤) حاشية السيد الجرجاني على الكشّاف ١/ ٤٦.

(٥) ينظر: من أسرار اللغة ٦٦.

فذكر طائفة مما قلبته العرب، من ذلك: ما أطيبه، وما أيطبه، ورَبَض ورَضَب الشاة، واضمَحَلّ وامضَحَلَّ، وغيرها[1]. وفَطِن إلى هذا النوع من الاشتقاق – أيضاً أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) وكان «يستعين به ويخلُد إليه.. لكنّه مع هذا لم يُسمِّه، وإنما كان يعتاده عِند الضرورة، ويَسْتَرْوِحُ إليه، ويَتَعلَّلُ به»[2] ثم تناوله تلميذه ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) وأولع به وتوسّع فيه وضَرَب الأمثلة الموضّحة له[3]، وهو عنده: «أن تأخذ أصلاً من الأصولِ الثلاثية، فتَعْقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرّفُ من كلّ واحدٍ منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه، ردَّ بلطفِ الصّنعة والتأويلِ إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد»[4]، وهو على ولوعه بهذا الاشتقاق الأكبر، لم يبالغ ولم يزعم أطّراد هذا النوع من الاشتقاق في جميع مواد اللغة، بل صرح باستحالة الاطّراد والإحاطة فقال: «واعلم أنا لا ندعّي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سُدس هذا أو خمسه متعذراً صعباً كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً وأعز مُلتمساً»[5].

وبيد أن القلب يَحدث في الغالب دون قاعدة محددة يسير عليها، سوى الرغبة في تخفيف اللفظ، فيقدّم الناطق بعضَ أصواتِ الكلمةِ ويؤخّر أخرى، لأنه بفطرته يميل إلى السهولة في الكلام. والقلبُ أقلُّ من الإبدالِ عدداً وأندرُ وقُوعاً وأقلُّ شأناً في اللغة[6].

وقد فَطِنَ القدماء إلى أنّ القلب إنما كان بسببٍ من اختلافِ اللّهجَات، وذكر ابن دريد في (الجمهرة) ما نصّه: «باب الحروف التي قلبت وزعم قوم من النحويين أنها

(١) ينظر: جمهرة اللغة ٣/ ٤٣١ (باب الحروف التي قُلبت)
(٢) الخصائص ٢/ ١٣٣.
(٣) ومنها تقليبات (ك ل م) و (ق و ل) وغيرها[ينظر : الخصائص ٢/ ١٣٥-١٣٨].
(٤) الموضع نفسه.
(٥) الخصائص ٢/ ١٣٨.
(٦) ينظر الفلسفة اللغوية ٣٤، فقه اللغة وخصائص العربية ٦٨.

لغات»[1]. ومنهم من لم يُدرك حداثة بعض المقلوبات، إذ يجد شيوعها في اللغة واستعمال مشتقاتها، فيحكم بأصالتها[2]، ومنهم من أدرك ذلك فاستشعرَ عَدَم الفصاحةِ فنفى في القرآن شيئاً من المقلوب كابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) الذي عدّ القلب من سنن العرب وقسمه على قسمين: في الكلمة كجذي وجبذ، وفي القصة كقولهم: كان الزنا، فريضة الرّجم[3].

ومن الباحثين من أرجَعَ سبَبَ ظهورِ القلبِ المكانيّ في لهجات اللّغة الواحدة إلى كثرة استعمال اللهجات للألفاظ التي يحدث فيها قلب لغوي أو قلّته[4].

إن هذه الآراء والأسباب في تفسير القلب اللغوي، إنما تدلُّ على أن القلَب اللغويَّ ظاهرةٌ لغويةٌ واضحةٌ في اللغةِ العربيةِ، وأكدتها بعضُ القراءاتِ القرآنيةِ أيضاً[5].

وأكثر ما يكون القلب في الكلمات الثلاثية وقد يقعُ فيها فوقَ الثلاثي، سواء أكانَ ثلاثياً مزيداً أم رباعياً مجرداً أو مزيداً، أم خماسياً جرى على ألسنة العرب[6].

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة ٣/ ٤٣١ (باب الحروف التي قلبت)، (المخصّص) ١٤/ ٢٧.

(٢) ينظر: المزهر ١/ ٤٨١.

(٣) الصاحبي ٢٠٢.

(٤) هو الدكتور غالب المطلبي في دراسته (لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة) ١٩٤، وينظر: الدراسات الصوتية في كتاب العين في ضوء علم اللغة الحديث ٢٦٨.

(٥) ومن أمثلة ذلك، ما جاءت في (الكشّاف):

١- في قوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ [الحج / ٢٧] يقول الزمخشري: «وقرأ ابن مسعود، يقال بئر بعيدة العمق والمعق» [الكشّاف ٣/ ١١].

٢- وفي وقوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأيا بجانبه﴾ [فصلت/ ٥١]، يقول الزمخشري: «وقرئ نأى بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للإتباع وناء على القلب كما قالوا راء على رأي» [الكشّاف ٣/ ٤٥٧-٤٥٨] بلهجة قريش وكثير من العرب وغيرهم، وقد قرأ ابن ذكوان وناء بجانبه على القلب [إتحاف فُضلاء البشر: ٢٣٦].

(٦) ينظر: دراسات فقه اللغة ٢٠٦، و (الاشتقاق) لعبد الله أمين ٣٨٦-٣٨٨؛ والمخصّص ١٤/ ٢٧-٢٨.

وقد أوردَ الزمخشريُّ طائفةً من الألفاظ التي حصل فيها قلبٌ مكانيٌّ في تفسيره (الكشّاف) حَصَلَ جميعها في الكلمات الثلاثية، ولم يقع فيما فوق الثلاثي إلا في لفظة (عَسْعَس) الرباعية المجردة المكرّرة، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝﴾[1]، إذ ذكر صاحب (الكشّاف): بأن «عسعس الليل وسعسع، إذا أدبر»[2] وهذا رأي الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) إذ أشار إلى ان العرب تقول: عَسْعَس وسعسع إذا لم يبق منه إلا اليسير،واحتج بشعر رؤبة:

يا هند ما أسرع ما تسعسعا   من بعد ما كان فتى سرعرعا[3]

و «اجتمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر»[4].

أما الكلمات الثلاثية التي وَقَعَ فيها القلب، وأوردها الزمخشري في تفسيره، فقد اخترتُ منها (فَسق)، في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝﴾[5] إذ ذكر لمادة (ف س ق) تقليبات ثلاثة والمعنى العام الذي يجمع هذه التقليبات والتطور الدلالي الذي حدث في المعنى العام، فهو يقول: «والفسوق: الخُروجُ من الشيء والانسلاخُ منه، يقال: فَسَقَتِ الرطبةُ عن قِشرها. وفي مقلوبهُ فَقَسَت البيضة إذا كسرتها، وأخرجت ما فيها، ومن مقلوبه أيضاً فقست الشيء إذا أخرجته عن يد مالكه مُغتصباً له عليه، ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ عن الحق»[6].

---

(١) التكوير/ ١٧.

(٢) الكشّاف ٤/ ٢٢٤.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٨/ ٧٠٢٩-٧٠٣٠، وقد ورد بيت رؤبة في ديوانه براوية:

يا هند ما أسرع ما تسعسعا   ولو رجا تبع الصبا تبعا

[مجموع أشعار العرب – ديوان رؤبة بن العجاج ٨٨]

(٤) معاني القرآن ٣/ ٢٤٢.

(٥) الحجرات/ ٦.

(٦) الكشّاف ٣/ ٥٦٠.

وذكر الخليل في معجمه (العين) خمس تقليبات لمادة (ف س ق) فقال في (سقف): «والسقيفة كل خشبة عريضة كاللوح، وحجر عريض يُستطلع أن يسقف به قترة أو غيرها»[1] وهذا خروج عن الخشبة العادية غير العريضة. وفي معنى (فسق) قال: «الفِسق الترك لأمر الله... وكذلك الميل على المعصية كما فسق إبليس عن أمر ربه»[2]، وهذا خروج عن أمر الله تعالى، وقال في (سَفَق): «ورجل سفيق الوجه أي قليل الحياء»[3] وهذا خروج عن المألوف في طبع الإنسان.. وفي (فَقَسَ): «إذا مات الميت يقال فقس فُقوساً، هكذا أخبرنيه أبو الدقيش»[4] وهذا خروج من الحياة، وغيره: «فقس الطائر بيضه فقساً أي أفسده»[5]، وفي (قَفَسَ) قال الخليل: «أمه قفساء أي رديئة لئيم، نَعْتاً للأمة خاصة»[6] وهذا خروج عن الصواب والاستقامة.

ولا يخفى التكلّفُ الموجوُد في هذه التأويلات، لإيجاد الصّلة المعنوية أو الرابط بين هذه التقليبات.

واكتفينا بـ (عَسْعَسَ) و (فَسَقَ) على سبيل التمثيل، وهناك مسائل أخرى[7] في القلب اللغوي ذكرها الزمخشري في تفسيره[8].

والمطلع على مسائل القلب اللغوي والواردة في الكشّاف، يجد أن الزمخشري لم يذكر من التقليبات الستة للكلمات الثلاثية إلا تقليبَيْن أو ثلاثاً، ولعل سبب ذلك - في رأيي - يعود إلى:

---

(١) العين ٥/ ٨١.

(٢) نفسه ٥/ ٨٢.

(٣) نفسه ٥/ ٨٢.

(٤) نفسه ٥/ ٨٣.

(٥) الصحاح ٣/ ٩٥٩.

(٦) العين ٥/ ٨٣.

(٧) ومنها ما ذكر في هامش رقم -١- ص ٩٨.

(٨) ينظر: جدول رقم -٥- في الملحق.

١- إيراد الابتعاد عن المبالغة والتكلّف في إيجاد الرابطة المعنوية التي اربط تقليبات المادة الواحدة.

٢- ذهابه مذهب أستاذه ابن جني الذي صرح باستحالة الاطراد والإحاطة في هذا الضرب من الاشتقاق[١].

ومن الجدير بالذكر أن الزمخشريَّ لا يعدّ البناء الذي يستوي مع مقلوبه في التصرف قلباً فقد قال معلقاً على قراءة الحسن (من الصّواقع) في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾[٢] أنها «ليس بقلب لأن كلا البناءين سواء في التصرف وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألا تراك تقول في صَقَعَه على رأسه وصَقَعَ الديكُ وخطيب مُصْقِع مجهر بخطبته، ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف»[٣] وقراءة الحسن (من الصواقع) إنما هي بلهجة قريش[٤].

وهذا مذهب ابن جني، الذي اشترط في القلب المكاني أن يكون أحد البناءين أوسع تَصَرّفاً من صاحبه[٥]، ولا نريد الخوض في موضوع (القلب المكاني) لصلته بعلم الصرف.

---

(١) كما أشرنا إلى ذلك في صفحة ٩٧.

(٢) البقرة / ١٩.

(٣) الكشّاف ١/ ٢١٧-٢١٨.

(٤) ينظر: اتحاف فضلاء البشر ٨٠، وتفسير البحر المحيط ١/ ٨٦، ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ١٩٤-١٩٥.

(٥) ينظر الخصائص ٢/ ٦٩-٧٠.

الفَصْلُ الرّابع

المَبحثُ الأوّل:

الأعجميّ وا

المَبحثُ الثاني:

اختلاف لغ

المَبحثُ الثالث

المذكّر والم

المَبحثُ الرّابع

المثنى اللّغو

الفَصْلُ الرّابع

ظَوَاهِر لُغَوِيَّة غَيْرُ دِلَالِيَّة

المَبْحَثُ الأَوّل:

الأعجميّ والمعرّب

المَبْحَثُ الثّاني:

اختِلاف لغاتِ العرَب

المَبْحَثُ الثّالِث

المذكّر والمؤنّث

المَبْحَثُ الرّابع

المثنّى اللّغويّ

المَبْحَثُ الأوّل:

الأعْجمي

وفي (الكشّاف)

المعرَّبُ:

لسانه وعرَّب أ

المعرَّب اصْطِلا

التّعريب

وَتغييره عنْ من

على منْهاجِها

المعرَّبَ بقوله:

«هو الكلمات

وذهَبَ أ

الأوّل:

ابن عبّاس وَمُج

---

(١) لسان العر

(٢) الكشّاف ٣

(٣) لسان العر

(٤) الكشّاف

(٥) لسان العر

(٦) المزهر ١/

(٧) الألفاظ الل

المَبْحَثُ الأوّل:

الأعْجَميّ وَالمُعَرَّب

الأعْجَميّ لُغَةً: الأعْجَم الذي لا يُفْصِح ولا يتبيَّنْ كَلامُه وإنْ كانَ عربيُّ النَّسَب[1]، وفي (الكشّاف): أنّ الأعْجَميّ «الذي لا يفْصِح ولا يُفْهَم كلامُه مِنْ أيِّ جنْسٍ كان»[2].

المعرَّبُ: لُغَةً: الإعراب والتَّعريب: مَعناهُما واحِدٌ، وهو الإبانة، يقال: أعْرَبَ عَنْه لسانه وعرَّب أيْ أبان وأفصَحَ[3].

المعرَّب اصْطِلاحاً:

التّعريب عنْد الزّمخشريّ، هو «أن يُجعل – أيْ الاسم الأعْجَميّ- عَرَبياً بالتّصرّف فيه وَتغييره عنْ منهاجه وإجرائِه على أوجُه الإعْراب»[4]، وعنْد غَيْرِه، هوَ: أنّ تَتَفوَّه بِه العَربُ على منْهاجِها، تقول عرَّبَتْه العرب، وأعْرَبَتْه أيضاً[5]، وَعرَّف السّيوطيّ (ت ٩١١) المعرَّبَ بقوله: «هوَ ما استعملَتْه العَرَب من الألفاظ المَوْضُوعَة لمعانٍ في غَيْرِ لُغَتِها»[6]، أو «هو الكَلِمات التّي نُقِلتْ من الأجنبيّة إلى العربيّة سواء وقع فيها تغيير أم لَمْ يَقَع...»[7]

وذهَبَ أهْلُ العربيّة في تضمُّن القُرآن كلامَ العجم، مذاهب ثلاثَة:

الأوّل: مَنْ قال بوجودِ الأعْجَميّ في القرآن مِن غَيْرِ لسانِ العَرَب، فقد «رُوِيَ عَن ابن عبّاس وَمُجاهد وعَكْرمة وغيرهم، في أحْرُفٍ كثيرَة – مِنْ القرآن- أنّه من غَيْرِ لِسان

---

(١) لسان العرب – عجم- ٢/ ٦٩٧.

(٢) الكشّاف ٣/ ٤٥٥.

(٣) لسان العرب -٢/ ٧٢٤، والصحاح –عرب- ١/ ١٧٩.

(٤) الكشّاف ١/ ٥٠٧.

(٥) لسان العرب -٢/ ٧٢٤.

(٦) المزهر ١/ ٢٦٨.

(٧) الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها ٦٥.

العَرَب، مثل (سِجِّيل) و (المِشْكاة) و (اليمّ)، و (الطور) و (أباريق) و (اسْتَبْرَق) وغير ذلك»[1].

الثاني: مَنْ زَعَمَ أنَّ القرآن ليْس فيه مِنْ غَيْرِ كَلام العَرب، فتأوّلوا قولَ الله – تعالى – في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾[2] وقولَه – عز وجلّ – ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[3] فهذا أبو عُبَيْدة معمَر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)، يقول: من زَعَمَ أن في القرآنَ لِساناً سَوى العربيّة، فَقَدْ أعظم على الله القَوْل[4].

الثالِث: التّوفيق بَيْنَ المذْهَبَيْنَ السّابقَيْنِ، وَهذا رأي أبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤ هـ)، فهو يقول بَعْد موازَنَتِه بيْنَ رَأي شَيْخِه ورَأي السَّلَف: «هؤلاء أعْلم بالتأويل مِن أبي عبيدة، ولكنهم ذهبوا إلى مذْهبٍ، وذهب هذا إلى غَيْرِهِ. وَكلاهُما مُصِيْبٌ إنْ شاء الله تَعالى، وَذلك أنّ هذه الحروف بغيرِ لِسان العرب من الأصْل، فقالِ أولئك على الأصْل، ثمَّ لَفَظَت بِهِ العرب بألسِنَتها، فعرّبَتْه فصار عَرَبياً بتعريبِها إيّاه، فَهي عربيّة في هذهِ الحال، أعجَمِيّة الأصْل»[5].

أما الزّمخشريّ، فقد ذهب مذهبَ أبي عُبيد القاسم بن سلاّم، في أنّ في القرآن ألفاظاً أعْجمَيّة الأصْل، عربيّة الحالِ، فيقول في لفظة (مَقَالِيْد): «والكلمةُ أصلُها فارسية، فإنْ قُلْتَ: مَا للكتاب العربي المبين وللفارسيّة تلك؟ قلتُ:: التّعريب أحالها عربيّة كما أخْرج الاستعمال المعمل من كونها مُهْمَلاً»[6]، ويتساءَل في تَعْريب لفظة (استبرق) قائلاً: فإن قلتُ كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي لفظ أعْجَميّ؟ قلتُ إذا عُرِّبَ خَرَج من أنْ يكون

---

(١) المعرب ٥٣، والمزهر ١/٢٦٨.
(٢) الزخرف :٣.
(٣) الشعراء : ١٩٥.
(٤) ينظر: المعرب ٥٢، المزهر ١/٢٦٦، الصاحبي ٥٩.
(٥) المعرّب ٣٥.
(٦) الكشّاف ٣/٤٠٦-٤٠٧.

أعْجَميّاً، لأن معنى التّعريب أن يُجْعَل عربّياً بالتّصرّف فيه وتغييره عن مناهجه وإجرائه على أوجهِ الإعراب»[1].

ويمكن تقسيم ما ورد في (الكشّاف) من الألفاظ العجمية والمعرّبة، حسب رأي الزّمخشريّ فيها، على ثلاثة أقسام:

القِسْم الأوّل: ألفاظ رجْعها إلى أصولها غَيْر العربيّة.

القِسْم الثّاني: ألفاظ رجْعها إلى أصولِ عَرَبيّة.

القِسْم الثّالِث: ألفاظ لمْ يعلّقْ عَلَيْها.

القِسْم الأوّل: ألفاظ رجْعَها إلى أصولها غَيْر العَرَبية:-

ولكثرة هذه الألفاظ اخترنا (ثلاثةً) مِّنْها، وهي (آدَمْ، إنْجِيْل، إقْليد)

١ - آدَمْ:

للّغويِّين في عربيّةِ كلمَةِ (آدَمْ) وأعجَميّتِها، قَوْلَان:

الأوّل: أنّها عَرَبيّة وَوَزنُها (أفْعَل) والأصْل فيها (آدَمْ)، وَيذهَب على ذلك سيبَوَيْه[2] (ت ١٨٠ هـ) والأصْمعيّ[3] (ت ٢١٦ هـ) والجوهريّ[4] (ت ٣٩٣ هـ) وابن الأثير[5] (ت ٦٠٦ هـ)، وعند العينيّ (ت ٨٥٥هـ)، أنّها «مِنَ الأوزان الّتي تَجِيء لاسم الفاعل مخالفة لِزنَة الفاعل»[6]وهيَ على ذلك عَرَبيّة الأصْل عِنْدَه، وذهب الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)

---

(١) الكشّاف ١/ ٥٠٧.

(٢) لم يرد لسيبويه نصّ صريح، في ذلك ولكن يُفهم من كلامع ذهابه هذا المذهب، [الكتاب ٣/ ٥٥٢].

(٣) ينظر: لسان العرب – آدم- ١/ ٣٥.

(٤) نفسه ١/ ٣٦.

(٥) نفسه ١/ ٣٥.

(٦) شرح المراح في التصريف ١١٧.

إلى القوْل بعَدم أعْجَميّة (آدَمْ) فقال: بأنّ أسْماء الأنبياء صَلَوات الله عليهم كلّها؟ أعْجَميّة إلا أربعة أسْماء منْ بينها (آدَمْ)[1].

الثاني: أنها أعْجَميّة، وَوَزنها (فاعَل)» وهو قوْل الزّمخشريّ الذي وَرَدَ في تعليقه على هذه اللفظة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[2] إذ يقول فيها: «واشتقاقهم آدم من الأدمة ومن أديم الأرض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدّرس وإبليس من الإبلاس، وما آدم إلا اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر»[3].

وما ترجّحُه من هذيْن القوْلين، هو ما انفرد به الزّمخشريّ من أعجميّة (آدم) لأنّ هذهِ الكلمَة إنّما هي (تسْمية)، أطلقها الله – سبحانَه وَتعالى– على أبي البشريّة، كما أطلق اسْم (إبراهيم) و (إسماعيل) و (إسرائيل) على الأنبياء وهذه كلّها أسماء أعجميّة باتّفاق العلماء. فإنْ قيلَ إنّ (إبراهيم) و (إسماعيل) و(إسرائيل) وأمثالها، ألفاظ لا أصْل لها في العربيّة لذا قيل بأعجميّتها، فأمّا (آدم) فيمكن اشتقاقه من (أديم الأرض) فهو (أفعَل) أو (فاعَل) على خِلاف زنة اسم الفاعل كما ذهب العينيّ.؟

فالجواب: هو: أو لَمْ يعد نحو (آزَرَ) و (عازَرَ) عجمياً مع وجود مادّتَيْ (أزَرَ) و(عَزَرَ) في اللّغة؟ قالَ تَعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝﴾[4]، وقال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾[5].

فَأمّا ذهابُ مَنْ قال بعربيّتها من أنّها مشتقّة من أديم الأرض فَهَذا اتفاق لا يُقياسُ عَليه. والقولُ فيه كالقَولِ في (يوُسُف) و (يَعْقُوب) و (إدْريس)[6].

---

(١) ينظر: المعرب ٦١.

(٢) البقرة / ٣١.

(٣) الكشّاف ١ / ٢٧٢.

(٤) طه / ٣١.

(٥) الفتح / ٩.

(٦) قيل أن يوسف سمي بذلك لشدة تأسف أبيه عليه، وعليه سمي (يعقوب) من العقب، وسمي (إدريس) لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل. [ينظر: الكشّاف ٢ / ٥١٣].

التَّوْراة والإنجيل:

قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عليكَ الكتابَ بالحقِ مصدّقاً لما بينَ يَدَيْهِ وأَنْزَلَ التوراةَ والإنجيلَ﴾[1] اختُلِفَ في كلمتَيْ (التوراة) و(الإنْجيل)، فقيل أنّهما عربيّتان في الأصْل من (وَرَى) و(نَجل)، وَقيل أنّهما أعجميّتان[2].

وقد ذَهَبَ الزّمخشريّ في تفسيره إلى أعجميَّتها. إذ قال عَنْهُما: «التَّوراة والإنْجيل اسْمان أعجَمِيّان، وتكلف اشتقاقها من الوَرَى والنّجل وَوَزْنُهما بتَفْعَلَة وَإفعيل، إنما يصح بعد كونهما عربيَّان. وقرأ الحَسَن: الأَنْجيل بفتح الهَمْزة وهو دليل عَلى العُجْمة لأنّ أفعيل – بفتح الهمزة – عَديمٌ في أوْزان العَرَب»[3].

ويلاحَظ أنّ الزّمخشريّ قد استدل بقراءة الحَسَن على أعْجَمِيّة (إنْجيل)[4]، على انه لَمْ يَسْتَدل على أعجمية (تَوْرَاة)، حتّى أنّ ما جَاء في كتابِهِ (الفائق) عَنْها يَخْلو من الإشارة إلى أعْجَميتها، قال في (الفائق): «التوراة أصله وَوْرَيه عِنْد البصريّين، فأُبْدِلَتِ الواو تاءً وقلبَت الياء ألفاً»[5].

وكان من المُمْكِن أنْ يَسْتَدِلَّ الزّمخشريّ على أعْجَميّة (تَوْرَاة) بعَدَم ورودِ زِنَتِها في العربيّة لأنّ وَزن (تَوْرَاة) هو (تَفْعَلَة)، وَهذا الوَزْن لَيْس لَهُ وجودٌ في العربيّة[6].

---

(١) آل عمران / ٣.

(٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٧٥، (الاشتقاق) لابن دريد ٥٣٣، لسان العرب – نجل – ٣/ ٥٨٩، –ورى– ٣–٩١٧، غرائب اللغة العربية ١١٢، التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية ١٨٩.

(٣) الكشاف ١/ ٤١٠، وينظر ٣/ ٣٥٢، ٤/ ٦٧.

(٤) وجاء أيضاً في (الفائق) كـ «الإنجيل: إفعيل من نجل، وقيل هو أعجمي، ويعضده قراءة الحسن بفتح الهمزة لأن هذه الزنة ليست في لسان العرب» [الفائق في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٦٢].

(٥) الفائق ٢/ ٢٣٦.

(٦) أما قول الزمخشري المذكور في (الفائق)، بأن أصل (توراة) «وَوْرَيه وقد قلبت الواو تاء والياء ألفاً كما ذهب البصريون» فهو قلباً على غير قياس في القواعد الصّرفي، فإذا كان قلب الواو تاء عند

٢ - إقْلِيدُ:

قال تَعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، جاء في (الكشّاف) أن (إقليد) أصلها فارسية والتعريب أحالها عربية،[٢] كما ذهَب إلى ذلك -قبلَه- ابن دريد[٣] (ت ٣٣١هـ)، وعزا أحد الباحثين أصْل هذه اللّفظة إلى أنّها مقتبسة من اليونانيّة، وأنّها مأخوذة من (Klis)، أمّا محقّق كتاب (المُعرَّب) للجواليقي، فقد ذكر بأنّها عربيّة خالصة مأخوذة من مادة (ق ل د) العربيّة، لأنّ الاشتقاق مِنها واضحٌ بيِّن[٤].

ووصف الدّكتور محمّد المبارك هذا القول، بأنّه «ظَنٌّ خاطئ يكشِفُ عَنْه البحث الاشتقاقيّ التّاريخي»[٥].

اجتماع واوين في بداية الكلمة سائغاً في العربية [ينظر: المنصف ١/ ٢٢٧] فإن قلب الياء ألفاً لا يصح إلا بعد كون ما قبلها مفتوحاً [ينظر التصريف الملوكي ٢٧] والياء في (ووريه) مكسور ما قبلها، فكيف جاز قلبها ألفاً؟

ويذكر أن كلاً من الفراء (ت٢٠٧ هـ) والمبّرد (ت ٢٨٥ هـ) ذهبا على وزن توراة هو (تفعلة) [ينظر لسان العرب – وري- ٣/ ٩١٧] أما أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) فقد ذهبا إلى أن وزنها (فَوعلة) [ينظر لسان العرب – ورى- ٣/ ٩١٧، المحتسب ١/ ١٥٢].

ويبدو من كلام الزمخشري السابق المذكور في (الكشّاف) أنه أختار القول الأول، على أن القول الثاني الذي يمثله أبو علي الفارسي في عدْ وزن (توراة) هو (فوعلة) أنسب للقواعد العربية. إذ أن القول الأول يضعنا أمام إشكال وهو : قلب الياء فاء وقد كسر ما قبلها خلافاً لقاعدة القلب – كما تقدم–.

كانت القاعدة توجب قلب الياء ألفاً إذا تحركت وانفتح ما قبلها قلبت ياء في (وَورية) ألفاً فأصبحت (وَوراة) ثم (توراة) بإبدال الواو تاء.

(١) الزمر ٦٣.

(٢) الكشّاف ٣/ ٤٠٦.

(٣) المعرب ٦٨-، ٣٦٢.

(٤) هامش الكتاب المعرّب ٣٦٢.

(٥) فقه اللغة وخصائص العربية ٨٣.

وقد أحسَن الدّكتور رمضان عبد التّواب في بيان التكّلف والغُلوّ في هذا الرّأي في كتابِهِ (فُصول في فقهِ اللغة العربيّة) بقوله: «وَراح الشّيخ شاكر يتعقّب الجواليقي في كتابهِ (المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجَم) وَيحاوِل أنْ يَعْثر على اشتقاق عربيّ للكلماتِ التي ذكرَها الجواليقيّ، في هذا الكتابِ، متعَسفاً الطّريق في محاولتِهِ تلك تارةً، وغافلاً عن سُنَن اللغات في الاقتراضِ من غيرها تارةً أخرى»[1]، وبعد ذكره أمثلةً على ذلك، قال: «ويطولُ بنا القَوْل، لَوْ ذهَبنا نعدُّ الأمثلة، التي تدلّ على تعصُّب الشيخ شاكر، ضدّ القَوْل بوقوع المُعَرَّب في القُرآن، وَهُوَ تعصُّب لا مبرّر له إذ الكلمة المعرّبة تصبح عربيّةً، باستعمال العرب إيّاها على مناهجهم في لغتهم، غير أن ما دعَا العلماء إلى القول بعدم أصالتها في العربية، أنّها تدلّ على شيء لَمْ يكن له وجودٌ في الأصل، في البيئة العربيّة، وإنّما هو وافِد مَع اسمه إلى تلك البيئة»[2].

ولم يكتفِ الزمخشري بإرجاع بعض الألفاظ إلى أصولها غير العربية، بل ردّ على بعض العلماء ردوداً لغويّةً، وعلى سبيل المثال: نجده يردّ على ابن السّكّيت (ت ٢٤٤ هـ) الذي زعم أنّ (إدريس) من الدّرس، و(إبليس) من الإبلاس، و(يعقوب) من العُقب، و(إسرائيل) من إسرال، بقوله: «قيل سُمِّيَ إدريس لكثرة دراسته كتابَ الله عزَّ وَجلَّ وكان اسمه أخنوع وهو غير صحيح لأنه لو كان إفعيلاً في الدّرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية فكان منصرفاً فامتناعه من الصرف دليل العُجْمة، وكذلك إبليس اعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون، ولا يعقوب من العقب ولا إسرائيل بإسرال كما زعَمَ ابنُ السّكّيت»[3] واجتماع العَلَميّة والعُجْمة يمنعان اللّفظ من الصّرف، كما أشار إلى ذلك النحويّون[4] ويُرْجِعُ الزّمخشريّ سَبَبَ هذه الهنات إلى عَدَمِ التّحقيق والتّدريب

(١) فصول في اللغة العربية ٣٦١.

(٢) الموضع نفسه.

(٣) الكشّاف ٢/ ٥١٣.

(٤) الكتاب ٣/ ٢٣٤، وأوضح المسالك ٣/ ١٤٧، وشرح ابن عقيل ٢/ ٣٣٢.

بالصّناعة، إذ يقول: «ومَنْ لَمْ يتحقق وَلَمْ يتَّدرب بالصِّناعة كثُرت مِنه أمثال هذه الهَنَات، وَيجوز أنْ يكون معنى إدريس في تلك اللغة قريباً من ذلك فحسبه الرّاوي مشتقاً من الدّرس»[1].

و(إدريس) من أسماء الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، لَمْ يُؤخذ مِنَ الدِراسة، لأنّه اسم أعجمي[2]، ولعل ما يؤيد قول الزمخشري عن (إدريس) أننا نجد أن (يوسف) قد سمي بذلك لشدة تأسف أبيه عليه، وقد سجل ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[3] ومع ذلك لا نجد (يُفْعَل) في العربية. وكذا (يونس) من المؤانسة وهو (يُفْعَل) أيضاً.

وفي الملحق جدول بالألفاظ الأخرى التي رجّعها الزّمخشريّ إلى أصولٍ أعْجَمية.[4]

القِسْم الثّاني: ألفاظ رجعّها إلى أصول عربيّة:

وَهَمَ الزمخشري في بعضِ الألفاظ، فعدّها عربيّة، وهذا الوهْم عامّ عنْد اللّغويين لاسّيما القدامى، يقول الدّكتور صبحي الصّالح: «ونلاحظ هنا شيئاً جديراً بالاهتمام... هنالك ألفاظ أعجميّة معرَّبة لا يلبث جامِعو القواميس أن يجعلوها من عَناصر اللّغة ومفرداتها نفسها»[5]

ونذكر من هذه الألفاظ، على سبيل المثال، ألفاظ (البُرج، سُرادق، القِنطار، اليمّ، المَسيح).

(١) الكشّاف ٢/ ٥١٣.

(٢) المعرّب ٦١، الكليات ١/ ٩١.

(٣) يوسف / ٨٤.

(٤) ينظر: جدول رقم -٦- في الملحق.

(٥) دراسات في فقه اللغة ٢٩٥.

١- البرج:

جاء في (الكشّاف) في الآية الكريمة: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾[1] في كلمة (البُرْج): «واشتقاق البُرْج من التبرّج لظهوره»[2]، وهي مقتبسة من اليونانية (pirghos)، وعدّ الدكتور إبراهيم أنيس كلمة (البُرْج) بمعنى الحِصْن، مستعارةً من اليونانية، فليست بلاد العربَ بيئة للحصون والأبراج، ومع هذا تشتمل العربية على هذه المادة (برج)، وتتّخذها في عدّة معان لا تَمُتُّ للحصون بصلة ما، فهي مادة عربيّة أصيلة فإذا تصادفَ أن كان بين اللغة العربية كلمة مشتقة من هذه المادة للتعبير عن صفة خاصة في العين، أو للتعبير عن الزينة والتزيّن وجاءت على صيغة (البرج)، ولد هذا في اللّغة ما يُسمّى بالمشترك اللّفظي[3].

٢- سُرادق:

يقول الزمخشري في كلمة (سُرداق) في قوله الله – عز وجل -: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[4]، السرادق: «هو الحُجْرة التي تكون حَوْل الفِسْطاط وبَيْتٌ مُسَرْدَق ذو سُرَداق»[5].

واشتقاق الزمخشري (السُّرادق) من، (سَرْدَق) دليلٌ على عدّها عربيّة، وليس في العربية مادة (سَرْدَق) حتى يُظنّ (السُّرادق) مُتشقاً مِنها، لأن (سُرادِق)، فارسي معرَّب، وأصْله بالفارسية (سَرادار)[6].

---

(١) الفرقان / ٦١.

(٢) الكشّاف ٣/ ٩٨.

(٣) في اللهجات العربية ١٩٦.

(٤) الكهف ٢٩.

(٥) الكشّاف ٢/ ٤٨٢.

(٦) ينظر: المعرب ٢٤٨، في التعريب ٣٨، غرائب اللغة العربة ٩٩.

ولقد أشار الدكتور صبحي الصالح إلى تصرّف أهل اللغة في الكلمة المعرّبة، إذ قال: «ولقد كان أهل اللغة يتصرّفون في الكلمة المعرّبة ويعملون مباضع الاشتقاق في بُنْيَتِها فقالوا في زنديق: زَنْدَقة وتَزَنْدَق، وفي سرْدَق: بَيْتٌ مُسَرْدَق»[1]

٣- القِنْطَار:

جاء في الكشّاف في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[2] أن القِنْطار: «المال العَظيم من قَنْطَرْتُ الشيءَ إذا رفعْتُه، ومنه القنطرَةُ لأنّها بناءٌ مُشَيّد»[3].

وفي (اللسان): أن «القنطار: معيار... وهو بلغة بربر ألف مثقال من ذهب أو فضة... وقال السّدّي: مائة رطل من ذهب أو فضّة، وهو بالسّريانية ملءُ مِسك ثور ذهباً أو فضة... أبو عبيدة القناطير واحدها قنطار، قال: ولا نجد العرب تعرف وزنه ولا واحدَ من لفظه، يقولون هو قدرُ وزْنِ مِسكِ ثورٍ ذهباً»[4] وقيل في (القِنْطار) أنّها معرَّبة عن الفارسيّة[5].

٤- اليمّ:

يقول الزّمخشريّ في اليّم في تفسير الآية الكريمة: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[6] أن (اليمّ) هو «البحر الذي لا يدرك قَعْرُه، وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيممّ لأنّ المستنفعين به يقصدونه»[7].

---

(١) دراسات في فقه اللغة ٣٢٢.
(٢) النساء/ ٢٠.
(٣) الكشّاف ١/ ٥١٤.
(٤) لسان العرب – قنطر – ٣/ ١٧٢.
(٥) دراسات في فقه اللغة ٣١٦.
(٦) الأعراف/ ١٣٦.
(٧) الكشّاف ٢/ ١٠٩.

أمّا الجواليقي، فيقو في (اليمّ) أنّه البحر بالسريانية[1]، ونقل صاحب (اللسان) عن بعضِهم أنّ أصله (يما)[2]. ولعلّها تدخل ضمن توافق اللّغات، والذي أشار الزّمخشريّ إليه في كتابه مرة واحدة، عندما ذكر قول من ذهبوا في لفظة (طالوت)، بأنها «اسم عبراني وافق عربياً كما وافق حنطاء حنطة وبشمالاها رخمانا رخيما بسم الله الرّحمن الرّحيم»[3].

ولا بدّ – هنا – من الإشارة إلى أن استقراء اللّغويين القدماء كان ناقصاً لأنهم لم يعتدوا بين العلاقة العربيّة واللّغات السّامية كما فعل المحدثون[4].

٥- المسيح:

اختلف العلماء في أصل كلمة (مَسيح) اختلافاً كبيراً، فمنهم من ذهب إلى أنّ أصلها سريانية من (مشيحا)، وعرّبَتْها العرب.[5]، ومنهم من قال بأنها عربيّة، واختلفوا أيضاً في مادتّها، أهي مأخوذة من مادة (سَيَح) أم (مَسَحَ)[6]، ومن الباحثين من قال بأنّها مأخوذة من الآراميّة[7]. أما الزّمخشريّ فقد ذكر بأن أصل كلمة (مسيح) هو (مشيحا) عندما فسّر قول الله – تبارك وتعالى – : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[8] فقال: «وأصله مَشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك»[9]، وقد ذكر هذا الرّأي أيضاً في كتابه (الفائق) إذْ قال: «وقيل هو بالعبرانية مَشِيْحا فعُرِّب»[10].

---

(١) المعرّب ٤٠٣، وينظر: اللغة العربية كائن حي ٩٥.

(٢) لسان العرب – يم – ٣/ ١٠١٦.

(٣) الكشّاف ١/ ٣٧٩.

(٤) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٣١١.

(٥) دراستين في اللغتين السريانية والعربية ٩٢.

(٦) لسان العرب – مسح – ٣/ ٤٨٠.

(٧) نشوء العربية ونموها واكتمالها ٦٩.

(٨) آل عمران ٤٥.

(٩) الكشّاف ١/ ٤٣٠.

(١٠) الفائق ٣/ ٣٦٦.

ولا يكتفي الزمخشري بذكر الرأي الأول في (الكشّاف) بل ذكر أيضاً بأنّ اشتقاق (المَسِيح) من (المسحِ)[1]، فلا يُعْرَف رأيه الواضح في أصل هذه اللفظة، كما فعل ذلك في ألفاظ أُخَرَ، وعلى سبيل المثال: ألفاظ (القِسْطَاس)[2] و (السِّجّيل)[3] و (الصَّلاة)[4] و (رَاعِنا)[5]. ويفهم من تعليق الزّمخشريّ على لفظة (سجّيل) في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[6] أنها عربيّة الأصْل، جاء في (الكشّاف) في هذه اللفظة: «قيل هي كلمة من سَنككَل بدليل قوله ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾[7] وقيل هي من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين، ويدلّ عليه قوله ﴿لنرسل عليهم حجارة﴾[8]، وقيل مما كتب الله أن يعذّب به من السِّجِل»[9]

وقد وَرَدَتْ آراء كثيرة في معنى (السِّجّيل) فقيل، «الطين المتحجّر يطبخ أو غيره، وقيل: هو الشّديد الصّلب من الحِجارة، وقيل: السِّجّيل: الكثير»[10]

القِسْم الثّالث: ألفاظ لَمْ يعلِّق عَلَيها:

لم يعلّق الزّمخشريّ في تفسيره على أصول طائفة من الألفاظ الأعجميّة المعرّبة الواردة في كتاب الله المجيد، فلم يبين أهي عربيّة الأصول أم أنها أعجميّة، بل اكتفى بذكر معاني

---

(١) الموضع نفسه.

(٢) الكشّاف ٢/ ٤٤٩، ٣/ ١٢٦.

(٣) الكشّاف ٢/ ٢٨٤.

(٤) الكشّاف ١/ ١٣٦، ٣/ ١٦.

(٥) الكشّاف ١/ ٣٠٢.

(٦) هود / ٨٢.

(٧) الذاريات / ٣٣.

(٨) الآية نفسها.

(٩) الكشّاف ٢/ ٢٨٤.

(١٠) تفسير الفتح القدير ٢/ ٥١٥.

هذه الألفاظ، فمثلاً: لفظة (التنّور)[1] فارسيّة معرّبة[2]، وقيل أنّها من السّريانيّة[3]. ولا يشير الزمخشري إلى أصْلها وإنما أوْرد بعض الآراء في معنى هذه اللّفظة ورجّح أحد هذه الآراء، فقال: «وعن ابْن عبّاس رضي الله عنه: التنّور وجْهُ الأرْض وعن قتادَة: أشْرف موضـع في الأرْض: أي أعلاه، وعن علي (رضي الله عنه): فار التنّور طلـعَ لفجـرْ. وقيـل معْناه: أن فورّان التنّور كان عنْدَ تنْوير الفَجْـر وقيـلَ: هُـوَ مَثـل قـولهم حَمي الـوطيس والقـولُ هـو الأول»[4]، فأبعد ترجيحه أنْ يكون فارَ (التنّور) من الأمثال.

وقد ذكر الزمخشري في كتاب (الفائق) أنّ (التنّور) ليس عَرَبيّاً صحيحاً، وإن لَمْ يذكر ذلك في (الكشّاف)، فقال: «قال أبو حاتم: أن التنّور لَيْس بعـربيٍّ صَـحيح ولم تَعْـرف لـه العرب اسماً غيره، فلذلك جاء في التّنزيل، لأنهـم خوطِبـوا بـما عرفـوا، وقـال أبـو الفـتح الهمذاني: كان الأصل فيه (نَوّر) فاجتمع وأوان وضمّة وتَشْديد، فاسْـتثقل ذلـك فقلبـوا عين الفعل إلى فائِه، فصار (وَنور) فأبدلوا من الواو كقولهم تولج في وولج»[5].

وفي لفظة (السندس)[6]، اكتفى الزّمخشريّ بقولهِ أنها تَعني «ما رَقّ منَ الدّيبَاج»[7] بينما لَمْ يخْتلِف أهْل اللُّغة في أنّ (سُنْدُس) مُعَرَّب[8]... وهناك ألفاظ أخر، لم يعلّق الزّمخشريّ على أصُولها وفي الملحق جدْول بطائفة من هذه الألفاظ[9].

---

(١) وردت في كتاب الله تعالى في موضع واحد وهو في الآية (٢٧) من سورة المؤمنون إذ قال تعالى: فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها...-

(٢) ينظر: المعرب ١٣٢، لسان العرب - تنر - ١/ ٣٣٣، من تراثنا اللغوي ما يسمى بالدخيل ٦٧.

(٣) ينظر: غرائب اللغة العربية ١١٨، ودراسات في اللغتين السريانية والعربية ٤٨.

(٤) الكشّاف ٣/ ٣٠.

(٥) الفائق ١/ ١٥٥.

(٦) وردت هذه اللفظة في قوله تعالى في سورة (الكهف) الآية ٣١: ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق-، وفي قوله تعالى في سورة (الدخان) الآي ٥٣: يلبسون من سندس واستبرق متقابلين- .

(٧) الكشّاف ٢/ ٤٨٣، ٣/ ٥٠٧.

(٨) ينظر المعرب ٢٢٥، التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية ١٦٣، لسان العرب - سندس- ٢/ ٢١٧.

(٩) ينظر: جدول رقم -٧- في الملحق.

المبحث الثاني:

اخْتِلافُ لُغَاتِ العَرَبِ (*)

اهتمّ علماء العربية القدماء بلغات القبائل العربيّة وألّفوا فيها الكتب في القرن الثاني وما بعده وأشاروا في روايات كثيرة في بطون كتبهم[1] إلى اختلاف هذه اللغات في الدّلالة أو الإبدال والقلب والحركات وغيرها من الظواهر اللّغوية المتعلّقة ببُنية المُفردات.

كما عني بها المحدثون أيضاً، فقد ألّفَ بعضُهُم كتباً خاصّة تناولَتْ هذه اللغات واختلافها وعناصرها وأهمّ ظواهرها اللّغوية[2]، إضافة على دراسة القراءات القرآنيّة التي تُعدّ مَصْدراً أصيلاً من مصادرِ دِراسة اللّغات أوِ اللّهجات العربيّة[3].

(*) وردت مصطلحات: (اللغة – اللهجة – اللّسان) في معجمات اللغة بمعنى واحد، ويتضح في استعمال القدماء لها أنها مصطلحات مترادفة، وقد شاع في كتبهم مصطلح (اللغة) أكثر من غيره، كما نجد ذلك عند الزمخشري في تفسيره، اما مصطلح (اللهجة) فقد أهمل في الاستعمال لديهم ولم يهتم باستعماله إلا في العصر الحاضر [ينظر: لسان العرب – لهج– ٣/ ٤٠١، تاج العروس – لهج– ٢/ ٩٥]

ومما يستأنس بمجيء مصطلح (اللسان) في معنى (اللغة)، وروده في القرآن الكريم بهذا المعنى في ثمانية مواضع وهي [إبراهيم / ٤، النحل/ ١٠٣، مريم / ٥٠، مريم / ٩٠، الشعراء / ١٩٥، الدّخان / ٥٨، الأحقاف / ١٢)، [ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٦٤٧، والكشّاف: ٢/ ٣٦٧، ٤٢٩، ٥١٣، ٥٢٧، ٣/ ١٢٨، ٥٠٨، ٥٢٠]

(١) ومن كتبهم: (لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، وكتاب (الخصائص) لابن جني١/ ٣٧٤-٣٩١، و (المخصص) لابن سيدة ١٣/ ٢٧٢، ١٤/ ٧-١١، ٢١٦ وما بعدها و(المزهر) للسيوطي ٢٥٥-٢٦٨.

(٢) ومن دراسات المحدثين في هذا المجال: (في اللهجات العربية) للدكتور إبراهيم انيس، و(دراسة اللهجات العربية القديمة) للدكتور داود سلوم، و(معجم لغات القبائل والأمصار) للدكتور: جميل سعيد والدكتور داود سلوم و (لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة) لغالب فاضل المطلبي.

(٣) ومن الدراسات الحديثة، التي تناولت القراءات القرآنية واللهجات: (القراءات واللهجات) لعبد الوهاب حمودة، و (اللهجات العربية في القراءات القرآنية) للدكتور عبده الراجحي، و (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث) للدكتور عبد الصبور شاهين.

وما يَعْنينا في هذا المَبْحث هو بيانُ جُهْد الزّمخشريّ في تناوله لِلُغاتِ العرب في تفسيره، فقد تطرّق الزّمخشريّ فيه على كثير من لغات القبائل العربيّة، مشيراً إلى مسائل وثيقةِ الصّلة باختلاف لغات العرب، ويمكن تقسيم هذه المسائل على قِسْمين:

أ- الاختلاف في الدّلالة.

ب- الاختلاف في بُنْيَة المُفْرَدات. وسَوف أذكر أمثلة لكل فيما يأتي:

أ- الاختلاف في الدّلالة:

ومن أمثلته ما ذكره صاحب (الكشّاف) بشان لفظة (اللّهو) في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾[1] بقوله: «وقيل اللّهو: الولد بلغة اليمن، وقيل المرأة»[2]

قال أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ): «اللهو: المرأة، بلغة اليمن»[3]، قال أهل التفسير: اللّهو في لغة حضرموت الولد، وقيل: اللهو: المرأة[4]. وأورد بعض المفسّرين المرأة والولد في تفسيرهم لكلمة (اللّهو) في هذه الآية، فقالوا: لو أردنا أن نتّخذ ما يتلهّى به من زوجة أو ولد لاتخذناه من عندنا من الحور العين أو الملائكة[5].

وقال الزّمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[6] ما نصّه: «أعْصِر خَمْراً» يعني عنباً تسمية للعنب بما يؤول إليه، وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود أعصر عِنباً»[7] فاستدلّ بقراءة ابن مسعود على

(١) الأنبياء / ١٧.

(٢) الكشّاف ٢/ ٥٦٥.

(٣) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم ١٩٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٠، لسان العرب – لها- ٣/ ٤٥٠، معجم لغات القبائل ١/ ٢٧٧.

(٥) ينظر: تفسير الجلالين ٢/ ٢٩، صفوة التفاسير ٢/ ٢٥٧.

(٦) يوسف / ٣٦.

(٧) الكشّاف ٢/ ٣١٩.

تسمية عمان العنب خمراً، وقد ذكر كثير من المفسّرين ما أورده الزّمخشري من أنّ الخمر هنا العنب[1].

ومن أمثلة الاختلاف في الدّلالة أيضاً قوله في لفظة (الرجاء) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾[2]، أنّها «في لغة تهامة الخوف وبه فُسّر قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝﴾[3]»[4]، وفي موضع آخر قال: لا يرجون: «لا يخافون على اللّغة التهامية»[5]، وقيل في (الرّجاء) أيضاً أنّه الخوف بلغة هذيل[6]، وذكر الزمخشري ذلك في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝﴾[7]، بقوله «وقيل يَرْجو يَخاف من قول الهذليّ صِفة عسّال:

«إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لسْعَهَا»[8]

وجاء في (الكشّاف) في لفظة (البعل) في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝﴾[9]، أنّه قيل منها «البَعْل الرب بلغة اليمن، يقال من بَعْل هذه الدار؟

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٩٠، تفسير الجلالين ١/ ١٩٤، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦، وينظر أيضاً: لغات القبائل الوادرة في القرآن الكريم ١٤٦، ومعجم لغات القبائل والأمصار ١/ ٩١.

(٢) الفرقان / ٢١.

(٣) نوح / ١٣.

(٤) الكشّاف ٣/ ٨٧.

(٥) نفسه ٣/ ٩٣.

(٦) ينظر: كتاب اللغات في القرآن ٣٤-٤٢، لسان العرب – رجا- ١/ ١١٣٨، اللهجات العربية الغربية القديمة (١)٤٤، معجم لغات القبائل الأمصار ١/ ١١٤.

(٧) العنكبوت ٥».

(٨) الكشّاف ٣/ ١٩٧.

(٩) الصافات ١٢٥».

أي من ربِّها»[1]. وقيل أنّها تعني: رَبّاً بلغة حمير[2]، وقيل في (البَعْل) أيضاً أنه الرّب بلغة أزد شنوءة[3]، ولم يشر الزمخشري إلى ذلك.

ومن الأمثلة الأخرى، ما نقله الزمخشري عن الكَلْبِيّ (ت١٤٦ هـ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾[4] إذ قال «وعن الكلبيّ: الكنود بلسان كنده العاصي، وبلسان بني مالك البخيل، وبلسان مضر وربيعه الكفور: يعني أنّه لنعمة ربِّه خصوصاً لشديد الكفران»[5].

ونقل الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) عن الكلبيّ أيضاً، زَعْمَ من قالَ إنَّ (الكنود) هو الكفور بالنعمة بلغة كندة وحضرموت[6]، وقيل فيه أيضاً: (الكنود) يعني الكفور للنّعم يذكر المصائب وينسى النِّعم، بلغة كنانة[7]، والسّيوطيّ (ت ٩١١ هـ)، أنّها بلغة هذيل أيضاً[8].

وذهب أكثر المفَّسرين بتفسير (كَنُود)، إلى ما يوافق لغة مضر وربيعة أو لغة كنانة من أنّها تعني الكفور بالنّعمة[9].

---

(١) الكشّاف ٣/ ٣٥٢.

(٢) ينظر: كتاب اللغات في القرآن ٤٠، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم ٢٣٧، و (حِمير) اسم لقبيلة من قبائل اليمن أو قبائل حضرموت. [ينظر: دراسة اللهجات العربية القديمة ٣٩].

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٩٠، تفسير الجلالين ٢/ ١٣٢، لغات القبائل الواذرة في القرآن الكريم ٢٣٧.

(٤) العاديات / ٦.

(٥) الكشّاف ٤/ ٢٧٨.

(٦) معاني القرآن ٣/ ٢٨٥.

(٧) ينظر الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٩٢، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم ٣٣١، معجم لغات القبائل (و)الأمصار ١/ ٢٦٦.

(٨) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٩٢.

(٩) ينظر: تفسير القرطبي ٨/ ٧٢٥٠، تفسير روح المعاني ١٥/ ٢٧٩، تفسير أبي السعود ٥/ ٢٨٠، تفسير ابن كثير (٧)/ ٣٥٥.

ومن الجدير بالذكر أنّ الزَّمخشري قد أرجع سَبَبَ تسمية المدينة بالقرية، وذِكْرُ الحوت بمعنى السّمكة إلى استعمال العَرَب لها، ولم ينسب ذلك على قبيلة بعينها، إذ علّق لفظتَيْ (القرية)و(الحيتان) في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾[1]، بقوله: «والعرب تسمّي المدينة قرية. وعن أبي عمرو بن العلاء: ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والعجّاج: أيْ رَجُلين من أهل المدن... والحيتان السّمك، وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السّمكة»[2]، ففي قول أبي عَمْرو الذي استدل به الزّمخشري - دليل على استعمال العرب القرية للمدينة. وجاء في (اللّسان):

«والقرية من المساكن والأبنية والضّياع وقد تطلق على المدن»[3]، وذكر صاحب (اللّسان) في (الحُوْت): أن «الحوتَ: السّمكة»[4].

وفي (الكشّاف) لغات أخرى لقبائل العرب، تختَلِفُ فيما بينها في الدّلالة وأشار إليها الزّمخشري بصريح العبارة[5].

ب - الاختلاف في بُنْيَة المُفْرَدات:

لقد أورد الزمخشري أمثلة لاختلاف اللّغات من حيث بُنْيَة المُفردات، وهذا الاختلاف لا يخلو أن يكون واحِداً من الأمور الآتية:

الاختلاف في حروف المفردات: ومن أمثلة هذا الاختلاف:

---

(١) الأعراف / ١٦٣.

(٢) الكشاف ٢/ ١٢٥.

(٣) لسان العرب - قرأ- ٣/ ٧٩.

(٤) نفسه - سمك- ٢/ ٢٠٥.

(٥) ينظر: جدول رقم -٨- في الملحق.

التاء والهاء:

جاء في (الكشّاف) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾[1] ما نصّه: «وقرأ أبيّ و زيدُ بن ثابت التابوه[2] وهي لغة الأنصار»[3].

وعدّ بعض العلماء قراءة التابوه بالهاء شاذّة[4].

الهمزة والواو:

علّق الزمخشري على لفظة (تَوْكيدِها) في قولِهِ تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾[5] بقوله«وأكدّ ووكدّ لغتان فصيحتان»[6]، فهل الحجاز يقولون: وكّدت توكيداً، وتميم تقول: أكّدت تأكيداً[7].

الحاء والعين:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾[8]، ذكر الزمخشري في تعليقه على (حتّى) أنّها تقرأ بالعين على لغة هذيل، وبيّن في رواية عن عُمَر (رضي الله عنه) أنّ القرآن أُنزل بلغةِ قريشٍ، فقال ما نصه: «وفي قراءة ابن مسعود حتّى حين وهي لغة هُذيل وعن عمر (رضي الله عنه) أنه سمع رجلاً يقرأ عتّى عِين، فكتب إليه: إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربياً وأنزَلَهُ بلغةِ قُريش فاقريء الناس بلغة

---

(١) البقرة/٢٤٨.
(٢) ينظر: معجم القراءات القرآنية ١/ ١٢٩.
(٣) الكشّاف ١/ ٣٨٠، ينظر: المحتسب ١/ ١٢٩.
(٤) ينظر: مختصر ابن خالويه ١٥، وإملاء ما منّ به الرحمن١/ ١٠٤، واللهجات العربية الغربية القديمة ١٧٠.
(٥) النحل / ٩١.
(٦) الكشّاف ٢/ ٤٢٥.
(٧) ينظر: المزهر ٢/ ٢٧٧.
(٨) يوسف / ٣٥.

قريش ولا تقرئهم بلغة هُذَيل والسّلام»[1] وإبدال الحاء عَيْناً يسمى الفحفحة، وهي خاصّة بلغة هذيل، باتّفاق جميع اللّغويّين[2].

قال أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ): «قوم يحوّلون حاء حَتّى، فيجعلونها عَيْناً؛ كقولك: قم حتى آتيك»[3]، وذكر أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) بأنّ في حتى «يقال حَتّى آتيك وعَتّى آتيك»[4].

والظاهر ممّا سبق، أنّ ظاهرة قلب الحاء عيناً لم تَكُنْ عامّة في كل (حاء) عند قبيلة هذيل، فَلَمْ تَقْلِب الحاء في (حِين) عَيْناً.

ونكتفي بعَرْض هذه الأمثلة الثّلاثة، وهناك ألفاظٌ أُخَر، ذكر فيها صاحبُ (الكشّاف) اختلاف لغات العَرب في إبدال حُروفها[5].

ومن الاختلاف في بنْية المُفْردات، الاختلاف في حَرَكات المُفْردات: ومن أمْثلته: الاختلاف في الضّمّة والفَتْحة:

جاء في (الكشّاف) في لفظة (القَرْح) في قولِهِ تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾[6] أنها «قرىء قَرح بفتْح القاف وضمّها وهما لغتان كالضَّعف والضُّعف، وقيل هو بالفتح الجراح وبالضمّ ألَمُهَا»[7].

فـ (القَرْح) بالفتح لغة الحجاز و(القُرْح) بالضم لغة تميم[8]. ولم يصرّح الزمخشري بإسم القبيلتين.

---

(١) الكشّاف ٢/ ٣١٩.

(٢) ينظر: الاقتراح ١٢٨، المزهر ١/ ٢٢٢، القراءات واللهجات ٢٧.

(٣) القلب والإبدال ٢٣.

(٤) (الإبدال) لأبي الطيب ١/ ٢٩٥.

(٥) ينظر: الكشف ١/ ٦٧-٦٨، ٤٠٣، ٤٤٦، ٣٠٨، ٥٨٤، ٣/ ٣٢٧.

(٦) آل عمران: ١٤٠.

(٧) الكشّاف ١/ ٤٦٥.

(٨) ينظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ١٤٢.

ومنه الاختلاف في الفَتْحة والكَسْرة:

ذكر الزمخشري في تعليقه على لفظة (بمُصَيْطَر) في قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝﴾[1]، أنها بمعنى «بمتسلط كقوله ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[2] وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطّاء على أنّ سيطر متعدّ عندهم وقولهم تسيطر يدلّ عليه»[3].

ومن الاختلاف في الفتحة والكسرة أيضاً، ما ذكره في لفظة (نَعَمْ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝﴾[4]، بقوله: «وقرىء نِعم بالكسر وهما لغتان»[5].

ومما يندرج ضمن الاختلاف في بُنْيَة المفردات، الاختلاف في إلحاق الضمائر، ومن أمثلته، ما أورده الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ﴾[6]، إذ ذكر بأن « (هَلُمَّ) يستوي فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث عند الحِجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع»[7]، وفي موضع آخر، علّق صاحب (الكشّاف) على لفظة (هَلُمَّ) في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[8]، بقوله: «هلمّ إلينا» أي قربوا أنفسكم إلينا، وهي لغة أهل الحجاز يسوون بيْن الواحد والجماعة، وأمّا تميم فيقولون هلُمَّ يا رَجُل، وهلموا يا رِجال»[9]، فأهلُ الحجاز يصرفون (هَلمّ) فيقولون للاثْنَيْن: (هلمّا)، وللجميع (هلمُّوا)،

---

(١) الغاشية / ٢٢.
(٢) ق / ٤٥.
(٣) الكشّاف ٤/ ٢٤٨.
(٤) الشعراء / ٤٢.
(٥) الكشّاف ٣/ ١١٢.
(٦) الأنعام «١٥٠».
(٧) الكشّاف ٣/ ٢٥٥.
(٨) الأحزاب «١٨».
(٩) الكشّاف ٣/ ٢٥٥.

وللمرأة: (هلمْنَ)، وللنساء: (هلمُمْنَ)(١). ومن أمثلته أيضاً ما ذكره بشأن لفظة (عَسَى) في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾(٢) إذْ قال: «عسيت وعسيتم لغة أهل الحجاز، أما بدو تميم فيقولون: عسى أنْ تفعل وعسى أنْ تفعلوا، ولا يلحقون الضمائر»(٣).

ومن الاختلاف في بنية المفردات أيضاً، الاختلاف في باب (فَعَلَ) و(أفْعَلَ)(٤).

ومنه قال تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾(٥)، جاء في (الكشّاف): «والسُّحْت لغة أهل الحِجاز والإسحْات لغة أهل نجد وبني تميم»(٦) وأشار العُكبَري (ت ٦١٦ هـ) أيضاً إلى اختلاف اللّغات في (يُسحِتَكُمْ) فقال: «قوله تعالى: «فيسحتكم» يُقرأ بفتح الياء وضمِّها، والماضي سَحَتَ وأسْحَتَ لغتان»(٧).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٦/ ٣١٦، الصحاح - هلمّ - ٥/ ٢٠٦٠، الخصائص ١/ ١٦٨، تفسير القرطبي ٦/ ٥٢٣٣، (م)عجم لغات القبائل والأمصار ١/ ٣١٥.

(٢) محمد ٢٢.

(٣) الكشّاف ٣/ ٥٣٦.

(٤) وقد أشار غير واحد من العلماء إلى أن ما جاء من (فَعَلَ) و (أفْعَلَ) باتفاق المعنى يعود إلى لغات العرب، ثم تداخل في كلامهم وقد سمّاه ابن جني بتركّب اللغات [ينظر: الخصائص ١/ ٣٧٤] ومن هؤلاء العلماء:

أ- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) إذ يقول: «لا يكون فَعَلْتُ وأفعلت المعنى فيهما واحد إلا أن اللغتين اختلفتا فيجيء به قوم على فعلت ويلحق قوم في الألف فيبنونه على أفعلت» [كتاب سيبويه ٤/ ٦١].

ب- ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) إذ يقول: «لا يكون فَعَلَ وأفْعَلَ بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة فمحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين» [المزهر ١/ ٢٨٤].

ج - يقول ابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ): «وقد يكون فعلت بمعنى واحد كأن كلّ واحد منهما لغة لقوم ثمّ تختلط فتستعمل اللغتان» [المخصص ١٤/ ١٧].

(٥) طه / ٦١.

(٦) الكشّاف ٢/ ٥٤٣.

(٧) إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ١٢٣، وينظر: (فَعضلْتُ وافعَلْتُ) لأبي حاتم السجستاني ١٣٢.

ومنه ما أورده الزمخشري بشأن لفظة (أَسْرَى) في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[1]، إذ قال: «وأسرى وسَرى لغتان»[2]، ولم يصرّح بأسماء القبائل التي تعود إليها هاتان اللغتان.

وَأَسْرى بالألف لغة الحجاز[3]، وسَرَيْتُ بالقومِ وأسريت أيْ سِرْتُ لَيْلاً، وهما بمعنًى واحدٍ[4].

ويندرج تحتَ الاختلاف في بنْية المفردات، الاختلاف في الهمز والتخفيف، ومن ذلك: قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦﴾[5] وجاء في (الكشّاف) في (أرْجِهِ) أنه «قرىء أرْجِئه وأرجهْ بالهَمْز والتّخفيف وهما لغتان، يقال أرجأتُه وأرجَيْته إذا أخرته»[6] و(آرجه) بغير هَمْز إنّما هيَ قراءة أهْل المَدينة وعاصم والكسائي، أمّا (أرْجِئْهُ) بهمزة ساكنة والهاء مضمومة فقراءة أبي عَمْرو[7].

---

(١) الإسراء / ١.

(٢) الكشّاف ٢/ ٤٣٦.

(٣) ينظر: ديوان الأدب – باب الزيارات من الأفعال، وبلسان العرب – سرا– ٢/ ١٤١.

(٤) ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٧٤، لسان العرب – سرا– ٢/ ١٤١.

(٥) الشعراء / ٣٦.

(٦) الكشّاف ٣/ ١١٢.

(٧) تفسير القرطبي ٣/ ٢٦٩٣.

المبحث الثالث:

المُذكَّر والمُؤنَّث

شغل موضوع (المذكّر والمؤنّث) اهتمام الكثير من اللّغويين والنحاة القُدماء، ولهم في ذلك إشارات منثورة في ثنايا تصانيفهم، وقد كتب فيه الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) والمبرّد (ت ٢٨٦ هـ) وابن الأنباري[1] (ت ٣٢٨ هـ) وغيرهم من اللّغويين والمفسّرين إضافة إلى بحوث ودراسات المحدثين[2]، التي تناولَتْ (المؤنّثات السّماعية) و (ما يستوي فيه المذكّر والمؤنّث).

إنّ أهميّة موضوع التّذكير والتّأنيث تكمن في أنّه يُعَدّ من الموضوعَات اللغوية التّاريخية التي تشير إلى أنّ العربيّة القديمة قد مرّت بمرحلةٍ تاريخيّةٍ لم يكن الجنسُ فيها واضِحاً تمام الوضوح بقِسمَيهِ المذكّر والمؤنّث[3].

وقد تطّرق الزمخشري في عِدّة مواضع من تفسيره إلى مسائل في التّذكير والتّأنيث، وسأعْرِض لطائفةٍ من هذه المَسائِل فيما يأتي:

---

(١) فللفراء كتاب سمّاه (المذكر والمؤنث) وقد نشره مصطفى الزّرقا في بيروت ١٣٤٥ هـ، وللمبرّد كتاب بالعنوان نفسه حقّقه وعلّق عليه الدكتور رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي وطبع بمطبعة دار الكتب في (الجمهورية العربية المتحدة) عام ١٩٧٠، ولابن الأنباري كتاب بالعنوان نفسه، حققه الدكتور طارق عبد عون الجنابي وقد طبع طبعتان: الأولى عام ١٩٨١ في بغداد، والثانية عام ١٩٨٦ في بيروت.

(٢) ومن تلك البحوث والدراسات: (التذكير والتأنيث في العربية بين العلامة والاستعمال) للدكتور محمد ضاري حمّادي، مجلة المجمع العلمي العراقي م ٣٣ ج ٢-٣، ١٩٨٢، ص ٢٩٧-٣٣٠، و(ظاهرة التأنيث في القرآن الكريم) لشذى محمد شهاب.

(٣) ينظر: مباحث لغوية ١٢٥.

١ - السلم والحرب:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[١]، جاء في (الكشّاف): «يجوز أن يكون كافة حالاً من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب قال:

السِّلْمُ تَأْخُذُ منها ما رَضِيتَ بِهِ ۝ والحَرْبُ يكفيك مِنْ أنفاسِها جَرَعُ»[٢]

وفي موضع آخر[٣]، يكرر ذلك بقوله: «والسلم تؤنّث تأنيث نقيضها وهي الحرب».

فـ(السِّلم) و(الحَرْب) يؤنَّثان ويُذكَّران[٤]، وعلَّل الزمخشري تأنيث (السّلم)، بأنهم حَمَلُوها على نقيضِها؛ بَيْنَما علَّل بعضُ المفسِّرين سبب تأنيثها حَمْلها على معنى المُسَالَمَة[٥]، وذكر بعضهم أنّها أُنِّثَتْ حَمْلاً على (الفَعْلَة)[٦].

وقد جاء (السِّلْم) مذكَّراً ومؤنَّثاً في كلام العرب ففي التّذكير، قال زُهير:

وَقَدْ قلتما إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ، وَاسِعاً ۝ بِمالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الأمْرِ نَسْلَمِ[٧]

وفي التّأنيث، البيت الذي ذكره الزمخشري، وفي الاستعمال القرآني، لَمْ تَرِدْ (السِّلم) إلا مؤنثةً، وأمّا نقيضُها (الحَرْب) فقد وَرَدَ في موضعٍ واحد مؤنثةً، وهو في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٨]، وقد استقرت على التأنيث في كلام العرب[٩].

---

(١) البقرة ٢٠٨.

(٢) الكشاف ١/ ٣٥٣.

(٣) الكشّاف ٢/ ١٦٦، في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ الأنفال ٦١.

(٤) ينظر: (المذكر والمؤنث) لابن النباري ١/ ٤٤٢، والمخصص ١٧/ ٢١، إصلاح المنطق ٣٦١، المزهر ٢/ ٢٢٤، تفسير القرطبي ١/ ٨٣١.

(٥) وهو الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) في تفسيره المسمى (مجمع البيان في تفسير القرآن) ٤/ ٥٥٥.

(٦) ينظر تفسير القرطبي ٤/ ٢٨٧٨.

(٧) شرح شعر زهير بن أبي سلمى ٢٤.

(٨) محمد / ٤.

(٩) ينظر: (في التذكير والتأنيث) للدكتور إبراهيم السامرائي ٢٨.

٢- الصراط والسبيل والطريق:

ذكر الزمخشري في تفسيره أنّ ألفاظ (الصِّراط والسَّبيل والطَّريق) تذكّر وتؤنّث، فقد جاءَ في قولِهِ تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾[1]، أن الصراط «يذكّر ويؤنّث كالطّريق والسّبيل»[2]، وفي (سَبِيل)، ذكر أن (تَسْتَبِيْنَ) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝﴾[3]، تقرأ «بالتاء والياء مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث»[4]، وذكر في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[5] بأنَّ «السَّبيل والطَّريق يذكَّران ويؤنَّثان»[6].

وما ذهب إليه الزمخشري، ذكره العلماء قبله، ومنهم أبو عبيدة[7] (ت ٢١٠هـ)، والأخفش[8] (ت ٢١٥هـ)، وابن السّكّيت[9] (٢٤٤هـ) والمبرّد[10] (ت ٢٨٥ هـ)، والزّجّاج (ت ٣١١هـ)[11] وابن الأنباري[12] (ت ٣٢٨هـ).

---

(١) الفاتحة / ٧.

(٢) الكشّاف ١/ ٦٨.

(٣) الأنعام «٥٥».

(٤) الكشّاف ٢/ ٢٣.

(٥) يوسف «١٠٨».

(٦) الكشّاف ٢/ ٣٤٦.

(٧) مجاز القرآن ١/ ٣١٩.

(٨) معاني القرآن، للأخفش ٦٠٥.

(٩) إصلاح المنطق ٣٦١.

(١٠) المذكر والمؤنث، للمبرد ١١٥.

(١١) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٥٤.

(١٢) (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري ١/ ٣٩٤، ١/ ٤٢١.

ولم يُشِرِ الزّمخشري في تفسيره إلى اختلاف لغات القبائل في تذكير وتأنيث ألفاظ (الصِّراط والسَّبيل والطَّريق)، لأنَّ التميميين يذكِّرون الصِّراط والسَّبيل والطَّريق، أمّا الحِجازيون فيؤنّثونها[1].

ونأخذُ من هذهِ الألفاظ الثّلاثة، لفظة (السّبيل) لنرى مواضع ورودها مذكّراً ومؤنّثاً في الاستعمال القرآنيّ، فقد وَرَدَت مؤنّثاً في ثلاثةِ مواضعَ، وهي في الآيات: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝﴾[2]، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[3]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾[4]، كما أنها وردتْ بالتذكير في ثلاثة مواضعَ أيضاً، وهي في الآيتين: ﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا الغي يتخذوه سبيلاً﴾[5]، ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ۝﴾[6].

وقد وردت لفظة (السَّبيل) بالتّذكير والتأنيث في سياق واحد في أربعة مواضع في كتاب الله المجيد، وهي في الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۝﴾[7]، ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ

---

(١) ينظر: (تفسير القرطبي) ٣/ ٢٤٣، (معاني القرآن) للأخفش ١٦٧، والصحاح ٤/ ١٤٩١، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ١٥٧.

(٢) الأنعام / ٥٥.

(٣) يوسف/ ١٠٨.

(٤) لقمان / ٦.

(٥) الأعراف / ٤٦.

(٦) الحجر / ٧٦.

(٧) الأعراف / ٤٥.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝﴾[1]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝﴾[2]

وَفيما سَبَق يتضح لنا أنّ جِنْسَ السَّبيل لم يستقر على حالة واحدة في كتاب الله- تعالى-، وهو كذلك في كلام العرب[3].

٣- الحية والنملة:

ذكر الزّمخشري في تفسيره أن اسم الجنس يقع على المذكّر والمؤنّث، فقال في تفسير قوله عزّوجلّ: ﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ۝﴾[4] ما نصّه «أما الحيّة فاسم جنس يقع على الذكّر والأنثى»[5]، وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾[6]، ذكر بـ«أن النّملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكّر والأنثى فيميز بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي»[7].

فمثلاً في كلمة (الحيّة)، لا تُطْرَح علامة التأنيث في المذكّر فلا يقال: (حيٌّ)، وارجع بعضهم سبب المنع في أنْ يقولوا في الجنس (حيٌّ) «إنّها في الأصل نعْتُ، و(حيّ)،تقع لكل مذكر من الحَيْوان، ثم تنفصل أجناسها بضروب فيقال لقبيل منها: (الأشْجَع)، ويقال لقبيل آخر (الأسْوَد)، ولقبيل آخر (الثُّعْبان)، وكذلك: (الأفاعِيّ) و (الأصَلّ) »[8]، وهذا يوضّح لنا شكليّة العلامة عدم مجيئها فاصِلاً بين المذكّر والمؤنّث.

---

(١) إبراهيم / ٣.

(٢) (١٠) النحل / ٩.

(٣) ينظر: (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري ١/ ٣٩٤-٣٩٥.

(٤) طه / ٢٠.

(٥) الكشّاف ٢/ ٥٤٣.

(٦) النمل / ١٨.

(٧) الكشّاف ٣/ ١٤٢.

(٨) المذكر والمؤنث، للمبرد ١١٨.

ونقل الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) أن الكسائي (ت ١٨٩هـ) لم يسمع من العرب طرْح الهاء في (الحيّة)[1]، بينما أشار الجوهري (ت ٤٠٠ هـ) إلى أنه روي عن العرب طرْحُ الهاء في (حيّة)[2]، ولعل سبب هذا الخلاف يَعُود على عدم استقراء مسألة التذكير والتأنيث في ظروفها التاريخيّة. وما قيل في (الحيّة) يقال كذلك في (النّملة) و (الحمامة) و (الشّاة)[3].

٤- الفردوس والنخل:

ذكر الزمخشري بأنّ هناكَ ألفاظاً تذكّر وتؤنّث على التأويل، منها ما قاله بصدد كلمة (الفِردَوْس) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝﴾[4]، إذ قال: «أنّث الفردَوْس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع لأصناف الثمر»[5].

وعن السجستاني (ت ٢٥٥هـ) أنه سمع أبا زيد (ت ٢١٥هـ) يذكر الفردوس، ويحتجّ بقولهم: الفِردَوْس الأعلى[6].

ومثله أيضاً ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝﴾[7]، إذ قال «وذكر صفة النّخل على اللّفظ ولو حَمَلَهَا على المَعْنى لأنّث كما قال: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝﴾[8] فالتّذكير لِمَنْ حَمَلَهَا على لَفْظ ليس، أمّا التّأنيث فعلى معَنى الجَماعة[9]، واستدل على ذلك الزمخشري بقولهِ تعالى: ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾»[10].

---

(١) ينظر: (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري ١/ ١٢٤.

(٢) لسان العرب – حيا- ١/ ٧٧٦.

(٣) ينظر: أدب الكاتب ٢٢٦، (المذكر والمؤنث) للمبرد ١١٨، (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري ١/ ١٢٤، المزهر ٢/ ٢٢٢.

(٤) المؤمنون / ١١.

(٥) الكشّاف ٣/ ٢٧.

(٦) ينظر: (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري ١/ ٤٥٦.

(٧) القمر / ٢٠.

(٨) الحاقة / ٧.

(٩) (المذكر والمؤنث) للمبرد ٨٦.

(١٠) الكشّاف ٤/ ٣٩.

٥- الصَّوَاع:

قال تعالى على لسانِ حاشية يوسُف عليهِ السَّلام ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾[1] جاء في (الكشّاف): «فإنْ قلْتَ: لِمَ ذكّر ضمير الصّواع مرات ثم أنثه؟ قلْتَ: قالوا أُرجِعَ بالتأنيث على السّقاية، أو أنّث الصّواع لأنه يذكّر ويؤنّث ولعلّ يوسُف كان يسّميه سِقَاية وعبيدُهُ صُواعاً فقد وَقَع فيما يتّصل بِهِ من الكلام سقاية وفيما يتّصل بِهِمْ منه صُواعاً»[2].

اختلف في تذكيرِ (الصّواع) وتأنيثها، فقال أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) بتذكيره، إذ يقول «وأنا لا أرى التذكير والتأنيث اجتمعا في اسم الصّواع، ولكنّهُما عِنْدي إنما اجتمعا لأنّه سمِّيَ باسْمَيْن احدهما مذكّر والآخر مؤنّث، فالمذكر الصّواع، والمؤنّث السّقاية»[3] وهذا ما ذكره الزمخشري ولكنّه احتمل في الصّواع وجْهَيْنِ آخرَيْن أحدهما: أنْ يكون (الصّواع) ممّا يذكّر ويؤنّث، وهذا ما ذهب إليه الكثير من العلماء كالفرّاء[4] (ت٢٠٧ هـ)، الأخفش[5] (ت ٢١٥ هـ) والزّجّاج[6] (ت ٣١١هـ) والثّاني: أن يوسُف عليهِ السَّلام كان يسمِّيه سِقَاية وعَبِيْدَهُ صُواعاً، فورد ما يتصل بِهِ الكلام بلَفْظ السّقاية وفيما يتّصِل بِهِمْ منه بلَفْظِ (الصُّواع).

ونكتفي بهذه الأمثلة وهناك أمثلة أخرى في (الكشّاف) ممّا يستوي فيها المذكّر والمؤنّث كألفاظ (الأهل)، و(أحَد)، و (الابْن) و (الجِذْن)، و (حِجْر)[7].

---

(١) يوسف / ٧٢.

(٢) الكشّاف ٢/ ٣٣٥.

(٣) المخصص ١٧/ ٢١، (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري ١/ ٤٣٩.

(٤) (معاني القرآن) للفرّاء ٢/ ٥١.

(٥) (معاني القرآن) للأخفش ٥٩٢.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٠٢.

(٧) ينظر الكشاف ١/ ٥٤٣، ٥٧٦، ٥٨٩، ٥٩٦، ٢/ ٥٤-٥٥.

وتجدر الإشارة إلى أن الزمخشري قد ذكر في موضع واحد من تفسيره، التذكير فقط، وهو في قوله تعالى من سورة البقرة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] فقال في (الشيء) إنه مذكر[2].

جاء في (لسان العرب):

«الشيءُ معلوم: قال سيبويه حين أراد أن يجعَل المذكّر أصلاً للمؤنّث، ألا ترى أنّ الشيء مذكّر، وهو يقع على كلّ ما أخبر عنه»[3]، وأشار المبّرد (ت ٢٨٥هـ) إلى أن كل ما لا يعرف أمذكّر أم مؤنّث؟ وهو خال من علامات التأنيث، فحقُّه أن يذكَّر[4].

(١) البقرة / ٢٠.

(٢) الكشاف ١/ ٢٢٢.

(٣) لسان العرب – شيئا– ٢/ ٣٨٨.

(٤) ينظر: (المذكر والمؤنث) للمبرد ١٠٨.

المبحث الرابع:

المثنى اللغوي

بدءاً أجد لزاماً عليّ بيان المثنّى عند النّحويين والمثنى عند اللّغويين، فالمثنّى عند النحويّ، «هو لفظ دالّ على اثنين، بزيادة في آخره، صالح للتّجريد، وَعَطْفِ مِثْلِه عَلَيْه»[1] وهذه الزيادة عي: ألف ونون في حالة الرفع وياء ونون في حالتَي النّصب والجرّ[2] أو ألف ونون مطلقاً رفعاً ونصباً وجراً عند بعض العَرَب[3].

أما المثنى اللّغوي، فهو: ما دلّ على اثنين مما تكلم به العرب أو ما نزل به القرآن الكريم أو رواه الحديث، وقد سمّاه بعض اللّغويّين بـ (المثَّنيات التي لا تُفرد)[4].

واشترط المثنى أن يكون الاثنان من جنسٍ واحد معنىً ولفظاً ولو تغليباً[5]، كالعُمَرَين لعمر وأبي بكر فهما من جنس بشري واحد، والأبيَضَيْن للماءِ واللّبن فهما يدخلان تحت جنسِ الأبيض[6].

ودرس ظاهرة المثنى اللغوي كثير من اللّغويين، فألّفوا فيه كتباً وخصصوا له أبواباً في كتبهم، ومنهم: ابن السّكّيت[7] (ت ٢٤٤هـ) وأبو جَعْفر محمّد بن حِبيب[8]

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل ١/ ٥٦.

(٢) نفسه ١/ ٥٨.

(٣) نفسه ١/ ٥٩.

(٤) (المثنيات التي لا تفرد) سليم عنحوري، مجلة المجمع العلميّ العربي بدمشق م ٢٤ قسم ١/ ٢٤.

(٥) ينظر: جنى الجنتين التي تميز في نوعي المثنيين ٦٥.

(٦) الموضع نفسه.

(٧) كتب فيه كتاباً سماه (المثنى والمكنى والمبنّى والمواخى والمشبه والنحل) ولم يصلنا، وإنما ذكر السيوطي ذلك في المزهر، وخصّص ابن السكيت للمثنى فصلاً في كتابه (إصلاح المنطق) وسمّاه باب (ما جاء مثنى مما هو لقب وليس باسم) [ينظر: المزهر ٢/ ١٧٣ وإصلاح المنطق ٤٠٤-٤٠٥].

(٨) كتب في كتابه سماه: (ما جاء اسمان أحدهما أشهر من صاحبه فسمّيا به) [ينظر: مجلة المجمع العلمي العراقي م ٤، ٣٧].

(ت ٣٥٠ هـ)، وأبو الطّيّب[1] (ت ٣٥١ هـ)، وابن سِيْده[2] (ت ٤٥٨ هـ)، والسّيوطي[3] (ت ٩١١هـ)، والمحبيّ[4] (ت ١١١١هـ).

وينقسم المثنى اللّغوي إلى قسمَيْن: تقليبيّ وتغليبيّ[5]، فالتّقليبيّ: هو ما إذا أفْرِد لَمْ يَفِد المعنى الموضوعَ له في التّثنية فلا يصحّ إطلاقه على أحد المسمّيَيْن، مثل: العَصْران للغَداة والعشيّ، أما التّغليبي: فهو ما إذا أفرد صَحَّ إطلاقُهُ على المتغلِّبِ من الاثنين، مِثل (القمران) للشَّمْسِ والقَمَر.

ولم تَرِد في القرآن الكريم من المثَنى اللغوي إلا مَسائل معدودة، ولهذا كانَتْ مسائل المثنى اللّغوي الواردة في (الكشّاف)، قليلةً، إذ لم تتجاوز كلماتٍ ست، وهي: (القَرْيتان، المُشْرقان، العُمران، القَمَران، الزّوجان، الثقلان)، ويمكن تقسيمها على قسمين:

١ - ما تَدْخل ضِمْنَ المثنّى التّقليبيّ:

جاء في (الكشّاف)، أن المقصود بالثقلين في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝﴾[6] هما: «الإنس والجن، سميا بذلك لأنهما ثُقْلا الأرض»[7]، فالثقلان إذا

---

(١) ألف في كتاباً سماه (المثنى)، حققه الدكتور عز الدين التنوحي ١٩٦٠ وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ودرس كتاب أبي الطيب عادل احمد زيدان في كتابه (أبو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة) [ينظر: أبو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة ١٣٩-١٤٢].

(٢) ينظر: كتاب المثنيات في (المخصص) ١٣/ ٢٢٣.

(٣) ينظر:: (ذكر الألفاظ التي وردت مثناة) و (ذكر المثنى على التغليب) و (ذكر المثنى الذي لا يعرف له واحد) في (ك)تابه المزهر [المزهر ٢/ ١٧٣-١٩١، ١٩٤-١٩٦].

(٤) ألف فيه كتاباً سمّاه (جنى الجنتين في تميز نوعي المثنيين) ونوعي المثنيين هما: المثنى الحقيقي والمثنى التغليبي.

(٥) ينظر: المثنيات التي لا تفد) سليم عنحوري ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤/ ٢٤، مقدمة (المثنى) لأبي الطيب.

(٦) الرحمن / ٣١.

(٧) الكشّاف ٤/ ٤٧.

أفرد لم يفدِ المعنى الموضوع له في التثنية، وأضاف (المحبيّ) (ت ١١١١هـ) تعليلين آخرين إلى تعليل الزمخشري لتسمية الإنس والجن بالثقلين، فقال: «سميا بذلك لثقلهما على الأرض ولرزانة رأيهم وقدرهم أو لأنّهما مُثقّلان بالتكليف أو لأنّهما مثقّلان بالذنوب»[١]، ومثله – أي مثل الثقلين – أيضاً: (القريتان)[٢]، و(الزوجان)[٣].

٢– ما تدخل ضمن المثنى التغليبي:

ذكر الزمخشري أنّ المراد بـ(المشرقين) في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[٤]، إذ قال: «يريد المَشرقَ والمغْرب فغلب كما قيل العُمَرَان والقَمَرَان»[٥]، وهذه إشارة صريحة من الزمخشري إلى المثنّى التّغليبي، وقد ذكر المحبيُّ ألفاظ (المشرقين، والعُمَرَين، والقَمَرَين) في المثنى الجاري على التغليب[٦]، فيقصد بـ(المشرِقين): المشرق والمغرب[٧]، وقيل: في (العُمَرَين) أنّهما أبو بكر وعمر.[٨]

---

(١) جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين ٣١.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف:٣١]، جاء في (الكشّاف) أن القريتين هما «مكة والطائف». [الكشّاف ٣/ ٤٨٥]

(٣) في قوله تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ [الذاريات / ٤٩]، جاء في (الكشّاف) والشمس والقمر والبرّ والبحر والموت والحياة، فعدد أشياء. وقال: كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له» [الكشّاف ٤/ ٢٠].

(٤) الزخرف / ٣٨.

(٥) الكشّاف ٣/ ٤٨٨–٤٨٩.

(٦) جنى الجنتين في تميز نوعي المثنيين ٨١، ١٢٥، ١٢٧.

(٧) ينظر: المزهر ٢/ ١٨٦، جنى الجنتين ٨١.

(٨) جنى الجنتين ١٢٥.

غلب عُمَر لأنه «إذا اجتمع جنْسان من نوع واحد، وكان أحدهما أخفّ في أفواه القائلين غلبوه، وسموا أبا بكر باسمه»[1]، وقال قتادة (ت ١١٧ هـ): أن (العُمَرَين) هما عُمر بن الخطاب عمر بن عبد العزيز[2]، وعن الفراء (٢٠٧ هـ) أنه قال أخبرني معاذ الهرّاء قال: لقد قيل سِيرةُ العُمَرَين قبل عُمر بن عبد العزيز»[3].

أمّا المقصود بـ (القَمَرْين) فهما (الشمس وَالقمر)، وهكذا فإن هذه الكلمات الثلاث إذا أُفرِدَتْ صحَّ إطلاقها على المتغلِّب من المسمَّيَيْن.



(١) المزهر ٢/ ١٩٠.
(٢) جنى الجنتين ٨١.
(٣) المزهر ٢/١٨٦.

الخاتمة

بعْد الوصول إلى نهاية المطاف، وعرض المادة اللّغوية التي احتوى عليها تفسير (الكشّاف)، يمكننا تلخيص النتائج التي توصل إليها البحث، وهي كالآتي:

١- تتمثل قيمة (الكشّاف) فيما وردت فيه من مادة لغوية، وتضمينهِ آراءَ الزّمخشري وغيرِهِ من علماء اللّغة، إذ يمكن عدّه مَصدَراً من مصادر اللغة – فضلاً عن كونه تفسيراً-.

٢- اعتمد الزّمخشري في جمع المادة اللّغوية في تفسيره على مصادر عديدة، من كتب وأعلام، وكان نقله من هذه المصادر نقلاً حرفياً ونقلاً بالمعنى.

٣- اعتمد الزمخشري على السّماع والقياس من الأدلة الصّناعية، أما السماع، فقد شمل استشهاده بالقرآن الكريم وقراءاته والحديث النبويّ وكلام العرب المتمثل في أمثال العرب وأقوالهم. وأما القياس فقد أجازه الزّمخشريّ واعتمد فيه على التعليل أكثر من غيره من أركان القياس، وقد تضمّن (الكشّاف) لـ(١٢) نوعاً من العِلل اللّغوية.

٤- رأيه في نشأة اللغة هو أن اللغة وحيٌ إلهي وتوقيف، وقد ذكرنا وَهْمَ من ذهب إلى أن رأي الزمخشريّ في نشأة اللّغة هو تواضُعٌ واصطلاح.

٥- عرض الزّمخشريّ للظواهر اللّغوية المتصلة بالدلالة، كمَعاني الألفاظ، وتطور الدّلالة، والتّرادف، والأضدّاد، وقد حَظِيَت معاني المفردات القرآنية باهتمام كبير لديه، وقد أثبتنا ميزاتٍ لتفسيراته للمفرَدَات القرآنية، وهي: بيان الاستعمال الأصلي للَفظة ومحاوَلَة إرجاعِها إلى المعاني الحسية الحقيقية، والاعتماد على النقيض في بيان معنى اللفظة، والاستشهاد على ذلك، ونقل آراء العلماء في معنى اللفظة، وتعليل الاستعمال القرآني للفظة، وتعدّد وجوه التفسير في اللفظة الواحدة، وذكر المعنى المعجميّ للفظة، والتفصيل في معنى اللّفظة، والإشارة إلى تغيّر المعنى بتغيير حرف التعدّي.

٦- اهتم الزّمخشريّ بأشكال التطوّر الدّلالي من تعميم وتخصيص وتغيير للدلالة، وأكثر إشاراته إلى هذا الجانب تضمّن تعميم الدلالة، وقد اهتم بالألفاظ التي تغيرت دلالتها بمجيء الدين الإسلامي الحنيف.

٧- كان موقفه من ظاهِرَتَيْ (الترادف) و(الأضداد) موقفاً معتدلاً، ففي الأولى: أقر بترادف طائفة من الألفاظ، وردّ طائفة أخرى بإيجاد الفروق اللغوية بينها، أمّا في الثانية فقد صَرّح بوجودها، وقد ذَكَرَ لِطائفة من الألفاظ، المعنيَين المتضادَين وترك ألفاظاً أُخرَ دون التعليق عليها.

٨- عرض الزّمخشريّ للظواهر اللغوية المتّصلة بالجانب الصوتيّ، كمخارج الأصوات وصفاتها، والإبدال اللّغوي، والقَلْبِ اللّغوي.

٩- وافق الزمخشريُّ الأصمعي وابنَ السكيتِ في عَدم قُرْبِ المَخْرَجِ شَرطاً في الإبدال اللغوي.

١٠- اهتم الزمخشري بالقلْب اللّغوي وقد أورد طائفةً من الألفاظ الثلاثية التي وقع فيها القلب، ولم يذكر فيما فوق الثلاثي إلا لفظة (عَسْعَسَ) الرباعية المجرّدة، في قوله تعالى: ﴿والليل إذا عسعس﴾ [التكوير:١٧].

١١- لم يذكر الزمخشري التقليبات الستة للكلمات الثلاثية التي وقع فيها القلْبُ اللّغوي كالخليل وابن دريد، وإنما ذكر تقليبين أو ثلاثة، وأرجعنا سبَبَ ذلك إلى:

أ- إيرادِهِ الابتعادَ عن المبالغَة والتكلّف في إيجاد الرابطة المعنوية التي تربط تقليبات المادة الواحدة.

ب- ذهابه مذهب إبن جني الذي صرّح باستحالة الاطّراد والإحاطة في هذا الضّرب من الاشتقاق.

١٢- ذهب الزمخشري مَذهب أبي عبيد القاسم بن سلاّم، في وجود ألفاظ أعجمية ومعرّبة في كتاب الله المجيد، فقال بأنها أعجمية الأصل وعربية الحال، وقد عزا بعض

الألفاظِ إلى أصولها غير العربية وأرجع بعضاً آخر إلى أصول عربية، ولم يعلّق على طائفة ثالثة منها.

١٣- في مبحث (الأعجمي والمعرّب)، انفرد الزمخشري من بيان علماء اللغة، بالقول بأعجمية كلمة (آدَمْ) و وزنها (فاعَل)، وقد رجّحنا رأيه على رأي القائلين بعربيتها وأن وزنها (أفعَل).

وفي كلمتي (التوراة والإنجيل) في المبحث نفسه، استدل الزمخشري على أعجمية (إنْجيل) بقراءة الحسن (أَنجيل) على وزن (أفعيل)، وأن هذا الوزن عديم في العربية، بينما لم يستدلّ على أعجمية (توراة) بعدم ورود زنتها في العربية، لأن وزن (تَوْرَاة) هو (تَفْعَلَة)، وهذا الوزن ليس له وجود في العربية أيضاً.

١٤- في مبحث (اختلاف لغات العرب) ، ذكرنا إشارات الزمخشري إلى اختلاف لغات العرب، وكانت منقسمة على نوعين: الاختلاف في الدلالة والاختلاف في بُنْيَةِ المفردات، وقد كانت إشاراته إلى النوع الأول أكثر من النوع الثاني، الذي شمل الاختلاف في حروف المفردات وحركاتها، والاختلاف في باب (فَعَلَ وأَفْعَلَ)، والاختلاف في الهمز والتخفيف.

١٥- اهتم الزّمخشريّ بالمثّنى اللّغوي، مع قلة وروده في القرآن الكريم، وانقسم على نوعين: تقليبيّ وتغليبيّ، وقد ذكرنا الفرقَ بين المثنّيين اللّغويّ والنّحويّ.

وختاماً: ربنا لا عِلْمَ لنا إلا ما علّمتنا ... فلك الحمد على ما أنعَمْت ... وصلى الله على حبيبنا (محمد).. وعلى آله وصحبه أجمعين....

والحمد لله رب العالمين

ملحق خاص

بالجداول الواردة مرتبة

حسب مواضع ورودها

اللفظة
عذاب
نسبح - تسبيح
أتى - جاء
النِحْلَة
ألقى
أقذفيه - القذف
متبرجات - تبرج
الريح المصفرة

(١) والحَرور

٦٠٠/١

جدول – رقم (١)

الألفاظ التي أقر الزمخشري بترادفها في (الكشاف).

اللفظة	السورة والآية	مرادفاتها	مواضع ورودها في (الكشّاف)	ما ذكره الزمخشري.
عذاب	البقرة/ ٧	النكال	١/ ١٦٤	(والعذاب مثل النكال بناء ومعنى).
نسبح – تسبيح	البقرة/ ٣٠	التقديس	١/ ٢٧١	(والتسبيح تبعيد الله من السوء. وكذا تقديسه)
أتى – جاء	آل عمران/ ١٨٨	أتى – جاء– فعل	١/ ٤٨٧	(وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل)
	النساء/ ٤	غَشِيَ – رَهِقَ	١/ ٥١١	(يقال أتى الفاحشة وجاء ها وغشها ورهقها بمعنى).
	الفرقان/ ٤		٣/ ٨١	(وجاء وأتى يستعملان بمعنى فعل)
النِحْلَة	النساء/ ٤	الإيتاء- الإعطاء	١/ ٤٩٨ ٣/ ٤٥٣	(النحلة والإيتاء بمعنى الاعطاء) (ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار)
ألقى	النحل/ ١٥	جعل	٢/ ٤٠٤	(وجعل فيها أنهاراً لأن ألقى فيه بمعنى جعل)
أقذفيه- القذف	طه/ ٣٩	الرمي	٢/ ٥٣٦	(القذف مستعمل في معنى الإلقاء والوضع ....وكذلك الرمي)
متبرجات – تبرج	النور/ ٦٠	بدا – برز- ظهر- تبلج	٣/ ٧٦	(وبدا وبرز بمعنى ظهر أخوات تبرج وتبلج كذلك)
الريح المصفرة	الروم/ ٥١	حرور- حرجف[1]	٣/ ٢٢٦	(والريح التي أصفرّ لها النبات يجوز أن تكون حروراً وحرجفاً فكلتاهما مما يصوح لها النبات ويصبح هشيماً).

---

(١) والحَرور: للريح الحارة، والحَرْجَفَ: للريح الباردة [ينظر لسان العرب – حرر ١/ ٦٠٣، حرجف ١/ ٦٠٠، ونظام الغريب ١٩٦.

الكأس	الصافات/ ٤٥	الخمر	٣/ ٣٤٠	(ويقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأساً)
مسحاً – مسح	ص/ ٣٣	قطع – كشف	٣/ ٣٧٤	(أي يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها يعني يقطعها.. أراد بالكفّ القطع) .
تطاؤهم- الوطء	الفتح/ ٢٥	الدرس	٣/ ٥٤٨	(الوطء والدرس عبارة عن الإيقاع والإبادة)
الأخدود- الخد	البروج/ ٤	الشّق- الخق	٤/ ٢٣٧	(الخد في الأرض وهو الشّق، ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق)
فجرت – فجور	الإنفطار/ ٣	البغي	٤/ ٢٢٧	(البغي والفجور أخوان)

جدول رقم (٢)

الألفاظ التي ذكر الزمخشري لها معنَيَيْنِ متعاكِسَيْنِ دونَ التصريح بتضادّها، في (الكشّاف)

الألفاظ	السورة والآية	مواضع ورودها في (الكشّاف)	المعنيان المتعاكسان
الوعد	البقرة/ ٢٦٨	١/ ٣٦٦	يستعمل في الخير والشر
شرى	النساء/ ٧٤	١/ ٥٤٢	البيع – الشراء[1]
هجد	الإسراء/ ٧٩	٢/ ٤٦٢	النائم – الساهر
الذكر	الأنبياء/ ٣٦	٢/ ٥٧٢	يكون بخير وبخلافه
بلاء	الدخان/ ٥	٣/ ٥٠٤	يكون نعمة ونقمة
الوراء	الجاثية/ ١٠ الإنسان/ ٢٧	٣/ ٥١٠ ٤/ ٤٠٠	خلف – قدام
الظّنّ	الجن/ ١٢ المطففين/ ٤ الجاثية/ ٣٢	٤/ ١٦٩ ٤/ ٢٣١ ٣/ ٥١٤	الشكل - اليقين
المسجور	التكوير/ ٦	٤/ ٢٢٢	الفارغ - الملآن
عسعس	التكوير/ ١٧	٤/ ٢٢٤	أقبل - أدبر

(١) صرح الزمخشري بتضاد هذه اللفظة في كتابه (الفائق) إذ قال: (شَرَى واشترى وباع من الأضداد) [الفائق في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٣٨].

جدول رقم – (٣)

مسائل الإبدال اللغوي التي وقع الإبدال فيها بين لفظتَيْن في حرف واحد في تفسير (الكشّاف).

الألفاظ التي حدث فيها الإبدال	السورة والآية	مواضع ورودها في (الكشّاف)	صوتا المبدل والمبدل منه	المَخْرَج[1]	الصفة[2]
خَتَمَ – كَتَمَ	البقرة/ ٧	١/ ١٥٥	خ	أدنى الحلق	مهموسة رخوة
التشاكس – التشاخس	الزمر/ ٢٩	٣/ ٣٩٧	ك	اللهاة	مهموسة شديدة
رَقَدَ – رَمَلَ	البقرة/ ١٧	١/ ١٩٧	د ل	ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ذلق اللسان	مجهورة شديدة مجهورة متوسطة
الفوم – الثوم	البقرة/ ٦١	١/ ٢٨٤-٢٨٥	ف ث	باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا	مهموسة رخوة
العياذ – اللياذ	البقرة/ ٦٧	١/ ٢٨٧	ع	أوسط الحلق	مجهورة متوسطة
عذت – لذت	غافر/ ٢٧	٣/ ٤٢٣	ل	ذلق اللسان	مجهورة متوسطة
القامي – القاسح	المائدة/ ١٣	١/ ٦٠٠	ي ح	وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى أوسط الحلق	مجهورة رخوة
يجمحون_ يجمزون	التوبة/ ٥٧	٢/ ١٩٦	ج ز	أوسط الحلق ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا	مجهورة رخوة

---

(١) اعتمدنا في بيان مخارج الأصوات على كتاب (العين) ، للخليل ط٢/ إيران؛ ١٤٠٩هـ، ١/ ٥١، ٥٢، ٥٨، وكتاب (الكتاب) ، لسيبويه ط٣/ بيروت؛ ١٩٨٨، ص ٤/ ٤٣٣.

(٢) ينظر : دراسات في فقه اللغة، ط ١٠/ بيروت ؛ ١٩٨٣، ص ٢٨١.

أحمَ - أزمع	يونس/ ٧١	٢/ ٢٤٥	ج ز	وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا	مجهورة شديدة مجهورة رخوة
خبتَ - خبثَ	هود/ ٢٣	٢/ ٢٦٤	ت ث	ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا	مجهورة رخوة
حتى - عتى	يوسف/ ٣٥		ح ع	أوسط الحلق	مجهورة رخوة
نسل - عسل	الأنبياء/ ٩٦	٢/ ٢٨٥	ن ع	ذلق اللسان أوسط الحلق	مجهورة متوسطة
اجفا - أجفل	الرعد/ ١٧	٢/ ٣٥٦	أ ل	أقصى الحلق ذلق اللسان	مجهورة شديدة مجهورة متوسطة
القبض - القبص	طه/ ٩٦	٢/ ٥٥١	ض ص	بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس. ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا.	مجهورة رخوة
اللفح - النفح	المؤمنون/ ١٠٤	٣/ ٤٣	ل ن	ذلق اللسان.	مجهورة متوسطة
الفرق - الفلق[1]	الشعراء/ ٦٣	٣/ ١١٥	ر	ذلق اللسان	مجهورة متوسطة
فلق - فرق	الفلق/ ١	٤/ ٣٠٠	ق	أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى	مجهورة شديدة
الوزر - الوقر	فاطر/ ١٨	٣/ ٣٠٥	ز ق	ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى	مجهورة رخوة مجهورة شديدة

(١) وقيل بأن (فرق) بالراء تميمية، وعند غيرهم (فلق) باللام (لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ١١٢).

التناوُش – التناوُل	سبأ/ ٥٢	٢٩٦/٣	ش ل	وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ذلق اللسان	مهموسة رخوة مجهورة متوسطة
بعثر – بحثر	الانفطار/ ٤	٢٢٧/٤	ع	أوسط الحلق	مجهورة متوسطة
الضبح – الضبع	العاديات/ ١	٢٧٨/٤	ح		مجهورة رخوة
أعطيناك – أنطيناك[1]	الكوثر/ ١	٢٩٠/٤	ط ن	مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ذلق اللسان	مجهورة شديدة مجهورة متوسطة

(١) جاء في الكشّاف: (في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا أنطيناك ، بالنون، وفي حديثه صلى الله عليه وسلم [وأنطوا الثَّبجَة] [الكشّاف ٤/ ٢٩٠] ، وإبدال العين نوناً ظاهرة لهجيّة تعرف بـ(الإستنطاء)، لبعض القبائل . (ينظر : قراءة ابن مُحيصِنْ – دراسة نحوية ولغوية ٨٤-٨٨، ولغة هذيل ٩٩)

جدول – رقم (٤)

مسائل الإبدال اللغوي التي وقع الإبدال فيها بين ألفاظ كثيرة بتغيير حرف واحد، في تفسير (الكشّاف)

الألفاظ التي حدث فيها الإبدال	السورة والآية	مواضعها في (الكشّاف)	تسلسل الحرف المُبْدَل	الحروف المشتركة بين الألفاظ	الحروف المبْدَلة	المعنى العام الذي يجمع الألفاظ
فلح. فلج. فلق. فلذ. فلى	البقرة/ ٥	١/ ١٤٩	الأخير	الفاء واللام	ح.ج.ق.ذ.ى	الشق والفتح
حرض. حرك. حرش. حرب	الأنفال/ ٦٥	٢/ ١٦٧	الأخير	الحاء والراء	ض.ك.ش.ب	التهيّج والحثّ
النهر. النهي. النهم	الإسراء/ ٢٣	٢/ ٤٤٤	الأخير	النون والهاء	ر.ي.م	الزّجر
الضير. الضرر. الضور	الشعراء/ ٥٠	٣/ ١١٣	الوسط	الضاد والراء	ي.ر.و	الضَّرَر
التوب. الثوب. الأوب	غافر/ ٣	٣/ ٤١٢	الأول	الواو والباء	ت.ث.أ	الرجوع
الذرء. الذر. الذرو	الشورى/ ١	٣/ ٤٦٢	الأخير	الذال والراء	أ.ر.و	الكثرة
حبط. حبض. حبر. حبج	الحجرات/ ٢	٣/ ٥٥٧	الأخير	الحاء والباء	ط.ض.ر.ج	الهلاك
القاب. القيب. القاد. القيد. القبس	النجم/ ٩	٤/ ٢٨	الوسط الأخير	القاف والباء القاف والباء	أ.ي ب.د.س	المقدار
خفت. خفى. خفد	القلم/ ٢٣	٤/ ١٤٤	الأخير	الخاء والفاء	ت.ا.د	الكتم

جدول رقم (٥)

مسائل القلب اللغوي ، الواردة في تفسير (الكشّاف).

اللفظة التي حدث فيها القلب اللغو	أصلها	أوجه التقليبات الواردة فيها	السورة والآية	مواضع ورودها في (الكشّاف)	الرابطة المعنوية التي تربط المقلوبات
الحمد	ثلاثي	ح م د. م د ح	الفاتحة(٢)	١/ ٤٦	الثناء
بعوضه	ثلاثي	ب ع ض. ب ض ع. ع ب ض	البقرة (٢٦)	١/ ٢٦٤-٢٦٥	القطع
لتلفتنا	ثلاثي	ل ف ت. ف ت ل	يونس (٧٨)	٢/ ٢٤٧	الصرف
رئيا	ثلاثي	رأى. راء	مريم (٧٤)	٢/ ٥٢١	المنظر
نادمين	ثلاثي	ن د م. د م ن. م د ن.	الحجرات(٦)	٣/ ٥٦٠	الدوام
تنابزوا	ثلاثي	ن ب ز. ن ز ب	الحجرات(١١)	٣/ ٥٦٦	التلقيب
المؤودة	ثلاثي	وأد. أود	التكوير(٨)	٤/ ٢٢٢	الثقل

جدول – رقم (٦)

الألفاظ التي رجَعها الزمخشري إلى أصول أعجمية في (الكشاف)

الألفاظ	السورة والآية	مواضع ورودها في الكشّاف	الشاهد في كلام الزمخشري
مِصْر	البقرة(٦١)	١/ ٢٨٥	(وقيل هو مصرائيم فعرب)
مريم	البقرة(٨٧)	١/ ٢٩٤	(بمعنى الخاتم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال)
جبريل	البقرة(٩٧)	١/ ٢٩٩	(ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمية)
طالوت جالوت داود	البقرة (٢٤٧) البقرة (٢٤٩) البقرة (٢٥٠)	١/ ٣٧٩ ١/ ٣٧٩ ١/ ٣٧٩	(طالوت اسم أعجمي كجالوت وداود. وإنما امتنع من الصرف لتعريفه وعجميته)
يحيى	آل عمران (٣٩)	١/ ٤٢٨	(ويحيى إن كان أعجمياً وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمية)
عيسى	آل عمران (٤٥)	١/ ٤٣٠	(عيسى معرب من أيشوع)
آزر	الأنعام(٧٤)	٢/ ٢٩	(وفي كتب التواريخ أن أسمه بالسريانية تارح، والأقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالح وفاعل وما أشبهها من أسمائهم.)
عزير	التوبة (٣٠)	٢/ ١٨٥	وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجميته وتعريفه امتنع صرفه)
يوسف	يوسف (٤)	٢/ ٣٠١	ويوسف اسم عبراني ، وقيل عربي، وليس بصحيح)
قارون هارون	القصص(٧٦) القصص(٣٤)	٣/ ١٩٠ ٣/ ١٩٠	(قارون اسم أعجمي مثل هارون، ولم ينصرف للعجمة والتعريف)
استبرق	الدخان(٥٣) الإنسان(٢١)	٣/ ٥٠٧ ٤/ ١٩٩	(الاستبرق ما غلظ من الديباج وهو تعريب استبر) (معرب مشهور تعريبه وإن أصله (استبره))

جدول-- رقم (٧)

طائفة بالألفاظ الأعجمية المعرّبة الواردة في القرآن الكريم، ولم يشر الزمخشري إلى أصولها في (الكشّاف)، مع ذكر بعض المصادر التي أشارت إلى كونها معربة، وللمزيد من الأمثلة، ينظر: (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) للسيوطي، مجلة المورد-- المجلد الأول- العددان الأول والثاني، ص ١٠١-١٢٦، ومقارنتها بمواضع ورودها في الكشّاف).

الألفاظ	السورة والآية	مواضع ورودها في الكشّاف	المصادر التي اشارت على كونها معربة
دينار	آل عمران / ٧٥	١/٤٣٨	نخلة (١٢٦)
ربانيون	آل عمران / ٧٩	١/٤٤٠	الجواليقي(٢٠٩)[1]
الجبت	النساء/ ٥١	١/٥٣٣	الفائق[2]
مائدة	المائدة/ ١١٦	١١/٦٥٤	أدي شير (١٤٨)
دراهم	يوسف/ ٢٠	٢/٣٠٩	
قَطِران	إبراهيم/ ٥٠	٢/٣٨٥	آل علي (١٩٨)
الفِرْدَوسْ	المؤمنون/ ١١	٣/٢٧	آل علي (١٦٣)

---

(١) (المعرب) للجواليقي- الجواليقي، (معجم الألفاظ الفارسية المعربة) لأديّ شير = أدي شير، (غرائب اللغة العربية) رفائيل لنخلة اليسوعي- نخلة ، (التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية) لـ د. نور الدين آل علي = آل علي.

(٢) جاء في كتاب (الفائق) للزمخشري: (الجبت ... قالوا ليست عربية، وعن سعيد بن جبير هي حبشية) [الفائق في غريب الحديث والأثر ٢/٣٧٢]، وفي اللسان عن الجوهري: أن الجبت ليست من مَحْض العربية، لاجتماع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف دولقي. [لسان العرب- جبت- ١/٣٩٤].

مِشْكاة	النور/ ٣٥	٣/ ٦٧	الجواليقي (٣٥١)
بَرْزَخاً	الفرقان/ ٥٣ الرحمن/ ٢٥	٣/ ٦٩	أدي شير (١٩)
سِراجاً	الفرقان/ ٦	٣/ ٩٨	أدي شير (٨٩)
غَسّاقاً	ص/ ٥٧ النبأ/ ٢٥	٣/ ٣٧٩ ٤/ ٢٠٩	الجواليقي (٢٨٣)
زُخرفاً	الزخرف/ ٣٥	٣/ ٤٨٧	أدي شير (٧٩)
المَرْجان	الرحمن/ ٢٢	٤/ ٤٥	أدي شير (١٤٤)
شُواظ	الرحمن/ ٣٥	٤/ ٤٧	أدي شير(١٠٥)
أكواب	الواقعة/ ١٨	٤/ ٥٣	الجواليقي (٧١)
كافور	الإنسان/ ٥	٤/ ١٩٥	الجواليقي(٣٣٣)
زَمْهَرِيراً	الإنسان/ ١٣	٤/ ١٩٧	أدي شير (٧٩)
زَنْجَبِيلاً	الإنسان/ ١٧	٤/ ١٩٨	نخلة (٩٩)
مِسْك	المطففين/ ٢٦	٤/ ٢٣٣	الجواليقي (٣٧٣)
زرابيّ	الغاشية/ ١٦	٤/ ٢٤٧	أدي شير (٧٧)

جدول رقم – (٨)

لغات القبائل الواردة في اختلاف الدِّلالة ، وعَدَدُ ورودِها، ومواضِعها، في تفسير (الكشّاف)

اللفظة	السورة والآية	اللغة الواردة	عدد ورود هذه اللغات في (الكشّاف)	مواضع ورودها في (الكشّاف)	الشاهد من كلام الزمخشري
عِجْل	هود/ ٦٩	أهلُ السراة	١	٢/ ٢٨٠	ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة
ضَعيفا	هود/ ١٩	حِمْيَر	٣	٢/ ٢٨٩	وحِمْيَر تسمّي المكفوف ضعيفاً
عَجَل	الأنبياء/ ٣٧	–	–	٢/ ٥٧٣	وقيل العجل الطين بلغة حمير
الرَّهْب	القصص/ ٣٢	–	–	٣/ ١٧٥	ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم في لغة حمير
يَيْأس	الرعد/ ٣١	قوم من النَّخع	١	٢/ ٣٦٠	أفلم ييئس: أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع
تخوّف	النحل/ ٤٧	هذيل	٢	٢/ ٤١١	ما رواه عن شيخ هذلي، قال (هذه لغتنا: التخوف التنقص
يرجو	العنكبوت/ ٥	–	–	٣/ ١٩٧	ما أورده من شعر هذلي فيه يرجو بمعنى يخاف
طه	طه/ ١	عك	١	٢/ ٥٢٨	طأها في لغة عك في معنى يا رجل
يس	يس/ ١	طيء	٢	٣/ ٣١٧	ما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (معناه يا انسان في لغة طيء)
زَمْهَرِيرا	الإنسان/ ١٣	–	–	٤/ ١٩٧	وقيل الزمهرير القمر، وعن ثعلب أنه في لغة طيء

المصادر والمراجع

- الكتب:

- القرآن الكريم.

١ - أبحاث ونصوص في فِقْه اللغة العربية - . رشيد عبد الرحمن العبيدي - مطبعة التعليم العالي - بغداد - ١٩٨٨م.

٢ - الإبدال - أبو الطيِّب اللّغوي (عبد الواحد بن علي الحلبي ت ٣٥١هـ) - تحقيق وشرح: عزّ الدين التنّوخي - مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق - سوريا - ج١/ ١٩٦٠، ج٢/ ١٩٦١م.

٣ - الإبدال والمعاقبة والنظائر - الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق ت ٣٢٧هـ) - تحقيق وشرح: عز الدين التنوخي - مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق - ١٩٦٢م.

٤ - ابن دروستويه (عبد الله بن جعفر بن المرزبان الفارسي ت ٣٤٧هـ) - عبد الله الجبوري - مطبعة العاني - بغداد - ط١ - ١٩٧٤.

٥ - أبو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة - عادل أحمد زيدان - مطبعة العاني - بغداد - ط١ - ١٩٧٠م.

٦ - إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد - محمود شكري الآلوسي (ت١٣٤٢هـ) تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري - مطبعة الإرشاد - بغداد - ١٩٨٢م.

٧ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر - الدمياطي (أحمد بن محمد البناء ت ١١١٧هـ) مطبعة: عبد الحميد أحمد حنفي - القاهرة - ١٣٥٩هـ.

٨- الإتقان في علوم القرآن – السيوطي (جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر – ت٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة – ط١ – ١٩٦٧م.

٩- أحكام القرآن – ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله – ت ٥٤٣هـ) تحقيق علي محمد البجاوي – طبعة دار الفكر – بيروت- (د.ت).

١٠- أدب الكاتب – ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي المروزي الدّينودي ت ٢٧٦هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – مصر – ط٤- ١٩٦٣م.

١١- أساس البلاغة – للزمخشري (محمود بن عمر بن محمد بن عمر – ت٥٣٨هـ) تحقيق عبد الرحيم محمود – دار المعرفة – بيروت- (د.ت).

١٢- الإشتقاق – ابن دُريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي- ت ٣٢١هـ)- تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون – منشورات مكتبة المثنى – بغداد- ط٢ – ١٩٧٩م.

١٣- الإشتقاق – عبد الله أمين- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- ط١- ١٩٥٦م.

١٤- الإشتقاق والتعريب – عبد القادر المغربي – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- ط٢- ١٩٤٧م.

١٥- الإصابة في تمييز الصحابة – ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٧١م.

١٦- إصلاح المنطق – ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن اسحق- ت ٢٤٤هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون – دار المعارف – مصر – ط٣ – ١٩٧٠م.

١٧- الأصوات اللغوية - د. إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية - ط٥-١٩٧٥م.

١٨- الأضداد - ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم - ت ٣٢٨هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دائرة المطبوعات والنشر في الكويت - ١٩٦٠م.

١٩- الأضداد - ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) - تحقيق: د. أوغست هفنر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩١٣م.

٢٠- الأضداد - أبو حاتم السجستاني (سهل بن محمد بن عثمان - ت٢٥٥هـ)، (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) - تحقيق: د. أوغست هفنر - المطبعة الكاثوليكية- بيروت- ١٩١٣م.

٢١- الأضداد - الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب- ت ٢٢٤هـ)، (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) - تحقيق: د. أوغست هفنر - المطبعة الكاثوليكية- بيروت - ١٩١٣م.

٢٢- الأضداد - الصغاني (الحسن بن محمد بن الحسن - ت٦٥٠هـ)، (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) - تحقيق: د. أوغست هفنر - المطبعة الكاثوليكية- بيروت - ١٩١٣م.

٢٣- الأضداد في كلام العرب- أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) - تحقيق: د. عزة حسن - دمشق - ١٩٦٣م.

٢٤- الأضداد في اللغة - محمد حسين آل ياسين - مطبعة المعارف - بغداد - ط١- ١٩٤م.

٢٥- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد. ت ٣٧٠هـ)-- مطبعة: دار الكتب المصرية - القاهرة- ١٩٤١م.

٢٦- الأعلام - خير الدين الزركلي (ت١٩٧٦م) دار العلم للملايين - بيروت - ط٤- ١٩٧٩م.

٢٧- أفياء أفنان في اصول اللغة – طنطاوي محمد دراز – مطابع الطّناني – القاهرة- ١٩٨٦م.
٢٨- الإقتراح في علم أصول النحو – السيوطي (ت٩١١هـ) – ضبط وشرح وتعليق: د. احمد سليم الحمصي ود. محمد أحمد قاسم – جروس برس – ط١ – ١٩٨٨م.
٢٩- الألفاظ الكتابية- الهمذاني (هبد الرحمن بن عيسى بن حماد – ت٣٢٠هـ) (د.ط)- (د.ت).
٣٠- الألفاظ اللغوية ، خصائصها وأنواعها – عبد الحميد حسن – مطبعة الجبلاوي- القاهرة- ١٩٧١م.
٣١- الألفاظ المترادفة- الرّمّاني (ابو الحسن علي بن عيسى – ت ٣٥٤هـ) شرح: محمد محمود الرافعي- المطبعة والمكتبة المحمودية- ط٢- (د.ت).
٣٢- الأمالي- القالي (أبو علي اسماعيل بن القاسم البغداد- ٣٥٦هـ)- دار الكتب العلمية- بيروت- (د.ت).
٣٣- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن – العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله – ت ٦١٦هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١- ١٩٧٩م.
٣٤- أوضح المسالك إلى ألفية الإمام مالك – ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله – ت٧٦١هـ) – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٥- ١٩٦٦م.
٣٥- الإيضاح في عِلل النحو – الزجاجي (ت٣٣٧هـ)- تحقيق: د. مازن المبارك – دار النفائس- بيروت – ط٤- ١٩٨٢م.
٣٦- البارع في اللغة – القالي (ت٣٥٦هـ) – تحقيق : هاشم الطعان – دار الحضارة/ بيروت، مكتبة النهضة/ بغداد – ط١- ١٩٧٥م.

٣٧- البداية والنهاية - ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين الدمشقي - ت ٧٧٤هـ) تحقيق: أحمد ابو ملحم ومجموعة - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٣ - ١٩٨٧م.

٣٨- البرهان في علوم القرآن - الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله - ت ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر - بيروت - ط٣ - ١٩٨٠م.

٣٩- بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - السيوطي (ت ٩١١هـ) - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة - ج ١/ ١٩٦٤، ج٢/ ١٩٦٥م.

٤٠- البيان والتبيين - الجاحظ (عمرو بن بحر - ت ٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي - القاهرة - ط٥ - ١٩٨٥م.

٤١- تاج العروس من جواهر القاموس - الزبيدي (محب الدين محمد مرتضى الحسيني - ت ١٢٠٥هـ) - منشورات مكتبة الحياة - بيروت - المطبعة الخيرية - مصر - ط١ - ١٣٠٦هـ.

٤٢- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان - أبو مكي الصقلي (ت ٥٠١هـ) تحقيق: د. عبد العزيز مطر - القاهرة - ١٩٦٦ - (د.ط).

٤٣- تحقيق الوصول إلى علم الأصول (شرح المحققة النونية) - مراد شكري - دار الحسن للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - ط١ - ١٩٩١م.

٤٤- الترادف في اللغة - حاكم مالك لعيبي - دار الحرية للطباعة - بغداد - ١٩٨٠م.

٤٥- التصريف الملوكي - ابن جني (أبو الفتح عثمان - ت ٣٩٢هـ) تحقيق: محمد سعيد بن مصطفى النعسان - دار المعارف للطباعة - دمشق - ط٢ - ١٩٧٠م.

٤٦- التضاد في ضوء اللغات السامية (دراسة مقارنة) - د. ربحي كمال - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٧٥م.

٤٧- التطور اللغوي التاريخي- د. إبراهيم السامرائي - دار الأندلس- بيروت - ط٢- ١٩٨١م.

٤٨- التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية- د. نور الدين آل علي - دار الثقافة للطباعة والنشر- القاهرة- ١٩٧٩م.

٤٩- التعريفات - السيد الجرجاني (أبو الحسن علي بن محمد بن علي - ت ٨١٦هـ)- مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد- (د.ت).

٥٠- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) - ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) - دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - ط٣- ١٩٨١م.

٥١- تفسير ابي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) - أبو السعود (محمد بن محمد العمادي- ت ٩٥١هـ) - إشراف: محمد عبد اللطيف- مكتبة ومطبة محمد علي صبيح وأولاده- القاهرة - (د.ت).

٥٢- تفسير البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف - ت ٧٥٤هـ) - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ط٢-١٩٧٨مز

٥٣- تفسير الجلالين للقرآن الكريم - المحلي (جلال الدين محمد بن أحمد - ت ٨٦٤هـ) والسيوطي (ت ٩٦١هـ) - مراجعة: عبد العزيز سيد الأهل - مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني - القاهرة- (د.ت٩.

٥٤- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - محمود الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين - ت ١٢٧٠هـ)- دار الفكر - بيروت - ١٩٧٨م.

٥٥- تفسير غريب القرآن - ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ ٩ - تحقيق: احمد صقر- دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨م.

٥٦- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) - القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري - ت ٦٧١هـ) - مطبوعات دار الشعب - القاهرة- (د.ت).

٥٧- التفسير الكبير - الرازي (محمد بن عمر بن فخر الدين القرشي البكري - ت ٦٠٦هـ) - دار الكتب العلمية - طهران - ط٢- (د.ت).

٥٨- التفسير والمفسرون - د. محمد حسين الذهبي - مطبعة السعادة - مصر - ط٢- ١٩٧٦م.

٥٩- تقويم اللسان- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن - ت ٥٩٧هـ) - تحقيق وتقديم : د. عبد العزيز مُطر - ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره - دار المعرفة - القاهرة - ط١ - ١٩٦٦م.

٦٠- تهذيب اللغة - الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد - ت ٣٧٠هـ) - تحقيق : إبراهيم الأبياري - مطابع سجل القاهرة - ١٩٦٧م.

٦١- التيسير في القراءات السبع - الدّاني (أبو عمرو عثمان بن سعيد - ت٤٤٤هـ) عنى بتصحيحه: أوتوبرتزل - مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمان - استانبول- ١٩٣٠م.

٦٢- الجامع الصحيح وهو سُنن الترمذي - الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة - ت ٢٧٩هـ) - تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين - المكتبة الإسلامية - مصر - (د.ت).

٦٣- جمهرة اللغة- ابن دريد (ت ٣٢١هـ) - طبعة جديدة بالأوفست - دار صادر- بيروت - (د.ت).

٦٤- جني الجنتين في تميز نوعي المثنيين - المحبي (محمد أمين فضل الله محب الدين بن أحمد- ت ١١١١هـ) - تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي - دار الآفاق الجديدة - بيروت- ١٩٨١م.

٦٥- جواهر الألفاظ - أبو الفرج قدامه بن جعفر البغدادي (ت ٣٣٧هـ) - مطبعة السعادة - مصر- ١٩٢٣م.

٦٦- الحُجَّة في القراءات السبع- ابن خالويه (٣٧٠هـ)- تحقيق وشرح: عبد العال سالم مكرم- مطابع دار الشروق- بيروت- (د.ت).

٦٧- حميد بن ثور الهلالي: حياته وشعره- د. رضوان محمد حسين النجار- مطبعة الخالدي- عمّان- الأردن- ط١ ١٩٨٥م.

٦٨- خزانة الأدب ولباب لسان العرب- البغدادي (عبد القادر بن عمر- ت ١٠٩٣هـ)- دار صادر- بيروت- (د. ت).

٦٩- الخصائص- ابن جني (ت ٣٩٢هـ)- تحقيق: محمد علي النجار- دار الهدى للطباعة والنشر- ط ٢- بيروت- (د.ت).

٧٠- دراسات في فقه اللغة- د. صبحي الصالح- دار العلم للملايين- ط١٠- ١٩٨٣م.

٧١- دراسات في اللغتين السريانية والعربية- د. إبراهيم السامرائي- دار الجيل/ بيروت، مكتبة المحتسب/ عمان- ط١- ١٩٨٥م.

٧٢- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني- د. حسام سعيد النعيمي- دار الرشيد للنشر- بغداد- ١٩٨٠م.

٧٣- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري- د. فاضل صالح السامرائي- مطبعة الإرشاد- بغداد- ١٩٧١م.

٧٤- دراسة الصوت اللغوي- د. أحمد مختار عمر- توزيع عالم الكتب- القاهرة- ط١- ١٩٧٦م.

٧٥- دراسة اللهجات العربية القديمة- د. داود سلوم- مطبعة المكتبة العلمية- لاهور- باكستان- ط١- ١٩٧٦م.

٧٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور- السيوطي (ت ٩١١هـ)- دار الفكر للطباعة- بيروت- ط١- ١٩٨٣م.

٧٧- دلالة الألفاظ – د. إبراهيم أنيس – المطبعة الفنية الحديثة – مصر – ط٣- ١٩٧٦م.

٧٨- دلالة الألفاظ العربية وتطورها – د. مراد كامل – مطبعة نهضة مصر – ١٩٦٣م.

٧٩- دور الكلمة في اللغة – ستيفن أولمان – ترجمة: د. كمال محمد بشر – مكتبة الشباب – ط١٠ - ١٩٨٦م.

٨٠- ديوان أبي الطيب المتنبي – شرح: أبو البقاء العكبري (التبيان في شرح الديوان) – تحقيق: مصطفى السقا وصاحبيه – (د.ت).

٨١- ديوان الأدب – الفارابي (أبو إبراهيم اسحق بن إبراهيم – ت ٣٥٠هـ) تحقيق: أحمد مختار عمر ود. إبراهيم أنيس – القاهرة – ط١ - ١٩٧٤م.

٨٢- ديوان جرير – تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه – دار المعارف – مصر – ١٩٧١م.

٨٣- ديوان شعر ذي الرمة – بعناية: كارليل هنري هيس مكارتني – مطبعة كلية كمبرج – لندن – ١٩١٩م.

٨٤- ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي (عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني – ت ٢٩١هـ) – تحقيق: د. نوري حمودي القيسي ود. حاتم صالح الضامن – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد – ١٩٨٧م.

٨٥- ديوان النابغة الذبياني – تحقيق: كرم البستاني – بيروت – ١٩٦٣ – (د.ط).

٨٦- ديوان الهذليين – نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب – الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٥٦م.

٨٧- رسالة الأضداد – المُنْشي (محمد جمال الدين بن بدر الدين – ت ١٠٠١هـ) تحقيق: د. محمد حسين آل ياسين – مطبعة الأديب – بغداد – ١٩٨٥م.

٨٨- رواية اللغة – د. عبد الحميد الشَّلقاني – مطابع دار المعارف بمصر – ١٩٧١م.

٨٩- الزمخشري- أحمد محمد الحوفي- دار الفكر العربي- ١٩٦٦م.
٩٠- الزمخشري لغوياً ومفسراً- مرتضى آية الله زاده الشيرازي- دار الثقافة للطباعة والنشر- القاهرة- ١٩٧٧م.
٩١- الزينة في الألفاظ الإسلامية العربية- أبو حاتم بن حمدان الرازي (ت ٣٢٢هـ) عرض وتعليق: حسين فيض الله الهمداني اليربوعي الحرازي- دار الكتاب العربي، مطبعة الرسالة- القاهرة- ١٩٥٧م.
٩٢- سر صناعة الإعراب- ابن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق: مصطفى السقا وآخرين- مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر- ط ١- ١٩٥٤م.
٩٣- سُنن أبي داود- أبو داود (سليمان ابن الأشعث السجستاني- ت ٢٧٥هـ)- مراجعة وضبط وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد- دار إحياء السنة النبوية- (د.ت).
٩٤- سنن الدارقطني- علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)- تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني- دار المحاسن- القاهرة- ١٩٦٦م.
٩٥- سنن النَّسائي- النَّسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي- ت ٣٠٢هـ) بشرح السيوطي وحاشية السندي- دار الحديث- القاهرة- ١٩٨٧م.
٩٦- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه- د. خديجة الحديثي- مطبوعات جامعة الكويت- مطابع مقهوي- الكويت- ١٩٧٤م.
٩٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- الحنبلي (أبو الفلاح عبد الي بن العماد- ت ١٠٨٩هـ) دار الكتب العلمية- بيروت- (د.ت).
٩٨- شرح ابن عقيل- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله الهمداني- ت ٧٦٩هـ)- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- مطبعة السعادة بمصر- ط ١٤- ١٩٦٤م.

٩٩- شرح أدب الكاتب - الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد - ت ٥٤٠هـ) مكتبة القدسي - القاهرة - ١٣٥٠هـ.

١٠٠- شرح ديوان امرئ القيس - حسن السندوبي- مطبعة الإستقامة - القاهرة- ط٣- ١٩٥٣م.

١٠١- شرح شعر زهير ابن أبي سُلْمى - صنعة أبي العباس المبرد (ت٢٨٥هـ) - تحقيق : د. فخر الدين قباوة- دار الآفاق الجديدة- بيروت - ط١ - ١٩٨٢م.

١٠٢- شرح المراح في التصريف - العيني (بدر الدين محمود بن محمد - ت ٨٥هـ) - تحقيق عبد الستار جواد - مطبعة الرشيد- بغداد- ١٩٩٩٠م.

١٠٣- شرح المقدمة المحسَّبة- طاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ)- تحقيق : خالد عبد الكريم - ط١- الطبعة العصرية - الكويت- ١٩٧٦م.

١٠٤- الشعر والشعراء - ابن قُتَيْبَة (ت ٢٧٦هـ)- تحقيق: أحمد محمد شاكر - طبعة دار المعارف- القاهرة - ١٩٥٨م.

١٠٥- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها- ابن فارس (أبو الحسين أحمد- ت ٣٩٥هـ)- تحقيق: مصطفى الشويمي- مطابع: أ. بدران وشركاه - بيروت- ١٩٦٤م.

١٠٦- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) - الجوهري (اسماعيل بن حماد - ت ٣٩٣هـ) - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين - بيروت - ط٢- ١٩٧٩م.

١٠٧- صحيح سنن ابن ماجه- محمد ناصر الدين الألباني- بيروت- ط١- ١٩٨٦م.

١٠٨- صحيح مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - (ت ٢٦١هـ) - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربية - القاهرة- (د.ت).

١٠٩- صفوة التفاسير- محمد علي الصابوني- دار القرآن الكريم- بيروت- ط٤- ١٩٨١م.

١١٠- طبقات النحويين واللغويين- الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن- ت ٣٧٩هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة- ط١- ١٩٥٤م.

١١١- العشرات في اللغة- أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي القزاز القيرواني (ت ٤١٢هـ)- تحقيق د. يحيى عبد الرؤوف جبر- المطبعة الوطنية- الأردن- ط ١- ١٩٨٤م.

١١٢- علم الدّلالة- د. أحمد مختار عمر- مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع- الكويت- ط ١- ١٩٨٢م.

١١٣- علم اللغة- د. علي عبد الواحد وافي- دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة- ط٩ (د.ت).

١١٤- علم اللغة العام: الأصوات- د. كمال محمد بشر- دار المعارف بمصر- ط ٤- ١٩٧٥م.

١١٥- العمدة في صناعة الشعر ونقده- القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق- ت ٤٦٣هـ)- تحقيق وشرح: د. مفيد محمد قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٩٨٣م.

١١٦- عوامل التطور اللغوي (دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية)- د. أحمد عبد الرحمن حماد- دار الأندلس- (د.ت).

١١٧- العين- خليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)- تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي- مؤسسة دار الهجرة- إيران- ط٢- ١٤٠٩م.

١١٨- غرائب اللغة العربية- رفائيل نخلة اليسوعي- مطبعة الإحسان- حلب- سوريا- ١٩٥٤م.

١١٩- الغريب المُصَنَّف - أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)- مصورة المجمع العلمي العراقي برقم ١٢٥٠.

١٢٠- الفائق في غريب الحديث والأثر- الزمخشري (ت ٥٣هـ) - تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ط٢- ١٩٧١م.

١٢١- فتح القدير الجامع بين فني الرِّوَاية والدِّراية في علم التفسير- الشوكاني(محمد بن علي بن محمد- ت ١٢٥٠هـ)- دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - (د.ت).

١٢٢- فرائد اللغة في الفروق - الأب هنريكوس لامنس اليسوعي- المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين - بيروت - ١٨٨٩م.

١٢٣- الفُروق في اللغة - العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل - ت ٣٩٥هـ) - تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي - دار الآفاق الجديدة- بيروت - ط٥- ١٩٨٣م.

١٢٤- فروق اللغات - نور الدين الجزائري- تحقيق: أسد الله الإسماعيليان- دار الكتب العلمية- مطبعة النجف- ١٣٨٠هـ.

١٢٥- فصول في فقه العربية - د. رمضان عبد التواب- مكتبة الخانجي/ القاهرة، دار الرفاعي/ الرياض - ط ٢- ١٩٨٣م.

١٢٦- فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ- أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) - تحقيق ودراسة : د. خليل إبراهيم العطية - مطابع جامعة البصرة- ١٩٧٩م.

١٢٧- فقه اللغة العربية- د. كاصد ياسر الزيدي - مطبوعات دار الكتب - جامعة الموصل - ١٩٨٧م.

١٢٨- فقه اللغة وخصائص العربية – محمد المبارك- دار الفكر – بيروت – ط ٦- ١٩٧٥م.

١٢٩- فقه اللغة وسر العربية – الثعالبي (أبو منصور إسماعيل – ت ٤٢٩هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – (د.ت).

١٣٠- الفلسفة اللغوية- جرجي زيدان- دار الجيل – بيروت ط١- ١٩٨٢م.

١٣١- في أصول النحو- سعيد الأفغاني – مطبعة الجامعة السورية – ط٢- ١٩٥٧م.

١٣٢- في التعريب – أحمد بن سليمان كمال باشا زاده (ت ٩٤٠هـ) – تحقيق ودراسة : د. أحمد خطاب العمر – مطابع جامعة الموصل – ١٩٨٣م.

١٣٣- في اللهجات العربية – د. إبراهيم أنيس – المطبعة الفنية الحديثة – القاهرة- ط٤٠- ١٩٧٣م.

١٣٤- القاموس المحيط – الفيروز أبادي (محب الدين محمد بن يعقوب – ت ٨١٧هـ) – دار الفكر- بيروت – ١٩٨٣م.

١٣٥- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث- د. عبد الصبور شاهين – الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة – (د.ت).

١٣٦- القراءات واللهجات- عبد الوهاب حمودة- مطبعة السعادة بمصر – ط١- ١٩٤٨م.

١٣٧- القَلْبُ والإبدال – ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)- تحقيق: د. أوغست هفنر (ضمن الكنز اللغوي في اللسان العربي) – المطبعة الكاثوليكية- بيروت- ١٩٠٣م.

١٣٨- الكتاب – سيبَوَيْه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر – ت١٨٠هـ) – شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون – عالم الكتب – بيروت – ط ٣- ١٩٨٣م.

١٣٩- كتاب البئر- ابن الأعرابي (أبو عبد الله محمد بن زياد- ت ٢٣١هـ) - تحقيق وتقديم : د. رمضان عبد التواب - الناشر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - ١٩٧٠م.

١٤٠- كتاب اللغات في القرآن (رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس) - تحقيق: د. صلاح الدين المنجد- دار الكتاب الجديد- بيروت - ط ٢- ١٩٧٢م.

١٤١- كتاب المطر (ضِمْنَ البُلْغَة في شُذور اللُّغة) - أبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس - ت ٢١٥هـ)- نشر: د. أوغست هفنر وشيخو اليسوعي- المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت- ط ٢- ١٩١٤م.

١٤٢- كشاف اصطلاحات الفنون- التهانوي (محمد علي الفاروقي - ت ١١٥٨هـ)- تحقيق: لطفي عبد البديع - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٧م.

١٤٣- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل- الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)-- دار الفكر - ١٩٧٩م، دار الكتاب العربي- بيروت- ١٩٨٧م.

١٤٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - عبد الله حاجي خليفة - طبعة الأوفست- مكتبة المثنى - بغداد- (د.ت).

١٤٥- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)- أبو البقاء الكفوي (أيوب بن موسى الحسيني - ت ١٠٩٤هـ) - إعداد : د. عدنان درويش ومحمد المصري - مطبعة وزارة التربية دمشق- ق ١/ ١٩٧٤، ق ٢/ ١٩٧٥م.

١٤٦- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة- د. عبد العزيز مطر- الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٦م.

١٤٧- لسان العرب المحيط- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم -- ت ٧١١هـ) إعداد وتصنيف: يوسف خياط - دار لسان العرب - بيروت - (د.ت).

١٤٨- لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم - أبو عبيد القاسم بن سلامْ (ت ٢٢٤هـ) - تحقيق : د. عبد الحميد السيد طلب - مطبوعات جامعة الكويت - مطابع القيس التجارية - ١٩٨٥م.

١٤٩- اللغة - ج. فندريس- ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص- مكتبة الأنجلو المصرية- ١٩٥٠م.

١٥٠- اللغة العربية كائن حي - جرجي زيدان- مراجعة: د. مراد كامل - مطابع دار الهلال- القاهرة - (د.ت).

١٥١- لُمَعُ الأدلّة في أصول النحو - أبو البركات الأنباري (كمال الدين عبد الرحمن بن محمد - ت ٥٧٧هـ) - تحقيق : عطية عامر- المطبعة الكاثوليكية- بيروت- ١٩٦٣م.

١٥٢- اللهجات العربية في القراءات القرآنية- د. عبده الراجحي - مطبعة دار المعارف بمصر- ١٩٦٨م.

١٥٣- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة- غالب فاضل المطلّبي - ار الحرية للطباعة - بغداد- ١٩٧٨م.

١٥٤- مباحث لغوية - د. إبراهيم السامرائي - مطبة الآداب - النجف الأشراف- ١٩٧١م.

١٥٥- المثلث - ابن السيد البطليوسي (عبد الله بن محمد - ت ٥٢١هـ) تحقيق ودراسة: صلاح مهدي الفرطوسي- دار الحرية للطباعة- بغداد- ١٩٨١م.

١٥٦- المثنى - أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) - تحقيق : عز الدين التنوخي - نشر : المجمع العلمي العربي بدمشق - ط ١ - ١٩٦٠م.

١٥٧- مجاز القرآن - صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) - مطبعة السعادة - القاهرة - ط١ - ١٩٥٤م.

١٥٨- مجالس ثعلب - ثعلب (أبو العباس أحمد - ت ٢٩١هـ) شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار المعارف بمصر - ١٩٤٩م.

١٥٩- مجمع الأمثال - الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري - ت ٥١٨هـ) - دار مكتبة الحياة - بيروت - ج١/ ١٩٦١، ج٢/ ١٩٦٢م.

١٦٠- مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن - ت ٥٤٨هـ) تحقيق: الحاج السيد باشم الرسولي المحلاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٩٦١م.

١٦١- مجموع أشعار العرب (ديوان رؤبة بن العجّاج) - اعتنى بتصحيحه وترتيبه : وليم الورد البروسي - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط١ - ١٩٧٩م.

١٦٢- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - ابن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق : علي النجدي ناصيف وآخرين - القاهرة - ج١/ ١٩٦٦، ج٢/ ١٩٦٩م.

١٦٣- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة - ابن سيده (علي بن اسماعيل - ت ٤٥٨هـ) - تحقيق: د. مراد كامل وآخرين - مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر - ط ١ - ١٩٧٢م.

١٦٤- مختصر في شواذ القرآن (من كتاب البديع لابن خالويه) - عنى بنشره : ج. برجستراسر - دار الهجرة - (د.ت).

١٦٥- المُخَصَّص – ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) – تحقيق لجنة إحياء التراث العربي – دار الآفاق الجديدة- بيروت – (د.ت).

١٦٦- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – د. رمضان عبد التواب- مطبعة المدني – مصر – ط ١ – ١٩٨٢م.

١٦٧- المذكر والمؤنث- ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم – ت ٣٢٨هـ٩ – تحقيق: د. طارق عبد عون الجنابي – دار الرائد العربي – بيروت – ط٢- ١٩٨٦م.

١٦٨- المذكر والمؤنث – الفرّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد – ت ٢٠٧هـ) ح نشر: مصطفى أحمد الزرقاء، حلب – سوريا – ١٣٤٥هـ.

١٦٩- المذكر والمؤنث – المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد – ت ٢٨٥هـ) – تحقيق وتعليق: د. رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي – مطبعة دار الكتب – الجمهورية العربية المتحة- ١٩٧٠م.

١٧٠- المزهِر في علوم اللغة وأنواعها- السيوطي (ت ٩١١هـ) – شرح وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه- طبعة دار الفكر – بيروت – (د.ت).

١٧١- المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً- د. توفيق محمد شاهين – مطبعة الدعوة الإسلامية – القاهرة – ط١ – ١٩٨٠م.

١٧٢- معاني القرآن – الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي ت ٢١٥هـ) – دراسة وتحقيق: د. عبد الأمير الورد- عالم الكتب – بيروت – ط١ – ١٩٨٥م.

١٧٣- معاني القرآن – الفرّاء (ت ٢٠٣هـ) تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح اسماعيل – الدار المصرية للتاليف والترجمة – (د.ت).

١٧٤- معاني القرآن وإعرابه – الزجّاج (أبو اسحق إبراهيم بن السري – ت ٣١١هـ) – شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي – عالم الكتب – بيروت – ط١ح ١٩٨٨م.

١٧٥- معجم الألفاظ الفارسية المعرَّبة – السيد أدي شير – مكتبة لبنان – لبنان – ١٩٨٠م.

١٧٦- معجم البلدان – ياقوت الحَمَوي (شهاب الدين أبو عبد الله – ت ٦٢٦هـ) – دار صادر – بيروت – ١٩٥٦م.

١٧٧- معجم القراءات القرآنية – د. احمد مختار عمر، ود. عبد العال سالم مكرم – مطبوعات جامعة الكويت – ط ٢ – ١٩٨٨م.

١٧٨- معجم لغات القبائل والأمصار – د. جميل سعيد ود. داود سلوم – مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٨م.

١٧٩- المعم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي – دار الجيل – بيروت – ١٩٨٧م.

١٨٠- معجم مقاييس اللغة – ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) – تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – بيروت – ١٩٧٩م.

١٨١- المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم – الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) – تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر – مطبعة دار الكتب – القاهرة – ط٢ ١٩٦٩م.

١٨٢- معيد النِّعَم ومبيد النِّقَم – تاج الدين السّبكي (عبد الوهاب بن علي – ت ٧٧١هـ) – تحقيق: محمد علي النجار وآخرين – دار الكتاب العربي – مصر – ط١ – ١٩٤٨م.

١٨٣- المغرب في ترتيب المعرب – المطرّزي (أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي – ت ٦١٦هـ) – دار الكتاب العربي – بيروت – (د.ت).

١٨٤- المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد - ت ٥٠٢هـ) - تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - (د.ت).

١٨٥- المفصل في علم العربية - الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) - مطبعة حجازي - القاهرة - (د.ت).

١٨٦- مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) - تحقيق: علي عبد الواحد وافي - لجنة البيان العربي - ط ١ ١٩٦٠م.

١٨٧- مقدمة في أصول التفسير - ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم - ت ٧٢٨هـ) - تحقيق: د. عدنان زرزور - مطابع دار القلم - بيروت - ط١/ ١٩٧١م.

١٨٨- من أسرار اللغة - د. إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية - ط٥- ١٩٧٥.

١٨٩- مناهج البحث في اللغة - د. تمام حسّان - مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء - المغرب ١٩٧٩م.

١٩٠- من بديع لغة التنزيل - د. إبراهيم السامرائي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - بيروت - ط١- ١٩٨٤م.

١٩١- من تراثنا اللغوي ما يسمى في العربية بالدخيل - طه باقر - مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٩٨٠م.

١٩٢- المنصف (شرح الإمام أبي الفتح عثمان ابن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري) - تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ج١/ ج٢: ١٩٥٤، ج٣: ١٩٦٠م.

١٩٣- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه - د. مصطفى الصاوي الجويني - دار المعارف بمصر - ط ٢-١٩٦١م.

١٩٤- الموازنة - الآمدي ٠أبو القاسم الحسن بن بشر - ت ٣٧٠هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر - دار المعارف بصر - ١٩٦١م.

١٩٥- ميزان الإعتدال في نقد الرجال - الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان - ت ٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي - دار الفكر - بيروت - (د.ت).

١٩٦- نَجْعَةُ الرائد وشِرْعَة الوارد في المترادف والمتوارد- الشيخ إبراهيم ناصيف اليازجي (ت ١٣٢٤هـ) - وقف على طبعه وضبطه على أصله الأمير نديم آل ناصر الدين - مكتبة لبنان- بيروت - ط٢ - ١٩٧٠م.

١٩٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - أبو المحاسن الأتابكي (جمال الدين يوسف بن تغري بردي - ت ٨٧٤هـ) ج مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ط١ - ١٩٣٠م.

١٩٨- نحو وعي لغوي - د. مازن المبارك - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٧٩م.

١٩٩- النشر في القراءات العشر - ابن الجَزَري (أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي - ت ٨٨٣هـ٩ ح أشرف علي تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع- مطبعة مصطفى محمد - مصر - (د.ت).

٢٠٠- نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها- الأب انستانس ماري الكرملي - المطبعة العصرية بمصر - ١٩٣٨م.

٢٠١- نظامُ الغريب - الرَّبعي (عيسى بن إبراهيم بن محمد - ت ٤٨٠هـ) - استخراج وتصحيح: د. بولس برونله- مطبعة هندية بالموسكي بمصر - ط١ - (د.ت).

٢٠٢- النوادر في اللغة - أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) - تحقيق ودراسة: د. محمد عبد القادر أحمد - دار الشروق - بيروت - ط١ - ١٩٨١م.

٢٠٣- وفيات الأعيان - ابن خلكان (شمس الدين احمد بن محمد - ت ٦٨١هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٨م.

٢٠٤- هدية العارفين - اسماعيل باشا البغدادي - طبعة الأوفسيت - مكتبة المثنى - بغداد ٠ (د.ت).

٢٠٥- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية - السيوطي (ت ٩١١هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - (د.ت).

- الرسائل الجامعية غير المنشورة:

٢٠٦- ألفاظ العبادات في القرآن الكريم : دراسة دلالية – أكرم أحمد داود البرزنجي – رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة الموصل – ١٩٩٠م.

٢٠٧- ألفاظ المعاملات في القرآن الكريم : دراسة دلالية – أكرم أحمد داود البرزنجي – رسالة دكتوراه – كلية الآداب – جامعة الموصل – ١٩٩٥م.

٢٠٨- البحث اللغوي عند أبي بكر الرازي – عبد الرسول سلمان الزيدي – كلية الآداب – جامعة بغداد – ١٩٨٨م.

٢٠٩- الدراسات الصوتية في كتاب العين في ضوء علم اللغة الحديث – موفق عليوي خضير – رسالة ماجستير – كلية الآداب – الجامعة المستنصرية – ١٩٨٥م.

٢١٠- الدراسات اللغوية والنحوية في تفسير الألوسي – سعدون خلف الدليمي – رسالة دكتوراه – كلية الآداب – جامعة بغداد – ١٩٩٣م.

٢١١- الدراسات النحوية في الكشّاف للزمخشري – أحمد جمعة محمود الهيتي – رسالة ماجستير – كلية التربية ح جامعة بغداد – ١٩٩٤م.

٢١٢- دراسة لغوية ونحوية في تفسير البيضاوي – عبد الوهاب حسن محمد – رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة بغداد – ١٩٨٥مز

٢١٣- ظاهرة التأنيث في القرآن الكريم – شذى محمد شِهاب البجاوي – رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة الموصل – ١٩٨٩م.

٢١٤- قراءة ابن مُحَيْصِن دارسة نحوية ولغوية – عبد الله نوري عبد الله البرزنجي – رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة صلاح الدين – ١٩٩٠م.

٢١٥- القياس في النحو العربي: نشأته وتطوره – سعيد جاسم الزبيدي – رسالة دكتوراه – كلية الآداب – جامعة بغداد – ١٩٨٥م.

٢١٦- الكشّاف للزمخشري: دراسة صرفية – مها إبراهيم عبيد الدليمي – رسالة ماجستير – كلية التربية – جامعة بغداد – ١٩٩٤م.

٢١٧- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه – نوزاد حسن أحمد – رسالة دكتوراه – كلية الآداب – جامعة بغداد – ١٩٩١م.

-المجلات:

٢١٨- الإبدال اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث- د. إسماعيل أحمد الطحان- بحث مستل من مجلة آداب المستنصرية - العدد الأول - ١٩٧٦م.

٢١٩- الأضداد - د. منصور فهمي - مجلة مجمع اللغة العربية الملكي - القاهرة- الجزء الثاني- مايو - ١٩٣٥م.

٢٢٠- التذكير والتأنيث في العربية بين العلامة والإستعمال- د. محمد ضاري حمادي - مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد الثالث والثلاثين - الجزء الثالث- ١٩٨٢م.

٢٢١- في التذكير والتأنيث (بحث مع تحقيق كتاب التذكير والتأنيث لأبي حاتم السجستاني) - د. إبراهيم السامرائي - بحث مستل من مجلة رسالة الإسلام - العددان السابع والثامن.

٢٢٢- كتاب الأضداد- التوزي (أبو محمد عبد الله بن محمد - ت ٢٢٣هـ) - دراسة وتحقيق : محمد حسين آل ياسين - مجلة المورد - المجلد الثامن - العدد الثالث - بغداد - ١٩٧٩م.

٢٢٣- كتاب ما جاء اسمان أحدهما أشهر من صاحبه فسميا به - ابن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية - ت ٢٤٥هـ) نُشِرَ القسم الأول - مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد الرابع - ١٩٥٦م.

٢٢٤- لغة هذيل - د. خليل إبراهيم العطية - مجلة الأقلام - السنة الأولى - الجزء الحادي عشر - بغداد - تموز ١٩٦٥م.

٢٢٥- المثنيات التي لا تُفْرَد - سليم عنحوري - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق- المجلد الرابع - الجزء الأول.

٢٢٦- المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرب- السيوطي (ت ٩١١هـ) مجلة المورد- المجلد الأول - العددان الأول والثاني - بغداد - ١٩٧١م.

Abstract

AL- Kashaf's Exegesis
A Philological Study

It is the lack of such a study in Arabic Library and the position of Al-Kashaf's Exegesis among another exegesis encouraged me to choose this subject.

The present study consists of an introduction, four chapters and a conclusion followed by an appendix.
The introduction is devoted to study Al-Kashaf's Biography, Education and his famous Exegesis.

Chapter one is devoted to study and investigate Al – Kashaf's linguistic and philological sources (Books and People)so as to determine his method of such sources and examples of linguistic matters that he used to cite from those sources and scholars it also rties to throw a deep light upon Al-Kashaf's attitude towards evidences of the linguistic skill concerning his adoption of Hearsay together with various- examples of his linguistic evidence. The Holy Quran, The Qyranic Readings, The Tradition, and Arabic poetry and prose (pre – Islamic and Islamic poetry and prose). This chapter explains Al-Kashaf's attiude towards the analogy in the field of philological questions and problems. His attitude towards the origin of language.

Chapter Two deals with the semantic linguistic phenomena which consists of meaning of the vocabulary, the development of the semantics, the synonym and linguistic differentiations and, antonyms (Contradiction – words).

Chapter three is devoted to study the linguistic phenomena conserning the aspect of sound (phonetics) . It also deals with the place of articulation of sounds and their features and linguistic changes.

Chapter four tries to throw a deep light on the other linguistic phenomena such as: Arabisation, Arabic language and Arab dialect differentiations and masculine and feminine and linguistic duality.

The most significant results of this study are as follows:

1. Al- Kashaf's Exegesis is full of Al-Zamakhshary and other linguistic's views.
2. We proved in the section of meaning of terms nine features of Al-Zamakhshary's explanations.
3. His attitude towards synonyms, antonyms, and contradiction word is moderate.

4. Al – Zamakhshary agrees to Al- Asma'ay and Ibin – Al- Skit views to not to take the nearness of the place of articulation of sounds as a condition.
5. He pays much attention to linguistic alternation (Al-qalb) and he cites many groups of triphonemes that the linguistic alternation occurred in them. He never citis but (عسعس) words with four phonemes as Allah says in Holy Quran: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير / ١٧].
6. He doesn't cite the sixth alternation of the triwords that the linguistic alternation occurred in them because of two reasons:

A. Avoiding exaggeration.
B. He follows Ibin Jiny, the linguist.

7. He adopts Ibin Salam's way in determining the origin of some words in Holy Quran. He determines that some of these words have Arabic origin and Other non- Arabic and he doesn't study the third group.
8. He determines that the word (آدم) is non- Arabic word having metrical rhythm (فاعل). We adopted his view and wreaked the opinions of those who said that (آدم) has the Arabic origin having the metrical rhythm (أفعل). The same explanation is given to words like (انجيل- Gospel) and (توراة- Bible) because both of them have no metrical rhytms in Arabic.
9. In section titled (Arab dialect differentiations) we mentioned Al-Zamakhshary's hints to the differentiations of Arab dialects. In this respect, he classifies these differentiations into two kinds: the semantic differentiation (the differentiation in meaning) and in the structure of words (vocabulaty differentiation).

And, all praise is due to Allah, the Lord of the works. Ask him to keep us on the right Path – Amen-.